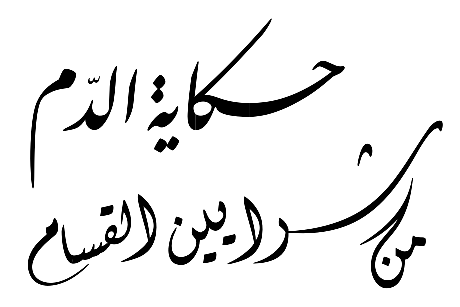


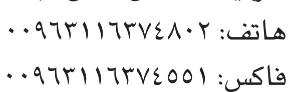
«شهادة للعصر والتاريخ»

الكتاب: حكاية الدم من شرايين القسام

الكاتب: زاهر علي جبرين

الطبعة الأولى - ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م

الناشر:





سورية - دمشق - ص. ب: ١٣٠٢٩

هاتف: ٠٠٩٦٣١١٦٣٧٤٨٠٢

فاكس: ٠٠٩٦٣١١٦٣٧٤٥٥١

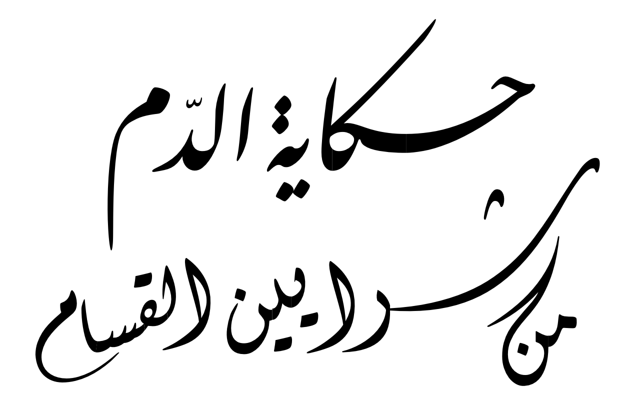
البريد الإلكتروني: thaqafa@thaqafa.org

موقع المؤسسة على الإنترنت:

www.thaqafa.org

تصميم الغلاف والإخراج:

م. جمال الأبطح



«شهادة للعصر والتاريخ»

الأسير المحرر

زاهر علي جبرين

(أحد مؤسسي كتائب الشهيد عز الدين القسام
في الضفة الغربية)

شارك في التعليق والتقييم

كل من المجاهدين القادة:

وليـد خـالـد

موسى دودين

عبد الناصر عيسى

محمود عيسى

حسـن سـلامة

عبد الحكيم حنيني

ياسـر حجـازي

الإهداء

❖ إليك يا سيدي وحبيبي.. رسول الله.. **قائد كتائب المجاهدين.**

❖ إلى أخي وشقيق روحي ورفيق دربي.. **المهندس يحيى عياش.**

❖ إلى من سبقوني إلى العلياء.. **إخواني الشهداء ساهر وعدنان وعلي.**

❖ إلى قادة الفكر والمقاومة **جمال منصور وجمال سليم، وصلاح الدين دروزة، والسركجي، وإلى أرواح الشهداء صلاح شحادة وأبو هنود ومهند الطاهر وأيمن حلاوة..**

❖ إلى الشيخ المجاهد الرمز: **أحمد الياسين.**

❖ إلى بلدتي سلفيت وأبنائها البررة **أبطال السيارة المفخخة الأولى عماد وأحمد عبد الفتاح.**

❖ **إلى قراوة - مهد القسام - ومنبت المجاهدين والشهداء.**

❖ إلى من حصدوا الألم لبذور الأمل.. **إلى إخواني الأسرى.**

❖ إلى أمي وأبي الصابرين **اللذين تحملا بسببي فوق طاقتهما، ولا زالا، سائلاً الله عز وجل أن يعظم لهما الأجر والثواب.**

❖ **وأخيراً وليس آخراً أهدي هذا الكتاب إلى شريكة حياتي زوجتي الحبيبة ندى البيطار .. سائلاً المولى عز وجل أن يجعلنا من الصالحين ومن السعداء في الدارين بإذن الله.**

❖ **وإلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل..**

أبو إسلام

زاهر علي جبرين



مقدمة

الأستاذ خالد مشعل (أبو الوليد)

رئيس المكتب السياسي

لحركة المقاومة الإسلامية حماس

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وبعد؛

فإن فلسطين المباركة المقدسة، أرض الإسراء والمعراج، وقبلة المسلمين الأولى، ومهبط الأنبياء والمرسلين، قد ارتبطت بها عبر عقود طويلة في العصر الحديث، فضلاً عن التاريخ القديم والوسيط، مسيرة جهاد طويلة، استمدت من قدسية فلسطين وبركاتها وتاريخها العظيم الكثير من خصائص البركة والعظمة والإبداع والإدهاش، مع الكثير من الصبر والصمود وطول النفس، والتضحيات الجليلة والعطاء الموصول الذي لا ينضب.

وفي هذه المسيرة اللّاحبة العظيمة على أرض فلسطين، جاءت حركة حماس قامة شامخة ومحطة متميزة في تلك المسيرة، قدمت ومازالت تقدم نماذج فريدة من المجاهدين والشهداء والأسرى والمبدعين في

ميدان المقاومة، لتعكس بصورة جليّة عظمة شعبنا الفلسطيني، وعظمة أمتنا التي ينتسب لها، وتؤكد عملياً وعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم بشأن الطائفة المجاهدة المنصورة في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس ((لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)).

وإنه ليسرني ويسعدني كثيراً أن أقدم لكتاب ((حكاية الدم من شرايين القسام شهادة للعصر والتاريخ)) للأسير المحرر الأخ العزيز المجاهد زاهر علي موسى جبرين، والذي كتبه في سجن عسقلان المركزي عام ١٩٩٨م، وأخرجه للعالم بعد معاناة قاسية وفريدة من نوعها، تمثلت في إخراج هذا الكتاب من السجن عن طريق رسائل الخط الصغير مرتين، حيث اكتشف الصهاينة المحاولة الأولى فأتلفوا الرسائل وعزل المؤلف في سجن انفرادي لسنوات عديدة.

ومحتوى هذا الكتاب يدل على تفرده وإبداع كاتبه، فهو يحتوي على قصص واقعية عاشها المؤلف، حيث النشأة والبدايات، ثمّ نشأة حركة حماس في سلفيت، والتطرق للعمل المباشر ضد الاحتلال، وفكرة السيارة المفخخة التي استخدمت لأول مره في رامات أفعال، وفكرة الاستشهادي الأول في السيارة المفخخة والتي كانت لأول مرة في تاريخ ١٦/٤/١٩٩٣م والتي قادها الاستشهادي الأول ساهر التمام من مدينة نابلس.

الكتاب يتناول عدداً من عمليات القسام ولعله ينشرها بالتفصيل لأول مرة إلى جانب عمليات أخرى تميزت بها كتائب القسام، كما يتطرق الكتاب إلى المطاردة والاعتقال وحياة السجن، وما عاشه المؤلف من

معاناة حقيقية قاسية وكذلك الحديث عن الأسرى بشكل عام ودورنا وواجبنا تجاههم، ثم نظرة الإسلام للإنسان.

سيجد القارئ بين طيات الكتاب معلومات وحقائق وقصص مثيرة من أهمها نشر صفحات لم تنشر ولم تعرف من قبل عن المهندس الأسطورة الشهيد يحيي عياش، وتفاصيل التحاقه بكتائب القسام وحديث زملاء المهندس وتلاميذه عنه.

الكتاب -بلا شك- تأريخ للعمل الجهادي لكتائب القسام في الضفة الغربية، ضمن مسيرتها المباركة في عموم فلسطين وعمل رائع لفكرة تحرير الأسرى من خلال التعرف على معاناتهم واستشعار الواجب نحوهم وفي المقدمة منه العمل على الإفراج عنهم.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب في ميزان حسنات المؤلف الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه والصلاة والسلام على رسول اللّه وبعد..

فإن أصدق الحديث كتاب اللّه ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ وإن أخي وصديقي أبو إسلام الذي شرفني بكتابة مقدمة هذا الكتاب الذي خطه بقلمه في غياهب السجون والزنازين قد سبق له أن خاض هذا الميدان بقدم سبق ويد صدق إن شاء اللّه مما يعطي لهذا الكتاب معنى خاصاً فليس من رأى كمن سمع وكما قال إمامنا البنا رحمه اللّه إنّ ميدان القول غير ميدان الفعل؛ وهذا الكتاب هو خلاصة مسيرة من الجهاد في سبيل اللّه منذ الخطوات الأولى لإنطلاقة مقاومة حركة المقاومة الإسلامية حماس في الضفة الغربية مع ثلة كريمة من المجاهدين الأفذاذ الذين خاضوا غمار هذا البحر المتلاحم فما ضعفوا وما استكانوا فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، فممن قضى نحبه ثلة كريمة رائعة صارت تيجاناً على جبين هذه الأمة وتجديداً لسيرة سلفها الصالح تجدون ذكرهم في صفحات هذا الكتاب تعطر سطوره وتنشر عبق زهوره، وممن ينتظر رجال آخرون قضوا زهرات أعمارهم وراء قضبان السجون وما بدلوا تبديلا حتى أذن اللّه بالفرج في هذه الأوقات المباركة وقد قدر اللّه أن يكون الفرج على يد إخواننا في كتائب القسام الذين حطموا هذه القيود والأغلال وهي ذات الشجرة الطيبة التي ساهم أخي أبو إسلام في غرس بذورها الأولى فكان هذا من تمام نعمة اللّه علينا وعلى إخواننا المحررين وقد قدر اللّه لي اللقاء مع إخواني ساعة خروجهم

من السجون وأحسست مرة أخرى أن الحياة تنبعث فينا من جديد وأن السيف يعود إلى قرابه ويحل الليث منيع غابه وإن هذه الخطوة المباركة التي أخرجت الأسود من غياهب الجب وضيق القيود ليست إلا المقدمة للعودة الظافرة إلى الأرض المقدسة التي بارك الله فيها للعالمين.

من حيث ابتدأنا فقد كان لقائي الأول مع أخي كاتب هذه السطور في تلك الجبال والوديان حيث بدأت مسيرة الجهاد والاستشهاد وعرفته أخاً غيوراً على وطنه لاينام ولا يترك أحداً ينام، لا يبالي بالمخاطر ثم دارت الأيام دورتها فالتقيته في زنازين التحقيق في محاولة من الجلاد أن ينتزع منه أو مني اعترافاً يدين به أحدنا الآخر فخاب ظنهم ثم التقيته مراراً في أقسام السجون ووجدته كما هو لا تفتر له همّة ولا يعرف الراحة إلا في العمل وها أنذا التقيته اليوم محرراً من تلك القيود بعد حوالي عقدين من الزمن وأجده كما هو لم تنل الأيام من عزيمته وهمته في شتى الميادين وهو ماضٍ إن شاء الله لاستكمال هذا المشوار الذي هو طريق ذات الشوكة الجهاد والمجاهدة بالقلم واليد واللسان عسى الله أن يجعل كل عملك وخطواتك في سبيل الله فقد وعد عباده المجاهدين بذلك على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم (لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها).

وسلام على عباده الذين اصطفى والحمد لله رب العالمين..

حركة المقاومة الإسلامية حماس/الضفة الغربية

صالح محمد العاروري

«أبو محمد»

تقديم

الحمد للّه ولي الصالحين، الناصر لدينه، الغالب على أمره، ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون. والصلاة والسلام على سيدي وقرة عيني رسول اللّه.. روحي فداك.. بأبي أنت وأمي يا رسول اللّه يا قائد الغر الميامين، وعلى آلك وصحبك المجاهدين ومن قاتل وجاهد تحت لوائك إلى يوم يقوم الناس فيه لرب العالمين.

إنه لعبء على النفس ونشاز في لحن أوتارها عندما تختلط المعاني ويفسد الإيقاع حيث لا يستقيم في عالم المؤمن ﴿**لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾. (الصف ٢-٣)

وإذا كان من البدهي لكل أمة أن تسطر تاريخها فإنه من الطبيعي أن يكون التاريخ أشد احتفاءً بأولئك الجبابرة الذين اختاروا لغة التغيير المنسوجة من الكلمات الحمراء المضرجة. يخاطبون بها العالم. وفي هذا السجن وكجهد متواضع لهذا الأخ المجاهد (زاهر جبرين) الذي عاش فترة في سوح المطاردة ومراغمة الباطل ومقارعة أبناء الجِبِلَّة المتكبرة يأتي هذا الكتاب. لا ليحصي تاريخ هؤلاء العظماء ولا ليسطر صفحات الجهاد كلها. إلا أنه عرض واضح لصفحة مشرقة من صفحات الجهاد الفلسطيني القسامي ليكون أثرةً تدل على خير عريض، وقمراً في سماء

الجهاد. يجذب أعين الناس نحو السماء. ويرقى بها عن السفوح الهابطة والمستنقعات الآسنة. نعم هكذا جاء هذا الكتاب عرضاً بسيطاً. تستطيع أن تقول عنه قطرة من غيث. أو غرفة من بحر الجهاد القسامي. ليعكس لك نموذجاً حياً من ساحة الحدث لنعيش صور الواقع الجهادي القسامي ببساطته وإخلاصه وصدقه وتجرده. لنعيش مع هذه الكوكبة الغراء. التي أخذت على نفسها ألا يؤتى من قبلها فكانت متراساً لأمة الإسلام وبمثلهم تسد الثغور وتتقى المكاره. طلبوا الموت وتقدموا مقبلين غير مدبرين.

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

إنها ظاهرة فريدة تأبى الخنوع والاستسلام. تهدم البيوت من فوقهم ويستشهدون. وحاجتهم في صدورهم لا يستطيعون لها فضاء.. الله أكبر.. لسان الحال يقول:

كنا نقدم للسيوف صدورنا لم نخش يوماً ظالماً جبارا

لم نخش طاغوتا يحاربنا ولو نصب المنايا حولنا أسوارا

نعم إنها عظمة الإسلام انصهرت في بوتقة نفوس هذه العصبة فأعطت عطاء من لا يخشى إقلالاً. وأنفقت من الدماء والأشلاء ما تزكو بها شجرتها الأصيلة الثبات في الأرض المقفرة في السماء.

هكذا الجهاد يرفعك إلى العلياء. وتفتح به عليك بركات من السماء والأرض فترى هذا النصيب من تعاطف الجماهير المسلمة. والمناصرة هنا وهناك في الأرض كل الأرض. مع أحق وأعدل قضية يخوض غمارها شعبنا، إنه الجهاد الذي كان ببركته لحركتنا هذا الحظ الوافر من الهيبة

والرهبة في نفوس أعداء الأمة من يهود الذين استنفروا العالم بأسره للحرب ضد هذه الدعوة.

إن هذا التفاني في العطاء هو الذي أفقد العدو صوابه وأسقط جميع خياراته وكشف عن حقيقة وجهه السافر أمام كل ضعف. وأوقفه حائراً متردداً مهزوماً أمام من باع نفسه لله.

وجاء هذا الكتاب ليعكس ومضة من سيرة أناس كشفت عنهم المرحلة صفحات القدر، إلا أننا لا ننسى رجال المرحلة في كل مرحلة، والجنود المجهولين الذين كانوا وما زالوا تنطق عنهم أفعالهم ويجهلم الناس فإليهم كل التحية والاحترام ونسأل الله تعالى لهم الثبات في المضي على تحمل تبعات ذات الشوكة.. اللهم أمين

والله أكبر

وإنه لجهاد نصر أو استشهاد

الفقير إلى الله

محمد محمود أبو طير

(أبو مصعب الخير)

تمهيد

الحمد لله والصلاة والسلام على قائد كتائب المجاهدين سيدنا رسول الله وبعد.. فلقد علمني الإسلام طريقة واحدة لكتابة التاريخ.. هي أن من أراد أن يكتب لأمة تاريخها فليكتب بالأحمر القاني. ومن سطر تاريخه بدمه فليس بحاجة ليكتب بهذا المداد الجاف أو يكتب عنه. كذلك قناعتي ألا أكتب تاريخاً كتبه الشهداء وخطوا حروفه بدمهم الفوار. ذلك أن علو هامة «الدماء» يفضح انحناء الحبر والمداد! وشموخ قامة «الشهداء» يقزم كل كلمة وكل بيان! فقررت ألا أكتب عن تاريخ الأحداث الجهادية. حتى ألح علي أخوة كرام بضرورة الكتابة مستعظمين أن تظل بطولات أولئك الأبطال وجهادهم وتجربتهم بعيداً عن متناول الأجيال القادمة. ومن سيكتب إن تخلى عن ذلك من عاصر العمل ومارسه وعمل به منذ بدايته؟ وبعد مضي أربع سنوات على الاعتقال قررت أن أكتب وفاءً لدماء الشهداء. ولكي تعلم الأجيال أي رجال كانوا... ولتشاهد الأجيال الأحداث والبطولات من داخلها... فتكون حافزاً لهم للالتحاق بدرب الشهداء والسير على خطاهم. ومن يكرم الشهيد يتبع خطاه.

إنه لقرار صعب على نفسي! وإنها لذكريات تدمي العين والقلب! فكيف تطاوعني يدي أن أكتب؟ أتراها تسعفني الكلمات لأصف

وأسجل وأروي عنهم؟ إنها لجرأة كبيرة أن يكتب هذا القلم عمن كتبوا بشرايين دمهم الذي تفوح منه رائحة المسك والشهادة فاصطفاهم الله من بيننا بأكرم ما يكون الاصطفاء. واختارهم بأعز ما يكون الاختيار: ﴿**أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**..﴾ (آل عمران ١٦٩).

اختار من صفوفنا أحب من رأت عيوننا، اختار من صفوفنا أحبة كباراً.. تحية لهم سلام... فليسمح لي الشهداء أن أكتب فإني غير مختار!

ماذا أكتب عن الشهيد الأول **ساهر التمام** ابن جبل النار الذي خط طريق العزة والإباء وكان له شرف السنة الحسنة في السيارات المفخخة. ليكون الموعد مع الشهادة في بيسان حيث حطين وعين جالوت كانت شهادة ساهر في أول سيارة مفخخة. ولتتوالى بعد ذلك التفجيرات في تل الربيع «تل أبيب» والقدس.

وكل مدينة يتواجد فيها العدو. فلك أيها الشهيد الحي كل المعذرة فأنت الولد المدلل لوالديه. أنت مصعب بن عمير حيث السيارة الفخمة والملابس الناعمة والسكن الفاخر والمال الوفير والشاب الوردي الزاهر الذي أعرض عن نعيم الدنيا الزائل وطلب السلعة الغالية. سلعة الله التي وعد بها عباده المجاهدين.

وكيف أفي القائد الشهيد **عدنان مرعي** «**أبو مجاهد**» حقه؟ ولو كتبت عنه مجلدات ما وفيته جزءاً من حقه وهو الذي تبرع بكل ما ادخر من نقود من أجل تأسيس الجهاز القسامي في المنطقة عندنا. فمضى إلى ربه بنفسه وماله.. وماذا عساي أقول عن الشهيد البطل **علي عاصي** «**أبو جهاد**» الذي ترك الزوجة والأولاد وخرج مجاهداً في سبيل الله وتبرع

بسيارته التي لم يكن يملك غيرها من أجل الجهاد... بجهود هؤلاء، وأمثالهم. وإخلاصهم. وتضحياتهم بوقتهم.. ومالهم.. وأرواحهم في سبيل الله تأسس العمل الجهادي وانطلق على يد هذه الفئة المؤمنة، تأسس أكبر جهاز عسكري لكتائب القسام في منطقتنا.

ويستمر درب الشهادة حتى يلحق قائد الاستشهاديين، مهندس القسام.. منطقة «سلفيت» مهد الكتائب «**يحيى عياش**» بإخوانه الأبطال ليكون لقاء الأحباب من جديد في مقعد صدق عن مليك مقتدر.. فمتى نلحق بالركب؟.. ذهبتم جميعاً يا أحبتي وتركتموني وحدي هنا في سجني وتشهد الزنزانة أني حلّقت إليكم بروحي لم يمنعها القيد الذي أدمى معصمي.. آه متى يكون اللقاء متى يكون؟

وخرجت فلسطين كلها في وداع المهندس وبكت الأمة كلها قائدها الشهيد الذي سطر أروع ملاحم التاريخ بطولةً وتحدياً وفداء. ومرغ أنف العدو المتغطرس بالتراب، ورحل إلى ربه شهيداً عزيزاً بعد أن علَّم الأمة أن الإيمان بصنع المعجزات وأن الجهاد وإن شحت الأسباب المادية.. هو الطريق الوحيد لحرية الأمة وكرامتها وعزها وحياتها.

عن هؤلاء الشهداء سأكتب. عن هؤلاء العظماء سأروي.. فما أصعب الكلام فحديثي - أو معظمه - عبر أسطر هذا الكتاب حديث عن تجربتي الشخصية من خلال ممارستي العملية. أما تجربة كتائب القسام وبطولات رجالاتهم فلا تحصيها كتب. وما حديثي إلا عن فصل - عشته وواكبته - من فصول كتائب القسام الجهادي الناصع. فليعذرني شهداء القسام وأبطال القسام الذين لم أتحدث عنهم فهم

– والله – في القلب والوجدان أرسخ وأثبت من أن يُنسوا أو يُتجاهلوا... وحسبهم الله الذي يعرف ما قدموا وبذلوا. ولا يضيع عنده سبحانه أي عمل جهادي.

حديثي – إذن – عن تجربتي الخاصة كواحد من كتائب القسام في فلسطين في بدايات عملها بالذات. وقد شاركني في التعليق والكتابة في بعض فصول الكتاب أبطال أسر القسام معي في السجن مثل:

الأخ موسى دودين (دورا الخليل).

والأخ محمود عيسى (عنانا القدس).

والأخ عبد الناصر عيسى (مخيم بلاطة نابلس).

والأخ حسن سلامة (غزة)

والأخ عبد الحليم حنيني (بيت دجن)

جزاهم الله كل خير، ولهم تجاربهم المميزة التي لو كتبوا عنها لأفادوا كثيراً.. وليتهم يفعلون.

وقبل البداية وإنصافاً للحقيقة ووفاء للشهداء أقول: إن الكتابة عن «القسام» تُلزمني بأن أبدأ من «قراوة بني حسان» فلهذه البلدة الطيبة التي لا تخرج إلا طيباً كل التحية والإكبار وأخص أهل الشهيد **عدنان مرعي** «**أبو مجاهد**» والده: أبو عزام والأم أم عزام وزوجة الشهيد وأبناءه براءة ومجاهد. وكذلك أهل الشهيد **علي عاصي** «**أبو جهاد**» وأسرته... فلهم مني كل التحية والوفاء والإكبار.

فالحديث عن قراوة بني حسان يعني الحديث عن السيارة المفخخة الأولى والسيارات التي تطايرت في تل الربيع والقدس ونتانيا..

ومن بلدتي الطيبة «سلفيت» التي خرجت جنود السيارة المفخخة الأولى في «رامات أفعال» أبعث أغلى التحيات، وأخص بالذكر أمي الغالية التي تحملت الصعاب في فترة الانتفاضة المباركة وخلال مطاردتي.. وإلى أبي الحبيب الذي عانى الكثير الكثير حيث طوردت أنا، وسجن أخي الصغير سامي وأبعد أخي الكبير فتحي في فترة واحدة. أسأل الله العلي القدير أن يجعل عناءهم وصبرهم في ميزان حسناتهم وأسأل الله أن يجعل لقاءنا قريباً إنه سميع مجيب.

وقبل أن أختم أودّ أن أسجل اعتراض بعض الأخوة المجاهدين في السجن - هنا - على أن هذا الكتاب قد يُنقص الأجر الرباني ويدخل في باب الرياء. ولا يجب للمجاهدين أن يتحدثوا عن أنفسهم.. وكادت هذه الاعتراضات الكريمة أن تجعلني أتراجع عن الفكرة تماما ثم كان أن عزمت وتوكلت وكتبت سائلا الله حسن القبول وأن ينصرنا على من عادانا ويفك أسرنا.. إنه سميع مجيب.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيباً﴾ (الإسراء٥١)

المعتقل في سجون الاحتلال

زاهر علي جبرين

عسقلان



الفصل الأول

البدايات

- نشأتي الإسلامية.
- بداية الانتماء الحركي.
- نشأة حماس في سلفيت.
- الاعتقال الأول والثاني.
- بداية العمل الجهادي الجاد.
- التحول للعمل المباشر ضد الاحتلال.
- لقاء الأسود لقاء الكتائب.
- عقبات على الطريق.
- العملية الأولى.

البدايات



نشأتي الإسلامية:

بدأت الصلاة صغيراً وأنا في الصف الثالث الإعدادي، حيث بدأت أحث الخطى نحو المسجد في بلدتي سلفيت التي كانت تسمى بـ «موسكو الصغرى» على أساس أنها مركز الشيوعية والإلحاد آنذاك. وكان الذهاب للمسجد في بلدتي وقتها - من قِبَل شاب أو فتى يعدُّ أمراً غريباً مستهجناً إذ إنَّ المسجد حكر على كبار السن! وكنا وقتها فتياناً في ريعان العمر نرتاد المسجد ونُعَدُّ على الأصابع!

الكل ينظر إلينا باستغراب. بل وبسخرية أحياناً. وكثيراً ما يصل الأمر إلى الغمز واللمز. كنا متمسكين بديننا وعقيدتنا كالقابضين على الجمر. وبدأنا بإقامة الأنشطة الدينية والاحتفالات في المسجد؛ الأمر الذي وجد معارضة من رواد المسجد، كبار السن، الذين اعتبروا الأمر كأنه دين جديد وخروج على الأعراف! كان الإفطار الجماعي في المسجد يعدّ كبيرة. والنشيد الإسلامي داخله جريمة... وهكذا واجهتني الصعاب في طريقي الإسلامي منذ البداية. وأنا لم أزل فتى يافعاً لم يكد يفقه من شؤون الحياة شيئاً. لكن ذلك كله حببنا في الإسلام وجعلنا نتفانى في خدمته والتمسك به. وفي بداية الأمر كانت صلاتي نابعة من الفطرة، ولم أكن أعلم أو أتوقع أنني سأنضم يوماً إلى «جماعة الإخوان المسلمين» بل إني كنت أكرههم وأعمل ضدهم بسبب الدعاية الكاذبة التي كانت تروج ضدهم قبل الانتفاضة وخاصة بعد حرب لبنان عام ٨٢ حيث اتهموا بالخيانة! إضافة لمشاكل الجامعات وما كان يروج حولهم وعنهم... ولست أريد التحدث عن هذا الموضوع رغم أنه يحتاج إلى الكثير من التفصيل.

بداية الانتماء الحركي:

كأي شاب عاش في فلسطين في النصف الأول من عقد الثمانينات، فقد سمعت الشائعات التي كان يروج لها المروجون ضد دعاة الإسلام وخاصة «الإخوان المسلمين» وبالتالي فقد كنت أكرههم أشد ما يكون الكره، رغم علاقتي المميزة بشباب المسجد وحبي لهم. لم أعلم يومها أن بعض هؤلاء الشباب ينتمي «للإخوان المسلمين» فبقيت أشترك معهم في الجلسات أكثر من سنتين وأنا لا أعرف ذلك وفي عام ١٩٨٦ وفي يوم من الأيام التي زرت فيها جامعة النجاح بنابلس خلال انتخابات مجلس الطلبة، قامت حركة الشبيبة الفتحاوية وقتها بتوزيع نشرة بعنوان «الإخوان المسلمون ما أشبه اليوم بالبارحة» فحصلت على تلك النشرة وكنت متلهفاً لقراءتها خاصة وأنه كتب عليها «بحث علمي» أي إن كل كلمة فيها لها مرجع وموثقة وهذا ما كنت أريده فقرأت عناوين مراجع البحث. وقدر الله يومها أن يكون هناك معرض للكتاب تقيمه الكتلة الإسلامية في الجامعة فاشتريت خمسة كتب من المراجع التي استند إليها البحث وأذكر منها «مجموعة الرسائل» للإمام الشهيد حسن البنا. و«مذكرات الدعوة والداعية» للشهيد البنا، وأخذت أتحقق من كل كلمة وجملة كتبت في هذا البحث البعيد كل البعد عن العلمية والموضوعية فأدركت الحقيقة... وبعد قراءة الكتب الخمسة تأكدت من أن هؤلاء الناس «الإخوان المسلمين» مفترى عليهم وهم براء من كل التهم الموجهة إليهم وبعدها شرح الله صدري لهذه الحركة وأخذت أعشق القراءات عنها لمعرفة المزيد ولأستطيع الدفاع عنها. وأدركت أن الكل يخافها لأنها على الحق وهذا ما زادني تمسكاً بهذه الحركة الربانية وانتماءً لها.

نشأة حماس في سلفيت:

مع بداية الانتفاضة سنة ١٩٨٧ كان ميلاد حماس في سلفيت – كما في كل الوطن المحتل – وللقارئ أن يتخيل مدى الصعوبات التي واجهتنا خلال تأسيس حماس في البلدة. حين يعلم أنه في تلك الفترة كان لبس الحجاب أمرٌ غريب ومستهجن، حتى جاءت حماس وبدأت الدعوة وأحيت المفاهيم الإسلامية بين الشباب والفتيات حتى أصبحت ترى شوارع سلفيت ممتلئة بالمحجبات.

لكن الاختبار الأول والأصعب كان عندما أعلنت حماس عن الإضراب وأردنا تطبيقه في القرية فواجهنا معارضة شديدة ولكن بحمد اللّه نجحنا في فرض الإضراب.

وبعد مرحلة من الصعوبات، صارت حماس في البلدة تتصاعد جماهيريتها حين رأى الناس مصداقيتها، وصدق جنودها، وإخلاصهم. وأصبح نجم حماس يتلألأ في سماء سلفيت وأصبحت – بفضل اللّه – تضم كل فئات المجتمع، الرجل، والمرأة، والفلاح، والعامل والدكتور والمهندس وكما هو حال حماس في معظم المناطق والبلدان.

الاعتقال الأول والثاني:

شرفني اللّه بأن جعلني أحد خمسة شباب أسسوا حماس في سلفيت، وشرّفهم اللّه بجهاد المحتلين الغاصبين. وكانت حماس كغيرها من الفصائل في مقدمة المنتفضين وفي ١٩٨٨/١/٥ اقتحم الجيش بلدتنا وحدثت مواجهات عنيفة.

كان الشباب المسلم في مقدمتها فأصبت برصاصة في رجلي اليسرى، وقد استمرت المواجهات أكثر من خمس ساعات خرج الجيش بعدها من البلدة حوالي الساعة الثامنة مساءً، عندها نقلني أبي وعمي في سيارتهم إلى المستشفى في نابلس. وفي الطريق تحديداً عند قرية إسكاكا المجاورة كانت قوات الجيش قد نصبت كميناً فألقوا القبض علي وأنا مصاب. وأخذوني إلى مستوطنة أرئيل المبنية على أرض قريتي وقرية مردا، ومكثت أكثر من ثلاث ساعات ملقى في السيارة بلا علاج وقدمي تنزف والألم يزداد وليس لي إلا الدعاء والاستغفار والصبر. ثم نقلوني إلى مستشفى مئير في كفارا سابا ومكثت هناك ثلاثة أيام نقلت بعدها إلى التحقيق في الفارعة وتم شبحي أكثر من شهر في الهواء، وعلى الأرض، ومع استخدام وسائل التحقيق الأخرى المعروفة. وما هي إلا فترة بسيطة... حتى حُكمت ثمانية شهور، تنقلت فيها بين معظم المعتقلات الإسرائيلية: الفارعة، ومجدو، وعتليت، والنقب. حتى أفرج عني من سجن النقب. خرجت من السجن وكانت العزيمة من حديد.. خرجت وأنا مصمم على مواصلة الطريق..

ثم اعتقلت في بداية سنة ١٩٩١ في إثر ضربة حماس عام ١٩٩٠ التي اعتقل فيها أكثر من ألف مجاهد من غزة والضفة. واعتقلت في ١٩٩١/١/٢٢ وأنا مريض وتم التحقيق معي في طولكرم والمسلخ، وكان من أصعب ما رأيت، وحكمت عشرة شهور. ثم أفرج عني من النقب وكانت الاستفادة في هذه المرة أكثر وأكثر خاصة في مجال الأمن والمعرفة كما كوّنت شبكة كبيرة من المعارف.

بداية العمل الجهادي الجاد:

بعد خروجي من السجن بفترة، وبعد عدة أسابيع من الإفراج عن المجاهد عدنان مرعي «أبو مجاهد» من قرية بني حسان -، والذي مكث في السجن عامين ونصف -، تعرفنا على بعضنا وكان أول لقاء في بيتنا في بداية ١٩٩٢ وقد دار الحديث عن الوضع العام للحركة وفي منطقتنا بشكل خاص واتفقت وجهتا نظرنا في أن الحجارة والمظاهرات لم تعد عملاً مقنعاً كافياً، فلا بد من التوجه للعمل الجهادي الحق. اتجه تفكيرنا نحو العمل الأمني وحرب العملاء. واتفقنا على تشكيل لجنة أمنية للمنطقة، وكان الشرف الأكبر أن تضم هذه اللجنة الشهيد القائد: يحيى عياش إضافة إلى الشهداء عدنان مرعي، وعلي عاصي من قراوة وكنت رابع هذه الكوكبة من الشهداء.

وبعد اجتماعات عدة تم خلالها اختيار مجموعات وإعداد خطط، قررنا سحب أحد أكبر العملاء في قراوة والتحقيق معه حيث جهزنا مجموعة للرصد وأخرى للخطف والنقل وثالثة لتوفير المكان خارج القرية وأخرى للتحقيق والعمل. وتم سحب العميل من قبل مجموعة مكونة من ثلاثة مطاردين مسلحين بمسدسين تم الحصول عليهما وتوفيرهما مسبقاً بشق الأنفس وتبرعات الشباب من أموالهم الخاصة؛ وأعددنا سيارتين على حدود البلدة لنقل العميل ووضعنا العميل في إحداها وكانت الأخرى للاستطلاع والرصد بحيث تسبقها وتتأكد من سلامة الطريق، وكان قرار نقل العميل خارج البلدة نتيجة لتوقعنا أن أهله وذويه سيقومون بالبحث عنه وهذا ما حدث فعلاً وعند وصولنا المكان

المحدد، وكان عبارة عن (مغارة) في قرى المنطقة، بدأنا التحقيق معه الذي استمر ثلاثة أيام، حصلنا فيها على مجموعة من الاعترافات، وقد كنت والشهيد عدنان طاقم التحقيق معه... حيث كنا نقوم بشبحه خارج المغارة أحياناً في شجرة قريبة من بابها. في اليوم الثالث جاء أصحاب الأرض مصادفة لقطف التين، فشاهدونا فاضطررنا لتغيير المكان والانتقال إلى مغارة أخرى في مكان آخر وعند حلول المساء اضطررنا لتركه والذهاب إلى بيوتنا للاستحمام وقد أحكمنا وثاقه وحين عدنا إليه صباحاً وجدناه قد أفلت وهرب قبل أن يُستكمل التحقيق معه.

وقد كانت هناك محاولات أخرى في هذا الاتجاه الذي استمر عملنا فيه أكثر من ستة شهور.

عقبات وصعوبات واجهتنا في عمليات السحب والتحقيق:

١- العتاد:

وهي العقبة التي ظلت تلازمنا طيلة عملنا، وقد كانت أكبر عقبة حيث لم نجد مصدراً آمنا لتوفير السلاح، وكنا نحصل عليه بصعوبة بالغة ونتعرض فيها للخطر في كثير من الحالات.

٢- المال:

لم يكن لنا وقتها اتصال رسمي بالحركة بسبب انقطاع الخيوط والخطوط التنظيمية عقب الضربات التي تعرضت لها حماس، واضطررنا إلى الاعتماد على جيوبنا وتبرعات الشباب المسلم حيث تبرّع الشهيد عدنان مرعي بكل ما ادخر من المال، وتبرع الشهيد

علي بسيارته إذ جعلها تحت تصرف المجاهدين للنقل والرصد والحركة، وأحياناً كنا نضطر لاستدانة بعض الأموال. كان العمل يأخذ علينا كل تفكيرنا ووقتنا وصممنا على إنجاحه مهما كان. وقد ساعدنا هذا في تجاوز العقبات، ذلك أن الإرادة – بعد توفيق الله – تصنع العجائب وهذا ما كان بفضل الله.

٣- عمليات الرصد والمراقبة وتجميع المعلومات:

يحتاج هذا العمل إلى تفرغ شبه كامل لمتابعته الأمر الذي لم يكن متيسراً.

٤- التنفيذ:

تغدُ هذه المرحلة من أصعب المراحل، حيث يتطلب توفير مكان آمن مسبقاً، ثم إخراج العميل من بلده سريعاً كي لا يقوم أهله بالبحث عنه والعثور عليه. كما تتطلب الحركة والانتقال سيارتين في الأقل؛ تكون الأولى للرصد والاستطلاع والاستكشاف خوفاً من الحواجز العسكرية ونقاط التفتيش.

٥- توفير مجموعات التحقيق:

يتطلب هذا الأمر مجموعات مدربة يمكنها البقاء مع العميل والمبيت عنده، الأمر الذي كان صعباً على غير المطارد ذلك أنه لا يمكنه المبيت خارج بيته.

هذه جملة من المعوقات التي كانت تعترضنا خلال عملنا في تلك الفترة التي استمرت شهور عدة قمنا خلالها بالعديد من عمليات السحب والتحقيق، وكانت النتائج تتراوح بين النجاح والفشل.

أثر هذه الأعمال في الناس...

وفي شباب حماس في المنطقة:

في تلك الفترة «سنة ١٩٩٢» كانت حركتا فتح والفهد الأسود قد تصدرتا الساحة في حرب العملاء واكتسبتا هيبة عند الناس. وكان شباب حماس يتمنون أن يكون لحماس دورها الفاعل في حرب العملاء ومواجهتهم؛ لذلك لقيت هذه الأعمال ارتياحاً كبيراً وشعوراً بالرضا لدى أوساط حماس في المنطقة. وكانت سبباً في تحفيزهم وتنشيطهم وإبداء رغبتهم واستعدادهم للمشاركة في مثل هذا العمل. أما الناس فالكثير منهم مَنْ كان يرى في حماس أنها المنقذ والأمل. فكانوا متحمسين لعمل حماس، حيث كانوا يأملون ويتوقعون ألا تقع حماس في الأخطاء التي وقع فيها غيرها في التعامل مع ظاهرة العمالة!.

كان الناس يستاؤون من بعض الحالات التي يتم فيها التمثيل بالعملاء مثلا؛ كما أن سحب العميل من بين أبنائه وزوجته، كان يؤدي إلى ردة فعل سلبية عند عموم الناس. وأذكر أننا قررنا في ليلة عيد الفطر سحب عميل من بيته أمام زوجته وأولاده الخمسة ولكننا فشلنا - الحمد لله -.

هذا وقد اكتسبنا في عملنا الأمني العديد من الخبرات وأكسبتنا التجربة الكثير الكثير... إلا أننا شيئاً فشيئاً بدأنا ننظر للأمور بمنظار آخر جديد، حيث بدأنا نفهم طبيعة الصراع وحقيقته وشكل المعادلة كما ينبغي. لم يكن هناك من يوجهنا «بسبب الضربات وانقطاع الاتصالات» وكان علينا وحدنا أن نخطط وننفذ. كان علينا وحدنا أن نرتب سلم أولويات العمل بما يحقق مصلحة حركتنا..

أدركنا أن هناك عدواً واحداً يجب محاربته أولاً. فاليهود هم من يجب (هم من يجب) أن توجه كل البنادق نحو صدورهم الجبانة، كما يجب أن تصب كل الجهود والطاقات في ضرب جنودهم ومصالحهم؛ فهم المجرمون الذين جنوا على شعبنا ويتحملون المسؤولية كاملة عن كل مآسيه. ولولا اليهود ما كان هناك عملاء. العملاء هم شركاء احتلال مجرم، مفسد، ماكر، خبيث جر على شعبنا الويلات فقتل وشرّد واعتقل وأبعد واستوطن. الاحتلال هو رأس الأفعى الذي يجب قطعه وقديما قال الشاعر:

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها　　　إن كنت شهما فأتبع رأسها الذنبا

لذلك قررنا أن نبدأ بالرأس لنذيقه ويلات ضرباتنا وندع الذنب! كان علينا أن نزلزل الأرض من تحت أقدام الغزاة، فالعملاء سيزولون بزوال الاحتلال.

أدركنا ذلك وحدنا في فترة سطع فيها نجم فتح والفهد الأسود في حرب العملاء، واخترنا نحن الطريق الأصعب. الطريق الذي ينبغي أن يسلكه الجميع ليكون ضرب الاحتلال الأول في سلم أولويات كل مجاهد مقاتل في بلادنا الحبيبة، ومن فضل الله «عز وجل» أن توجهنا هذا قد تناغم مع توجه الحركة العام، وتوافق مع عملها ومنهجها في كل المواقع.

إن بقاء الضربات في دائرة العملاء يعني أننا لم نخرج من دائرة شعبنا، بينما اليهود سالمون! ومَهْمَا كان العميل مُهمًّا عند اليهود «فهو غير يهودي»!! إنه فلسطيني «مسلم»! لا نقصد التقليل أو التهوين من خطر العملاء وأثرهم.. ولكنا نبحث في جذور المرض...

وقد وجدناه في هذا الاحتلال المجرم. فهل نترك المجرمين الحقيقيين

لتظل حربنا في دائرتنا الفلسطينية؟! هكذا بدأ تفكيرنا بالتحول.!

ومع الأيام أدركنا صواب هذا التوجه وأثبتت الأيام والتجربة أن الصراع الحقيقي إنما يكون مع العدو الأول، مع الاحتلال الغاصب. فبدأنا بتغيير المسار والتفكير في ضرب اليهود، ومواقعهم وتجمعاتهم. وفي تلك الفترة «منتصف ١٩٩٢» تقريباً كان نجم كتائب القسام في غزة بالذات قد بدأ يسطع في سماء الوطن. فقررنا العمل مع كتائب القسام وتأسيس مجموعات الكتائب في شمال الضفة الغربية.

التحول للعمل المباشر ضد الاحتلال:

بدأنا التخطيط والإعداد لضرب الاحتلال مباشرة، ولم نجد نواة صلبة لتنفيذ هذا العمل الجهادي وقتها إلا المطاردين في أكثر من مكان وموقع. وكانوا قد طوردوا دون رعاية الحركة وتوجيهها، ويبدو أنه لم يكن هناك برنامج للحركة وقتها قادرٌ على متابعتهم، وتوفير العمل الملائم لهم، ويبدو أنه لم يكن مبرمجاً وقتها استيعابهم في عمل جهادي حقيقي لدى الحركة في منطقتنا. لذلك كانوا يعانون من الضيق والشدة لقلة الاهتمام بهم، خاصة في فترات الضربات. وانقطاع الاتصالات التنظيمية فكان علينا الاتصال بهم وتنظيمهم في مجموعات «الكتائب» وتم تكليفي بهذا الأمر فبدأت الاتصال بهم. ومتابعتهم وهؤلاء الإخوة هم:

١- **سلامة عزيز مرعي** - قراوة بني حسان - نابلس.

٢- **نديم دوابشة** - دومه - نابلس.

٣- **مهدي** - عقربة - نابلس.

٤- **راضي توفيق مرعي** – قراوة بني حسان – نابلس.

٥- **محمد عارف بشارات** – طمون –جنين.

٦- **أشرف غازي واوي** – بلعا – طولكرم.

ولم يكن بحوزتهم سلاح يذكر، فقد كان بحوزة الأخوين نديم ومهدي «مسدس وبندقية انجليزية» وكان لديهما شوق للجهاد، والتضحية والبذل وقد كانت فرحتهم كبيرة جداً عندما اتصلنا بهما وأخبرناهما أننا سنبدأ عملاً منظماً مع الكتائب.

وعملنا في تلك الفترة من شهر ٨ عام ١٩٩٢ على الاتصال بكتائب القسام في غزة، ونجحنا في ذلك بفضل الله فبعد أن تم القبض على خلية الكتائب الأولى غزة في رام الله أعني الإخوة: محمد أبو عايش، محمد أبو عطايا، محمد حرز.

وقد حضرت إلى منطقتنا مجموعات من كتائب غزة، ولم يكن الشهيد عماد عقل من بينهم، حيث كان وجوده وعمله في منطقة الخليل.

لقاء الأسود.. لقاء الكتائب:

كان لقاءً لن أنساه؛ ذاك الذي جمع مطاردي الكتائب من غزة مع مطاردي الضفة أول مرة في قرية قبلان - نابلس - كان لقاء أحرار لم أشاهد مثله في حياتي، فقد تعانق المجاهدون بحرارة عجيبة حيث لم يتمالك مطاردو الضفة أنفسهم من الفرحة حين رأوا رشاشات إم ١٦ التي كانت بحوزة مطاردي غزة، فبدأت عيونهم تدمع من الفرحة والشوق للجهاد... كانت المرة الأولى التي يحملون فيها

الرشاشات كان أحدهم يحضن الرشاش ولا يريد أن يتركه أبداً ويود لو ينام في حضنه وعلى صدره تلك الليلة! ذرفت من عيوني دموع الثائر للشهداء والوطن السليب دموع الشوق للشهادة والجهاد. كبَّر المجاهدون وهللوا وأخذوا يتوعدون اليهود، وبدأ مطاردو غزة يدربون مطاردي الضفة على السلاح وتفكيكه، وتركيبه، واستخدامه لكنه كان تدريباً بسيطاً وأولياً، نظراً لصعوبات سنتحدث عنها لاحقاً إن شاء الله.

كانت تنقلات المطاردين وحركتهم صعبة رغم أنهم كانوا يتحركون بهويات مزورة، وكنت مكلفا بتأمين حركتهم، ومأواهم وتنقلاتهم، ومستلزماتهم والاتصال بهم، وفي تلك الفترة كنا قد بدأنا نربط بعض الخيوط بالتنظيم والحركة، الأمر الذي ساهم في توفير بعض الأموال التي لم تكن كافية، فظل اعتمادنا على تبرعات الشباب المجاهد الذين كانوا يمنعون عن أبنائهم لقمة الخبز وهدايا العيد ليتبرعوا من أجل الجهاد. فيقدموا بذلك النفس والمال في سبيل الله. وقد وجد مطاردو غزة في العمل داخل الضفة سهولة أكثر؛ لانتشار اليهود والمستوطنات في كل بقاع الضفة، واتساع المناطق الساحلية الجغرافية وانتشار الأشجار والجبال والسهول..الخ الأمر الذي يسهل العمل والاختفاء وهو ما لم يكن متوفراً في غزة.

عقبات على الطريق

ولكن كان هناك الكثير من العقبات التي واجهتنا في تلك الفترة ومنها:

١ - توفير السلاح:

كان مصدر قلق كبير بالنسبة لنا، حيث لا مصادر آمنة أو موثوقة وقد تعرضنا للخطر مراتٍ عدة واعتقل بعض الشباب في محاولات لتوفير السلاح. كما حدث على سبيل المثال مع الأخوين: فراس مرار، وعلاء خضر من قرية الجديدة - جنين - اللذين كانا يطلبان العمل والمشاركة ويريدان حمل السلاح فقاما بتنفيذ عملية طعن ضد أحد اليهود في الناصرة في محاولة لاختطاف سلاحه فلم يتمكنا من ذلك حيث طاردهما اليهود هناك وأطلقوا عليهما النار... وتم اعتقالهما فيما بعد، ومن الصعوبات في هذا الجنب:

أ- أن المجموعة نفسها التي تريد التنفيذ هي التي تبحث عن السلاح.

ب- لم نكن نعرف مدى صلاحية السلاح كما يجب.

ت- ارتفاع أسعار قطع السلاح، حيث كان سعر القطعة الواحدة يصل إلى خمسة آلاف دينار أردني، ورغم كل ذلك استطعنا الحصول على بعض قطع السلاح التي تم استخدامها.

٢ - التدريب:

لم يكن ثمة تدريب حقيقي حيث كان معظمه نظرياً! وكان إطلاق النار قليلاً جداً لقلة الذخيرة أولاً ثم لعدم وجود مكان آمن مناسب لذلك. فاليهود منتشرون في كل مكان. لذلك كُنّا نضطر أحياناً لإطلاق النار داخل (الكهوف) ولكن قوّة الرصاص كانت تصم الآذان.

وأذكر أنني اتفقت مع أخوين من مطاردي غزة ليقوما بتدريبي في

إحدى المناطق الجبلية النائية حيث اخترنا فترة الظهيرة لتلافي وجود أشخاص. كان علينا قطع مسافة كبيرة بين الجبال مشيا. في جوٍّ شديد الحرارة حيث لم يستطع الأخوان مواصلة السير وأغمي على أحدهما فوضعتهما في مغارة. وتابعت المسير وحدي لأقرب قرية. والصداع يكاد يقتلني حتى كاد أن يغمى علي وأصاب بضربة شمس لولا لطف الله. حتى وصلت القرية فتوجهت لبيت أحد المجاهدين الذين كانوا يعملون على مساعدتنا فقام بنقل العتاد والشباب وعمل ما يلزم.

يُذكر أن دور مطاردي غزة في منطقتنا اقتصر على التدريب فلم يشاركوا إلا في العملية الأولى حيث كان دور أحدهم إيصال منفذها إلى موقع التنفيذ، غادرنا الإخوة مطاردو غزة بعد العملية الأولى وبقينا بعدها نواصل العمل الجهادي ونشارك في عزف لحن البطولة بصوت الكتائب وهدير أفعالها ..

العملية الأولى:

عملية التلة الفرنسية -القدس -٢٢/٩/١٩٩٢.

بعد طول انتظار وشوق، كان التخطيط للبداية الحقيقية التي أردناها أن تكون قوية، نوعية مميزة. فاخترنا المكان: القدس، والهدف: محطة جنود في التلة الفرنسية. بحيث يتقدم مجاهد بزي عسكري ويبدأ بإطلاق النار الكثيف باتجاههم. جاءت فكرة الزي العسكري من (الوحدة الخاصة) الإسرائيلية التي كان فيها الجنود الإسرائيليون يتنكرون كعرب لينفذوا أهدافهم. فلماذا لا نتنكر كيهود لتنفيذ

عملياتنا؟!

وقد اختير محمد عارف بشارات ليكون منفذ العملية وقد صمم على أن تكون العملية استشهادية بحيث يتم إيصاله ليواجه الجنود وحده ويفرغ بهم كل ذخيرته (كان يحمل إم ١٦ مطورة مع ٤ أمشاط ذخيرة) ثم يلقى ربه شهيداً لأنه لم يكن يرغب بالعودة إلى هذه الدنيا التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة... وبعد تفكير طويل قررنا الاستجابة لطلبة وبدأنا نعدها عملية استشهادية بوداع البطل. كان وداعاً مؤثراً ولقاءً لا يُنسى اختلطت فيها الدموع والعبرات.

تخيّل نفسك وأنت تودع رجلاً يوقن أن منيَّته في الغد، وأن هذه ساعاته الأخيرة على ظهر الأرض!!! مجاهدٌ يحمل روحه في كفه وليس بينه وبينها إلا أن يفتح كفه فتحلق روحه إلى بارئها!!

لك أن تتخيل هذا المشهد، تتخيل حالته ومشاعره ثم مشاعرك أنت!!! إنها لحظات لا توصف! عانقناه وأوصيناه أن يشفع لنا فوعدنا بذلك...! جاء اليهود يحملون الموت إلينا وما يدرون أن الموت سلاح بين أيدينا!! نعبر بوابته إلى ساحة الخلد وحياة الخلود.

وفي صباح يوم الثلاثاء ١٩٩١/٩/٢٢ ارتدى الأخ محمد الزي العسكري، وحمل بندقيته «إم ١٦» المطورة. وركب السيارة مع الأخ المطارد من قطاع غزة. الذي أنزله بجوار الهدف وتوجه إلى التلة حيث جنود الاحتلال. وفي الطريق اعترضه أحد الجنود وسأله بالعبرية، ولكن الأخ محمد لم يجبه؛ لأنه لم يكن يعرف العبرية؛ فشك الجندي في الأمر وألقوه أرضاً. وأمسكوه وقيّدوه واقتادوه إلى مركز التحقيق

في المسكوبية وكانت نتيجة العملية:

قتل الجندي الإسرائيلي واعتقال الأخ محمد بشارات الذي لم يتمكن من الوصول لهدفه المرسوم وقتلِ أعدادٍ كبيرة من القوات الإسرائيلية الموجودة في محطة الانتظار في التلة الفرنسية في القدس. في حين صعق اليهود من هذه العملية وأسلوبها وطريقتها. شعرنا بالحزن الشديد لعدم نجاح العملية وعدم تحقيق الهدف المنشود. وأسفنا أشد الأسف ولكننا صممنا على مواصلة العمل وتصعيده.

في أعقاب هذه العملية داهمت قوات الاحتلال منازل عدة في منطقتنا. وجاءت قوات كبيرة لاعتقالي فلم يجدوني لأنني لم أكن أنام في البيت ورفضت تسليم نفسي، فصرت مطارداً منذ ١٩٩٢/٩/٢٢ أقود مجموعات الكتائب في العلن وعرفت في المنطقة كلها وقد تم اعتقال أبي وأخَوَي: فتحي وسامي للضغط علي لأقدم على تسليم نفسي. ولما لم أنصع لطلباتهم أطلقوا سراحهم بعد أيام.

أخطاء في العملية حالت دون تحقيق أهدافها:

١) الأخ المجاهد منفذ العملية لم يكن يجيد العبرية.

٢) وجود خلل بالزي العسكري الذي لبسه الأخ المجاهد. حيث كان قماش البنطال يختلف عن قماش القميص.

٣) كان سلاح الأخ محمد سلاح ضابط «قطعة إم ١٦» مطورة أما بذلته التي يلبسها فهي لجندي لا لضابط. والجندي لا يحمل هذا السلاح.

٤) لم يكن الحذاء حذاء يلبسه الجنود «البسطار» وإنما كان حذاءً عاديا من نوع «فورزا» الذي يلبس في المناطق العربية فقط ولا يلبسه الجنود واليهود مطلقاً.

٥) كان مكان نزول الأخ محمد بعيداً نوعاً ما عن مكان الهدف.

٦) لم يكن يحمل هوية مزورة إسرائيلية لكي يقوم بالدور المطلوب منه إذا ما طلب منه إبراز الهوية.

هذه الأخطاء التي وقعنا فيها كانت بسبب قلة التجربة والخبرة ولكننا اكتشفناها فينا بعد. أما الفكرة في حدّ ذاتها فقد كانت أسلوباً مميزاً جديداً فتح آفاقاً جديدة في العمل والتخطيط..



الفصل الثاني

المطـاردة

- ❖ انضمام المهندس يحيى عياش للكتائب.
- ❖ قراوة تحتضن لقاء التفجير الأول.
- ❖ فكرة السيارة المفخخة.
- ❖ التنفيذ.
- ❖ الآثار المترتبة على العملية.
- ❖ أحداث أثناء المطاردة.
- ❖ صعوبات خلال المطاردة.
- ❖ ملاحظات في أمن المطاردة.


المطاردة

يتم كشف العمل الجهادي في فلسطين - في العادة - في فترة قصيرة لأسباب عدة منها:

١- كثرة العملاء.

٢- قلة الخبرة عند المجاهدين.

٣- حصر المعركة في حدود مغلقة ومسيطر عليها.

٤- صغر مساحة الأرض.

انضمام المهندس يحيى عياش للكتائب:

لقد كنت أعرف المهندس وكانت علاقتي به قبل مطاردتي بسنوات لأننا أبناء منطقة واحدة - ونعمل معاً في اللجنة الأمنية لمنطقة سلفيت حيث كان مسؤول قرية رافات. وقرى دير بلوط والزاوية. من خلال هذا العمل نشأ فيما بيننا فهم متبادل وتفكير مشترك وقناعات مشتركة. وكانت بيننا ثقة كبيرة. لم يكن ليملأ عَينَي الأخ يحيى هذا العمل، فكان دوماً يتطلع للجهاد ضد اليهود ويقترح ذلك باستمرار. كان تواقاً وعاشقاً له وللعمل العسكري المسلح، حيث رأى أننا تأخرنا كثيراً! كيف لا وهو يرى اليهود يعيثون في الأرض فساداً. يقتلون وينهبون، ويفسدون. فكم من دماء طاهرة سالت بأيديهم.. كم جرّعوا شعبنا كؤوس الموت والعذاب والحسرة. وكم.. وكم.. وكم.. فيحيى الحر بل سيد الأحرار لم يكن ليطيق اليهود.

وتأكيداً على بدايات تفكير البطل يحيى بالعمل العسكري، أذكر أنه في أواخر عام ١٩٩٠ بعث لنا صورة عن كتاب باللغة الإنجليزية يحوي كيفية صناعة المتفجرات وصور الكثير من أنواعها... فقرأتها

- آنـذاك - ولم أفهم منها شيئاً لأنها بالإنجليزية فقمت بإخفائها. اعتقلت بعد ذلك بأيام، لكن فكرة المتفجرات واقتراح المهندس يحيى ظلا في ذهني.

بعد خروجي من السجن وأثناء عملي مع الأخ يحيى في اللجنة الأمنية للمنطقة كنت أحضر له بعض المطاردين. إلى منزله المستقل المكون من طابقين في رافات. وأذكر أن مطاردي غزة ناموا عنده أياماً عديدة وكان هذا يشجعه على العمل العسكري بشكل أكبر.

بعد مطاردتي ذهبت إلى بيرزيت، وكان الأخ يحيى وقتها يعد مشروع التخرج، فالتقينا على غير موعد في «جامعة بيرزيت» حيث طلبت منه إحضار قهوة لنجلس في مكان بعيد عن الطلبة. أحضر القهوة وذهبت معه إلى كلية العلوم في الطابق السفلي. ودخلنا قاعة خالية، وجلسنا فأخبرته بنبأ مطاردتي فأصيب بالدهشة، ثم عرضت عليه الانضمام إلينا في العمل العسكري فكاد يطير فرحاً. وبدأنا الحديث مباشرة عن إمكانيات وظروف العمل العسكري وكيف يمكننا تمريغ أنوف اليهود بالتراب.

تذكرت الأوراق التي كان قد أرسلها إلي عن المتفجرات، فسألته عنها وهل ما زال يذكرها؟! أجاب: نعم، فسألته هل يستطيع تصنيع المواد المتفجرة؟؟ أجاب: نعم وبكل سهولة. سررت جداً لهذا الجواب، حيث إنَّنا وجدنا بديلا عن قلة السلاح، فقلت له: لماذا لا نبدأ العمل؟ فقال: أنا مستعد منذ اللحظة، فسألته كم تريد من النقود؟ فأجاب: إنه سيشتري المواد اللازمة من نقوده الخاصة، لكنني صممت على إعطائه النقود وأخرجت مبلغ ٥٠٠ دينار أردني وأعطيتها له،

فأعادها لي رافضاً أخذها، وأقسم ألا يأخذ ديناراً واحداً حتى إنه تبرع بمعظم ماله للجهاد وللكتائب. وأكملنا الحديث عن أساليب العمل.. قلت له: لمَ لا تفكر إلا بالأكواع؟؟؟! ألا يوجد فكرة توقع خسائر أكبر؟! قال: نعم... فقلت له: لمَ لا تفكر بوضع اسطوانات غاز مملوءة بالمتفجرات. هل تتفجر يا مهندس؟! سألت ذلك بلهفة، فأجاب - ووجهه يتهلل سروراً - بالتأكيد ولمَ لا؟! قال ذلك بكل ثقة ثم تابع قائلا: هل تعلم كم هي الخسائر التي تحدثها مثل هذه الفكرة؟! قلت له: رائع وهذا هو المطلوب... دعنا من «الأكواع» والأفكار الصغيرة نريد تلقين اليهود درساً مميزاً. فدمُنا ليس رخيصاً ولن يذهب هدراً. ظل يحيى صامتا... لكن في صمته ألف جملة وفي نظراته الصامتة ألف عبارة وبيان... واتفقنا على البدء بتجربة فكرة الاسطوانات المتفجرة!! وحددنا اللقاء الأول بيننا في قراوة بني حسان في أوائل شهر ١١/ ١٩٩٢.

قراوة تحتضن لقاء التفجير الأول:

تم ترتيب اللقاء بيني وبين الأخ يحيى في قراوة. وحضره الشهيدان علي وعدنان، وبدأنا بالحديث، وأخذ يحيى بشرح لنا طريقة العمل، وقلنا له اطلب كل ما تريده من مستلزمات فطلبها، وأحضرناها من نابلس في اليوم التالي وكان من ضمن المستلزمات اسطوانة غاز بحجم صغير لتجربتها، وانفض الاجتماع واتفقنا على اجتماع آخر في منزل الشهيد علي، أفهمنا الأخ يحيى طبيعة العمل وكيفية التحضير وبدأنا العمل - تحت إشرافه - حتى تم صنع المادة ووضعها في

اسطوانات الغاز الصغيرة لتجربتها وتفجيرها بساعة مؤقتة. يذكر أن الأخوين: عدنان وعلي لم يكونا يعلمان حتى تلك اللحظة بما نخطط له. أكمل المهندس عمله وجهز الساعة وكل الأمور المطلوبة. واتفقنا أن نجرب الانفجار في مكان آخر غير قراوة. ركب الإخوة يحيى وعلي وعدنان في سيارة أمامي للاستطلاع، وتبعتهم في سيارة أخرى وتوجهنا إلى منطقة جبلية بين قرية فرخة وقراوة بني زيد حوالي الساعة الثانية ليلا. وصلنا المنطقة المرادة بأمان. ونزلنا من السيارتين، ووقت المهندس الساعة ووضعناها بعيداً عنا وانتظرنا... كانت دقائق صعبة للغاية كلنا يفكر، هل سينجح يا رب؟؟ هل سنملك السلاح الذي سنذل به يهود؟ هل.. وهل..؟؟ هل سنعلن حرباً من نوع جديد؟!.. ومضت الدقائق وكلما اقتربنا من وقت موعد الانفجار دقت قلوبنا أكثر، وحان الموعد، انتظرنا الانفجار ولكن شاء الله ألا تنفجر! انتظرنا ولكن دون جدوى! كم كان صعباً على نفوسنا! أخذ بعضنا ينظر إلى بعضنا الآخر في حيرة: ها هو الحلم الذي طالما انتظرناه لم يتحقق! أصر الأخ يحيى على أن نفكك الإسطوانة ولا نتركها حتى لا يقترب منها أحد فتؤذيه. ولكن من منا سيقترب منها؟ وأخيراً اهتدينا لفكرة أن نقوم بقذف الحجارة على الساعة والبطارية في مكان يسهل قذف الحجارة عليه، وأخيراً تمكنا من فك السلك ثم اقترب المهندس وحده وفك الساعة والبطارية نهائياً واتفقنا على تركها في مكان آمن والعودة في اليوم التالي لنعلم سبب عدم انفجارها. قال المهندس: بسيطة خلل فني سنتجاوزه، اعتقدت أن الدنيا اسودت في وجهي وحزنت حزنا شديدا وكأننا هزمنا في أعظم معركة.

التجربة الثانية:

عدنا أربعتنا (أنا وعلي ويحيى وعدنان) في اليوم الثاني إلى مكان التجربة لتفكيك الاسطوانة ومعرفة الخلل الذي حال دون الانفجار، كنا نشك في أن الخلل من الصاعق «كما توقع المهندس» وفعلاً تأكد لنا ذلك، أحضرنا معنا عدة أزرار كهربائية لنصنع منها صاعقاً، وفي هذه المرة لم نكسر زجاج زر الكهرباء، بل قمنا بالبرد بلطف وإدخال المواد المتفجرة فيه للمحافظة على سلك التنجستونن حيث وضعنا ٣ صواعق بدلا من واحد لضمان النجاح. ركب المهندس الأسطوانة وأعدها للانفجار، وخوفاً من عدم انفجارها مددنا هذه المرة سلكاً طويلا يصل إلى مكان العبوة في دقيقة واحدة فقط، حتى لا ننتظر كثيراً! وفعلا وقّتها المهندس كما طلبنا فابتعدنا سريعاً، وصرنا نعد مع الساعة بالثانية وقلوبنا تخفق، وهذه المرة لم يكن الانتظار طويلاً، انتهت الدقيقة وانفجرت العبوة، وكان صوتا لم أسمع مثله في حياتي، انفجار ضخم جداً.. وصاح الأربعة مع صوت الانفجار. الله أكبر الله أكبر. وأخذنا نتعانق... (الويل لليهود، ها قد ملكنا السلاح الذي نمرغ به أنوفهم في التراب، ملكنا السلاح الذي سنثأر به للشهداء). نعم أيها الإخوة كانت أنفسنا تتوق للجهاد الذي تربينا عليه في جامعة الإخوان المسلمين وفي مدرسة حماس. ركبنا السيارات عائدين. وركبت وحدي في السيارة مع الأخ علي وكانت تلك اللحظات أسعد لحظات حياتي، فأخذت أنشد بأعلى صوتي: (قسماً... قسماً... يا أمي لنعيد الدار، لأروي هالأرض بدمي وآخذ بالثار).

كنت أنشد ودموعي تنهمر بغزارة حتى وصلنا قراوة، وفي منزل

الأخ علي تعانقنا من جديد واتفقنا على اجتماع آخر في بيت علي، لنخطط للعملية القادمة وخرج الأخوان: يحيى وعدنان وبقيت مع الأخ علي في منزله... وقلت في نفسي: آه يا يحيى لو أن في شعبنا عشرة مهندسين مثلك؟ إذن لتغيرت المعادلة؟.

فكرة السيارة المفخخة

كان الأخ عماد عبد الرحيم - سلفيت - يعمل في مقهى «صالة أفراح» في تل أبيب وكان يجتمع فيه أكثر من (٥٠٠ شخص) على الأقل في المرة الواحدة وأخبرني أنه يستطيع دخوله في أي وقت. فأخبرت يحيى وكانت الفكرة. وضع اسطوانات الغاز المليئة تحت منصة الرقص التي في منتصف الصالة. اجتمعنا أربعتنا «علي والمهندس وعدنان وأنا» في منزل الشهيد علي بقراوة وعرضنا الأمر على الأخوين علي وعدنان وقال المهندس: إذا نجحنا فلن ينجو أحد من الموجودين في المقهى. وتحمس الجميع للفكرة، وطلب يحيى كمية كبيرة من المواد المتفجرة لتصنيع المتفجرات التي ستحيل الملهى إلى كومة من الرماد.

خطة العملية

طلب المهندس (٧٠) كغم من المتفجرات يتم وضعها داخل أربع أسطوانات غاز «حجم كبير» ويتم إدخالها إلى الصالة الرئيسية التي يقام فيها الحفل، بحيث توضع تحت المنصة التي تقف عليها فرقة الغناء التي تكون وسط الجمهور ووسط الصالة. وتكون

الاسطوانات عبارة عن عبوة واحدة تنفجر في وقت واحد في منزل الشهيد علي في قراوة أعددنا الاسطوانات الأربعة وبها (٧٠) كغم من المتفجرات حيث استغرق العمل والتجهيز أسبوعين. وقد كلفت بتنظيم منفذي العملية. ذهبت إلى سلفيت وطلبت من الأخ عماد الذي فرح كثيراً عندما أخبرته أنه سيكون واحداً من منفذي العملية، ليحقق حلمه القديم. فقال: ها قد تحقق الحلم. فقلت له: أليست أحلام الأمس حقائق اليوم وأحلام اليوم حقائق الغد كما يقول الإمام البنا. وأخبرت الأخ عماد أن صاحبيه في العملية هما الأخوان: أحمد حسان وعبد الفتاح معالي من سلفيت. فهم ثلاثتهم يعرفون الصالة جيداً.

حددنا لهم ثلاثتهم لقاءً هو الأول في قراوة، ليتدربوا على كيفية تركيب الأسلاك ووضع العبوات تحت المنصة. وتم إحضارهم إلى منزل الشهيد علي بواسطة سيارته وطلبنا منهم خفض رؤوسهم وإغماض عيونهم؛ حتى لا يعلموا المكان الذي سنتوجه إليه، ولكنهم عرفوا أنها قراوة لأنهم أبناء المنطقة ويعرفونها جيداً! وصلوا دار الأخ علي في قراوة وكنت أنا ويحيى وعدنان في استقبالهم ولم يكونوا يعرفون أحداً سواي. وبدأ المهندس يشرح لهم كيفية العمل. - واستمرت الجلسة أكثر من ثلاث ساعات - وخرج المجاهدون الثلاثة المكلفون بالمهمة عادّينها شرفاً عظيما لهم، كيف لا وهي العملية الأولى من نوعها من حيث الشكل وبعد اطمئناننا لدقة أدائهم وإتقانهم للعمل حددنا موعد تنفيذ العملية في ٢١/ ١١/ ١٩٩٢ وكان لا بد من توفير سيارة تحمل لوحة تسجيل صفراء، فذهبت إلى الأخ: مهدي -عقربا - وطلبت منه شراء سيارة إسرائيلية مسروقة

«دون أن يعلم السبب؟!» وتم شراؤها من نوع «فلوكس فاجن» عسلية اللون، أخذها الأخ عبد الفتاح إلى قراوة لتستخدم في تنفيذ العملية.

التنفيذ

في يوم السبت ليلة الأحد ٢١/ ١١/ ١٩٩٢ كان اللقاء مع المجاهدين منفذي العملية في منتصف الليل في قراوة، وكنت أنا والأخ يحيى وعلي بانتظارهم. قام المهندس بشرح طريقة العمل مرة أخيرة. وقاموا بتنفيذ العملية نظرياً أمامه حتى يتأكد من إتقانهم عملهم، وتم وضع الاسطوانات في السيارة وودعنا المجاهدين الوداع الأخير.

قاد السيارة الأخ عبد الفتاح، منطلقين في منتصف الليل على بركة الله. ووصلوا قلب تل أبيب. ولكن .. وقبل الوصول إلى الهدف بمسافة قصيرة اعترضتهم سيارة شرطة إسرائيلية، وطلبت منهم الوقوف! فرفضوا، فطاردتهم واستمرت المطاردة أكثر من نصف ساعة تجمعت عليهم خمسون سيارة شرطة تحاول إيقافهم، لكن دون جدوى حتى وصلت السيارة إلى طريق مسدود، فما كان من الأخ عبد الفتاح إلا أن صاح بإخوانه طالبا النزول والهرب. فتركوا السيارة وهربوا في منتصف الليل حيث تمكن عبد الفتاح من الفرار. ترك المجاهدون السيارة ولم يكن بإمكانهم تفجيرها لأنها لم تكن معدة لمثل هذا الطارئ. وفر الأخ عبد الفتاح من تل أبيب حتى وصل مدينة نابلس مشياً على قدميه!! ضُبطت السيارة الساعة الثانية ليلاً قبل الفجر وتم إخلاء المنطقة «رامات أفعال» في تل أبيب بكاملها وتم تفجير السيارة في المكان الذي

ضبطت فيه مما أحدث خسائر كبيرة في الأبنية المحيطة. وهكذا قدر الله لهذه العملية الفشل وعدم النجاح ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الانتظار

اجتمعت مع الأخوين عدنان ويحيى في منزل الأخ علي بقراوة ليلتها وفي الصباح توجهت مع عدنان إلى نابلس حيث كان موعد اللقاء مع المجاهدين المنفذين في المكان الذي تم تحديده في نابلس ولا يعرفه إلا الأخ عبد الفتاح. في حين انطلق المهندس إلى منزله في رافات دون أن نعلم بما جرى.

وصلت المكان وهو أحد مساكن الطلبة في (حي السمرة) بمدينة نابلس الساعة السابعة صباحاً كان الموعد مع المجاهد الساعة العاشرة فلم أستطع الانتظار حتى تلك الساعة فغلبني النعاس واستيقظت في تمام العاشرة والنصف صباحا. أخذت الراديو مباشرة لأسمع نشرة الأخبار الإسرائيلية باللغة العربية. وإذا بالخبر الأول في النشرة. أحبطت الشرطة الإسرائيلية الليلة أخطر عملية منذ قيام دولة إسرائيل حيث تم ضبط سيارة مفخخة تحمل أكثر من (٧٠) كغم من المتفجرات... وقع علي الخبر وقع الصاعقة وكدت أجن كيف حدث ذلك؟ وماذا حصل؟ حاولت القيام والوقوف فلم تحملني قدماي ولم أستطع الوقوف إلا بعد فترة حيث استجمعت فيها قواي وأخذت أبحث عن الأخ عدنان ليشاركني وقع الخبر فلم أجده لأنه كان قد ذهب للجامعة (جامعة النجاح) القريبة من السكن ليحضر لنا طعام الإفطار، قمت من

الفراش وأنا أبكي هذه النتيجة التي لم أكن أتوقعها قط. وغسلت وجهي ولبست ثيابي وقررت الخروج من المنزل لإخبار الشباب، وما إن فتحت الباب حتى فاجأني الأخ عدنان قادماً من الجامعة مسرعاً ليخبرني الخبر، والدموع في عينيه. لم نكن ندري ما العمل؟! وقلت له: خسرنا كل شي خسرنا ثلاثة مجاهدين بدون نتيجة؟!...

جلسنا داخل سيارة لنا تقف بجوار السكن نتبادل أطراف الحديث ونحاول أن نحلل ما حدث، فإذا بقادم يطل من بعيد منهك منهار القوى، إذا ببطل قادم لا تكاد قدماه تحملانه من الإعياء، فلم أصدق ما أشاهد وسألت عدنان: أليس هذا عبد الفتاح وهو يبكي ولما وصل أخذته على صدري وتعانقنا عناقاً حاراً وبكينا ثلاثتنا... ثم قلت: هذا الوقت ليس وقت بكاء. علينا أن نذهب أولا وقبل كل شيء إلى مكان آمن. فاتفقنا أن نذهب إلى قرية عصيرة الشمالية عند أحد المجاهدين هناك، وفي الطريق حدثنا الأخ عبد الفتاح - بشكل مختصر - ما حدث لم يكن بإمكاننا سماع المزيد ولم نسمع من الأخ عبد الفتاح معالي تفاصيل ما حدث، ثم ذكرت الأخبار إن الشرطة الإسرائيلية اعتقلت اثنين من المنفذين وتبحث عن ثالث فار! كان الأخ عبد الفتاح رياضياً ومن أبناء الجبال، الأمر الذي مكنه من قطع المسافة الشاسعة مشياً على قدميه.... اسودت الدنيا في وجهي، بينما كانت ردة فعل الأخ يحيى على الحدث أقل انفعالاً وأكثر رباطة جأش، حيث قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وقال: خسرنا جولة وبقيت جولات.. وغداً ﴿**سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾. (الشعراء ٢٢٧)

وجن جنون اليهود من هذه العملية من أسلوبها وفكرتها وحجمها! صحيح أنهم أفشلوها لكن كان ذلك محض صدفة. أو هو بقدر الله وليس بجهدهم وذكائهم لقد صعقوا كيف وصلت سيارة تحمل (٧٠) كغم من المتفجرات إلى العمق الإسرائيلي في تل أبيب؟!

بدأ اليهود يشعرون حقاً أنهم يخوضون غمار حرب حقيقية. وأذكر أن ضابط المخابرات بعد اعتقالي فيما بعد قال لي في التحقيق أنتم الذين جلبتم المنظمة إلى هنا، ولولاكم ما أعطيناهم شيئاً، ولو لم نفعل لأصبح عندنا لبنان ثانية!!

منفذو العملية كانوا من سلفيت ولم يكونوا يعرفون غيري، فأنا من نظمهم وأحضرهم إلى قراوة وخطط لهم.. الخ لذلك داهمت المئات من قوات الاحتلال بيتنا وعاثوا فيه فساداً واعتقلوا أبي وإخوتي من جديد، واذكر أن ضابط المخابرات قال لأبي: هل ابنك مجنون؟! المرء يفكر يقتل واحد... اثنين... ثلاثة..! ابنك كان يريد قتل (٥٠٠)!! هل هو مجنون؟! وصار اليهود يداهمون بيتنا ويكسرون ما فيه ويعيثون فيه فساداً «كما هو الحال مع بقية المجاهدين والمطاردين» كل يوم تقريبا للضغط علي ولما صارت عملية الإبعاد إلى مرج الزهور أبعدوا أخي الأكبر: فتحي ولم أعلم بذلك إلا من الصحف حيث قرأت اسمه في قائمة المبعدين وتفاجأت كثيراً لذلك، ووزعت المخابرات صوري في كل مكان وفي جميع المستوطنات وعلى جميع نقاط التفتيش وأصبحت في نظرهم من أخطر المطاردين! إلا أن كل ما قاموا به تجاهي وتجاه أهلي لم يزدني عليهم إلا حقداً، ولقضيتي ووطني وديني إلا حباً، وعلى هدفي وغايتي إلا تصميماً.

الآثار المترتبة على العملية

١- اعتقال الأخ علي عاصي «أبو جهاد» حيث مكث في تحقيق نابلس أكثر من خمسين يوماً، وثبته اللّه وصمد ولم يثبت عليه شيء وأفرج عنه بعد ذلك.

٢- اعتقل العديد من المشايخ في المنطقة وتم فيما بعد إبعاد أكثر من عشرين منهم إلى مرج الزهور وكان من بينهم الأخ محمود عاصي شقيق الشهيد علي عاصي.

٣- اعتقال أخي الصغير سامي وإبعاد أخي الأكبر فتحي فيما بعد إلى مرج الزهور.

٤- بدأت مطاردتي الحقيقية وأصبحت في نظرهم من أخطر المطلوبين ولم يتم كشف الأخوين: عدنان ويحيى في تلك الفترة فلم يعتقلوا أو يطاردوا.

٥- استعداد اليهود لمثل هذا النوع من الأعمال قبل أن نلقنهم الدرس الحقيقي!..

الأخطاء التي استنتجناها بعد العملية

إننا ونحن نرى أن العملية كانت متميزة ونوعية وإبداعية من حيث النوع، والحجم، والكيف، إلا أن ثمة أخطاءً وقعنا بها حالت دون نجاحها واكتشفناها لاحقا. في جلسة جلسناها فيما بعد: يحيى وعدنان وأنا «غاب عنها علي بسبب الاعتقال» حيث قيمنا العملية واستنتجنا الأخطاء التالية:

١- نوع السيارة: حيث كان من نوع «فلوكس فاجن» المعرّضة للسرقة بشكل كبير. ومن المعروف أن هذا النوع من السيارات يمتاز ب:

أ) سهولة تسويقها في الضفة.

ب) إمكانية تحميل البضاعة المسروقة فيها.

جـ) وسهولة الدخول بها وتشغيلها وسهولة سرقتها ودون جهد كبير... وكل هذه الأسباب تجعل الشرطة تشك في مثل هذا النوع من السيارات خاصة إذا كانت تسير في الليل.

٢- لم يمض على سرقتها وقت طويل: حيث تم شراؤها في نفس اليوم الذي سرقت فيه وتم تنفيذ العملية في نفس اليوم. وعندما تسرق سيارة تأخذ الشرطة أوصافها ورقمها ويخزن ذلك في الكمبيوتر لتسهيل البحث عنها.

٣- رقم السيارة: لم نغير رقم السيارة الأصلية مما يسهل التعرف عليها عبر الكمبيوتر ومعرفة أنها سيارة مسروقة.

٤- السيارة من نفس المنطقة: لقد تبين فيما بعد أن السيارة من نفس المنطقة التي تم تنفيذ العملية فيها مما كشف كونها مسروقة

٥- مفتاح السيارة: بقي مقطوعاً «على حاله كما قام به السارقون الذين سرقوا السيارة» وكل من ينظر داخل السيارة يعلم أنها مسروقة لذلك يجب تصليح مفتاح التشغيل قبل العملية.

٦- موعد التنفيذ: كان يوم السبت ليلة الأحد وهذا يوم عيد عند اليهود وتكون فيه حركة السيارات شبه معدومة في الشوارع

خاصة ليلا وهذا يسهل على الشرطة تدقيق السيارات المارة لقلتها

٧- ساعة التحرك: كانت منتصف الليل وهو وقت يثير الشكوك لأن الحركة فيه خفيفة.

٨- لم نحسب حساب إمكانية ضبط السيارة، وقد كان علينا توقع ذلك ومن ثم نهيئ السيارة على أساس الانفجار في حالة الطوارئ، وذلك ما لم يحدث لذلك لم يستطع المجاهدون تفجيرها.

هذه مجمل الأخطاء التي استنتجناها بعد العملية، وقدر الله وما شاء فعل وعلينا أن نتعلم ونستفيد من أخطائنا.

أحداث أثناء المطاردة

١) كنت أعتمد في تنقلي على الهوية المزورة، والتخفي بالزي البلدي. وذات يوم كنت في سيارة بمدينة نابلس وإذا بنا وسط فرقة جيش من الجنود، وكان السائق يحمل هوية خضراء «تدل على أنه كان معتقلا» فطلبوا منا التوقف فحاول الشاب الهرب فقلت له: لا تقلق معي هوية، ولما اقتربنا منهم طلبوا منا إطفاء السيارة والخروج ورفع أيدينا على الحائط أخذوا الهويات. فأعطيتهم الهوية التي أحملها، وكانت هوية عميل يعمل مع الشرطة الإسرائيلية. وأعطاهم الشاب هويته الخضراء فبدؤوا بضربه دون أن يمسني أحد. وعندما اتصل ضابط الدورية بمركز الدوريات للسؤال عن أرقام الهويات عاد وقال لي: أنت شاب ممتاز أما هذا «عن السائق» فيجب أن يضرب لأنه يعمل مشاكل!؟

وبعد أن تركونا صرت أضحك على السائق «وهو من إخواننا الذين

يعملون على مساعدتنا» فطلب مني أن أعمل له هوية مزورة كالمطاردين لأن المطاردين يحترمونهم وأما غيرهم فيضربون!!

ملاحظات لحامل الهوية المزورة

على حامل الهوية المزورة معرفة التالي:

أ) أسماء أولاد صاحب الهوية الأصلي إذا كان متزوجاً، واسم الزوجة والأب والأم وكل الأمور الشخصية المتعلقة بصاحب الهوية.

ب) معرفة البلد وبعض المعلومات عنها.

ت) معرفة اسم مختار القرية ورئيس البلدية.

هذه مجمل الأمور التي تلزم معرفتها ويمكن أن يسأل عنها المطاردون من قبل الجيش أو أي إنسان قد يتم التعرف عليه.

٢) كنا المطاردين: «سلامة وعبد الفتاح وراضي وأنا» ومعنا الأخوان: «علي وعدنان» نجلس في منزل الأخ عزام عاصي في قرية قراوة بني حسان وذلك أثناء إبعاده «أي عزام» إلى مرج الزهور. ومعنا رشاشات «عوزي» ومسدس وقنبلتين، وإذا بدورية إسرائيلية تحمل جنوداً تسير نحو البيت الذي لا يوجد له باب خارجي من الخلف ولا يوجد له سوى الباب الذي يقابل الجنود القادمين إلينا؛ فتشاورنا في الأمر سريعاً وكان علينا اتخاذ قرار سريع. فتوقعنا أن الجنود لا يعلمون بوجودنا إنما حضروا صدفة وبلا تخطيط فكان أن قررنا وضع السلاح تحت ملابسنا والخروج بشكل عادي وبدون أي ارتباك وعدم مواجهتهم.

«وكان ذلك خلال دقيقة واحدة» وبالفعل خرجنا واحداً بَعْدَ الآخر بشكل طبيعي أمام أعينهم ولما ابتعدنا قليلا صاحوا علينا طالبين التوقف فرفضنا. فلاحقونا بالنار وهربنا وكان وقتها الجو ماطراً جداً. هربنا في الوحل والطين والمطر ولحقوا بنا. وأثناء المطاردة بين السهول وقعت على الأرض في الطين حين قفزت، وغاصت قدماي في الطين ولم أستطع رفعهما فصاح بي الأخوان سلامة وعبد الفتاح «رجال الجبال» هيا الحق بنا فقلت لهم لا أستطيع السير. وساعتها انتبهت أن المسدس الذي كان في وسطي غير موجود!! والجنود يقتربون منا دون أن يعرفوا من يطاردون! وأخيرا استطعت نزع قدماي من الوحل لكن بدون الحذاء وصرت أركض حافي القدمين في المطر الوحل وإذا بجندي يسقط على الأرض هو أيضاً فتَرَكَنا الجنود وذهبوا للاعتناء بجنديهم من فضل الله. وهكذا نجونا ولم يمسكوا بنا، وبقيت أسير حافي القدمين في المطر والوحل، لكن الأخ سلامة أصر على أن يخلع حذاءه ويعطيني إياه لعلمه أنني لا أستطيع السير في الجبال وأنا أنتعل الحذاء، فكيف بي وأنا دون حذاء في المطر والوحل ! كان باستطاعة الجيش قتلنا بكل سهولة ولكن الله سلم ولطف لنكمل المشوار، وهذا ليؤمن المرء أن الإقدام لا ينقص من عمر وأن الجبن لا يزيد عمراً أو حياة! وتم العثور على المسدس في اليوم التالي بعد البحث عنه.

٣) **إطلاق النار في مغارة في قراوة:** كنت والأخوان سلامة وراضي نجلس بمغارة في جبال قراوة وكان معنا مسدس أردنا تجربته، وكنت ألعب به موجها فوهته إلى الأخ راضي. ولم أكن أعلم

أن المسدس مجهز برصاصة في بيت النار، فانطلقت رصاصة كادت تقتل الأخ راضي حيث مرت قريباً من رأسه!! وخفت كثيراً وتجمد الدم في عروقي! ولم يستطع الأخ راضي الحديث في بداية الأمر... وبعد لحظات من الصمت... امتصصنا فيها الحدث، أخذت أنا وسلامة نضحك على الأخ راضي!! وقد تعلمنا من ذلك درساً مفيداً جدا: إذ يجب تفريغ السلاح من الرصاص وعدم توجيهه إلى الأمام أو أية جهة بل يجب تنظيفه وفوهته للأعلى يجب سحب «الأقسام» عدة مرات للتأكد من خلوه من الرصاص، وهذا من البديهيات والأبجديات التي يعلمها العسكريون... لكننا لم نتعلم إلا من أنفسنا!

٤) إطلاق النار في بيت الأخ عوض الله في قرية سالم - نابلس:
اشترينا «رشاش عوزي» ولم يكن معنا أحد يعرف كيفية استخدامه، وكنت مع الأخ عبد الفتاح نجلس في بيت الأخ عوض الله اشتيه في قرية سالم - نابلس - فأمسك الأخ عبد الفتاح سلاحه العوزي وبدأ محاولة للتعرف على كيفية عمله، فسحب الأقسام» لكنه لم يعد مكانه كأي قطعة سلاح أخرى؛ أي لم تأخذ حبة» إلى بيت النار، وكنا نعلم أن «الأقسام» لا تعود حيث تكون إلى الخلف. وبدأ عبد الفتاح يحاول إعادة «الأقسام» من اليد التي سحبه منها، إلا أنه لم يعد فظن أنه يعود بواسطة الزناد، فضغطت على الزناد فعادت «الأقسام بالفعل» ولكن مع رصاصة دوت داخل البيت، وحفرت حفرة في الجدار، وكان الجيش وقتها في القرية. لكن الله سلّم ولطف ولم يصب أحد بأذى ولم ينتبه الجيش. وقد كانت هذه المرة من أكثر المرات التي أشعرتني بالخوف.

وسائل المطاردة والتخفي.

لا شك أن الحاجة أم الاختراع، وحاجتنا للتخفي علمتنا الكثير من أساليب التخفي، فكنا نعتمد أساليب عدة منها:

١) **الهويات المزورة:** وكان هذا الأسلوب من أكثر الأساليب التي سهلت تحركنا في عملنا، ولست مبالغاً إذا قلت إننا بواسطتها كنا نتحرك وكأننا غير مطاردين حيث نذهب إلى الخليل وجنين وحتى داخل الخط الأخضر. يجب على حامل الهوية المزورة أن تكون هويته من نفس المنطقة التي يوجد ويتحرك فيها حتى لا يتم سؤاله عن سر وجوده في منطقة غير منطقته.

٢) **اللباس:** يجب على المطارد أن يلبس لباس المنطقة التي يسكن فيها وغالبا كنا نلبس الزي القروي إضافة إلى النظارات وحلق الذقون. والحقيقة أننا لم نصل في هذا المجال إلى التخصص المتعلق بمسألة التخفي في هذه الأيام حيث يمكن تغيير معالم المرء كاملة وتغيير لون البشرة. لكن كانت لدينا محاولات لم تنجح.

٣) **السيارات:** حيث تم تزوير رخص سيارات بأسماء الهويات التي نحملها لتسهيل حركتنا وهذا ساعدنا في التحرك المريح وحدنا في السيارة بدون مساعد مما سهل علينا كثيراً.

٤) **المخابئ:** كان لنا في كل منطقة مخبأ يتم اللجوء إليه في حالة الطوارئ ولهذا كان يصعب كشفنا ومن المهم جداً للمطارد توفير عدة مناطق ولا بد من الموازنة بين ضرورة عدم البقاء في نفس

المكان فترة طويلة وبين كثرة الحركة غير المطلوبة.

٥) **مساكن طلاب الجامعة:** كنا نستعملها عن طريق أحد طلاب السكن «الذي يكون من العاملين في مساعدتنا» وكنا نتواجد في مثل هذه المساكن بحجة أننا أقرباء الطالب وقد كنا نضطر للجوء إلى هذه المساكن لأن أغلبية مساعدينا لم يكن لديهم بيوت مستقلة ولم يكن بإمكانهم استقبالنا في بيوتهم عند أهلهم وهو الأمر الذي كانت تتميز به بيوت الطلبة لاستقلالية الطلبة فيها عن أهلهم.

لكن لذلك سلبيات نذكر منها:

أ) **العملاء:** وهم رغم وجودهم في معظم الأمكنة والمؤسسات، إلا أن المخابرات تركز على الجامعات لأنهم يعتبرونها معقلاً للتنظيمات ويجب التركيز عليها. ومركز نشاط الكتل الطلابية هي المساكن، لهذا تبذل المخابرات قصارى جهدها في محاولة غرس عميل في كل سكن. خاصة بعد أن تم إلقاء القبض على عدد من المطاردين في المساكن.

ب) **كثرة الاختلاط:** حيث كنا نضطر للاختلاط بالطلبة، ومعلوم أن المطارَد كلما توسعت دائرة علاقاته واختلاطه زاد الخطر عليه. فإن لم يكن من حوله عميلاً فقد يكون ثرثاراً!!

ج) **التخريب على الطلبة:** حيث تؤدي معرفة المخابرات لوجود مطاردين في صفوف الطلبة وفي مساكنهم إلى ملاحقتهم وكثرة الاعتقال في صفوفهم وزجهم في السجن فترات طويلة في حين تكون مساحات العمل الطلابي والنقابي بحاجة لهم.

صعوبات أثناء المطاردة

١- أماكن السكن: لا شك أن من أكبر العوائق التي كنا نواجهها توفير أماكن نوم ملائمة وآمنة وإذ كان يصعب الاعتماد على الكهوف -بشكل مركزي -لصعوبة توفير الماء والطعام فيها بعكس المنازل والبيوت. فضلاً عن وجود خرائط عند اليهود لجميع الكهوف في فلسطين.

٢- قلة السلاح ومصادره: وهو أصعب أمر واجهناه -كما قلت سابقا -لكن المطارد بحاجة إلى للسلاح أكثر من غيره فالسلاح بالنسبة إليه هو حياته وعيشه، إنه هواؤه وشرابه، وهو كل شيء عنده، كانت مصادر السلاح تشكل مشكلة كبيرة إذ نشرت المخابرات عشرات بل مئات تجار السلاح الجواسيس لإلقاء القبض على كل من يريد العملَ فضلاً عن نشر السلاح «الشرك» في الأسواق الذي يتفجر عند استعماله. وقد حدثت كثير من الأحداث استشهد فيها مجاهدون واعتقل آخرون بسبب الخلل في مصادر السلاح.

٣) قلة المال: يحتاج المطارد إلى الكثير من المال فهو يحتاج أكثر من المجاهد غير المطارد. وقد كانت قلة المال تحول بيننا وبين القيام بالكثير من الأنشطة والفعاليات. فالسلاح مرتفع الثمن باهظ التكاليف حتى أن قطعة الـ (١٦) مثلا كانت بمبلغ ٥٠٠٠ دينار أردني. ورصاصة (الكلاشينكوف) بـ (١٠) شيقل. فضلاً عن السيارات والمواصلات والاحتياجات الكثيرة.

٤- صعوبة التحرك: لكثرة نقاط التفتيش وكثرة العملاء ولصغر

مساحة الأرض الفلسطينية وإحكام السيطرة اليهودية عليها.

٥- **صعوبة التدريب** إذ كان في معظمه نظرياً، خاصة وأننا جميعاً لم نتدرب في الخارج ولم نتخرج من كليات حربية... الخ.

التعرف على الأخوين
عبد الحكيم حنيني وحسام شلهوب:

كنا في يوم من الأيـام بحاجة شديدة للمال. وذلك بعد عملية الإبعاد لمرج الزهور. وكنت يومها في نابلس، حيث جاءني أحد الشباب المجاهدين الذين يعملون معنا. وقال لي إن له لقاءً مع أناس من أجل عمل عسكري، وتم تنظيم اللقاء معهم من قبل الحركة فهل أقول لهم شيئاً؟! قلت له: قابلهم واعرض عليهم مقابلتي ورتِّب لقاء بيننا فوافقوا على ذلك والتقينا، فسألتهم عن المساعدة التي يمكن أنْ يقدموها لنا نحن المطاردين، فأخبروني أنهم مكلفون من الحركة بتشكيل جهاز عسكري في منطقة نابلس ويمكن أن يوفروا لنا أموالا وأن نتعاون معاً.

فاتفقنا على ذلك، وهكذا تعرفت على الأخوين عبد الحكيم حنيني وحسام شلهوب.

هذا الاتصال ساعدنا كثيراً في الخروج من الأزمة المالية، لكنه لم يف بالمطلوب بشكل كامل. كان ذلك في نهاية عام ٩٢ وبداية ٩٣ ومن نافلة القول أن أضيف إن هناك أسماءً وأحداثاً اشترك بها إخوة أبطال لم يتم ذكرهم أو ذكر أسمائهم للضرورة الأمنية سائلاً اللّه عز وجل أن يعظم لهم الأجر والثواب.

ملاحظات في أمن المطاردة

.. الظروف الذاتية والموضوعية التي تعوق عملية المطاردة في فلسطين:

أ) المناطق المغلقة، والأسلاك الملتفة، والأجهزة الالكترونية التي تفصل فلسطين عن دول الطوق العربي.

ب) ضيق البقعة الجغرافية: وطبيعتها الطبوغرافية.

ج) المستوطنات: المنتشرة في كل مكان.

د) شبكات الطرق: التي شقها العدو الصهيوني وتصل أجزاء فلسطين بعضها ببعض والسيطرة الكاملة عليها من قبله.

هـ) امتلاك العدو الصهيوني للتكنولوجيا المتطورة والآليات والطائرات التي تسهل عليه ملاحقة المطاردين.

و) امتلاك الكيان الصهيوني لخرائط تفصيلية ومسح شامل للكهوف ومخابئها في الجبال.

ز) انتشار العملاء في كل مكان من فلسطين.

ح) حواجز التفتيش: الدائمة التي يضعها الجيش الصهيوني على الطرقات الرئيسية والقرى والمدن والمخيمات.

ط) نقص الأسلحة، وقلة الخبرة وضِعف التدريب ونقص التجربة لدى الإخوة المطاردين.

قواعد أمنية عامة

١- تجنب التكرار والروتين في المبيت والتنقل والتخفي وأساليب العمل.

٢- تضييق دائرة العلاقات والمعرفية وتقليلها لأقل قدر ممكن.

٣- السرية: والنبي «صلى الله عليه وسلم» يقول: «**استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان**» وهذه هي القاعدة الذهبية لأمن المطارد وأمن العمل العسكري التي لا يمكن التخلي عنها تحت أي ظرف، فالثقة المطلقة والعمياء تؤدي إلى الهلاك. ومن جوانب السرية:

أ) سرية المعلومات التي بحوزة المطاردين خاصة عن كيفية الاتصال بالحركة والحصول على السلاح والمعلومات عن الأشخاص والعمليات.. الخ. فكل هذه المعلومات يكون المطارد مستأمناً عليها ولا يحق له التفريط فيها.

ب) سرية التحرك؛ بحيث لا يعرف أي شخص مكان حركته وتنقلاته أو أن يبقى ذلك في أضيق دائرة.

ج) سرية مكان الإقامة والمبيت.

د) الحذر ودقة الملاحظة واليقظة الدائمة.

هـ) السيطرة على المشاعر والعواطف خاصة تجاه الأهل من زوجة وأولاد وأبوين وإخوة لأنه قد يؤتى من قبلهم، فهم مراقبون حتما، فلا بد من أخذ الحيطة والحذر والتحكم بالمشاعر.

٦) الصبر والتحلي بالقدرة على التحمل: ورغم حلاوة المطاردة ونشوة عزها إلا أنها تطلب المجاهدة، والمقاتلين العقائديين الصابرين على قسوتها من حيث ندرة الطعام وفقدانه، والتعب والإرهاق وقلة النوم، والقلق الدائم والبرد والحر وقلة ذات اليد وتخلي أعز الناس - أحياناً - عن مساعدة المطارد... وهذا كله يحتاج إلى إرادة

حديدية وعزيمة فولاذية تنبع من عقيدة صلبة راسخة تؤهله لمثل هذا الصبر والتحمل.

٧) اللياقة البدنية، وذلك ليستطيع المطارد توجيه ضربات موجعة للعدو (ويكر ويفر) والكرِّ والفر والعودة لموقفه سالما، ويتمكن من الحركة بخفة ونقل عتاده ومستلزماته من مكان لآخر وقطع المسافات الطويلة.

٨) إزالة الآثار الدالة على مكان وجوده مثل آثار الأقدام ونفايات الطعام وما إلى ذلك.

٩) الثقة لا تلغي الحذر قاعدة أساسية يجب أن تظل نصب عيني المطارد.

١٠) الهويات المزورة وكما تحدثنا سابقا.

١١) تغيير الملامح الشخصية والتخفي -كما وضحنا سابقا-.

١٢) اختيار الزمان والمكان المناسبين للحركة والتنقل وذلك بمتابعة الأخبار ومعرفة فيما إذا كان هناك تحرك للجيش أو استنفار بسبب عملية أو غير ذلك.

١٣) عدم الرجوع إلى المنطقة أو المخبأ الذي يعرفه أحد المساعدين الذين تم اعتقالهم وتوقع احتمال اعتراف عليه.

١٤) معرفة طبيعة المنطقة التي يوجد بها هذا المطارد لإمكانية التعامل مع أي طارئ قد يحدث ولم يكن بالحسبان مثل مداهمة مفاجئة لقوات الجيش.

١٥) توقع الاعتقال في كل لحظة وأخذ الاحتياطات لذلك خاصة إذا كان المطارد يمتلك معلومات خطيرة وهامة.

١٦) عدم استخدام الهاتف ووسائل الاتصال اللاسلكية لاحتمالية مراقبتها وما حدث مع الأخ القائد الحبيب يحيى عياش - يرحمه الله - أكبر دليل.

١٧) عدم الظهور أمام عدسات الإعلام تحت أي مبرر.

١٨) متابعة سماع الأخبار دائماً حتى يعلم ما يحدث حوله.

مع ضرورة استحضار نية الشهادة دوماً، وهذه جملة الاحتياطات والوسائل التي يجب أن يضعها المطارد والمجاهد نصب عينيه ×فإنه لا مجال للأخطاء؛ ذلك أن الخطأ الأول هو الخطأ الأخير... والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.



الفصل الثالث

«عمليات القسام» - لغة الدم والنار

- عملية اللبن الشرقية ١٥/٣/١٩٩٣م.
- عملية برقين ٢٥/٣/١٩٩٣م.
- الوحدة الخاصة تبتدع إيقاعها الخاص
- عملية الوفاء للشيخ أحمد ياسين ١٢/١٢/١٩٩٢م.
- عملية الخضيرة الأولى ١٧/٢/١٩٩٣م.
- عملية الخضيرة الثانية ٣٠/٣/١٩٩٣م.
- عملية مفرق بيلو ٦/٥/١٩٩٣م.
- عملية الوفاء للمبعدين ١٦/٤/١٩٩٣م.
- عملية دير بلوط ٦/٨/١٩٩٣م.
- عملية بيت إيل ٢٥/١٠/١٩٩٣م.
- عملية شمرون ١٩/٢/١٩٩٤م.
- عملية العفولة ٦/٤/١٩٩٤م.
- عملية الخضيرة ١٣/٤/١٩٩٤م.
- عملية خطف فاكسمان ٩/١٠/١٩٩٤م.
- عملية رمات جان ٢٤/٧/١٩٩٤م.
- عملية ومات أشكول ١٢/٨/١٩٩٥م.
- عمليات تميزت بها حماس عن غيرها من فصائل المقاومة
- أخطاء على الطريق الجهادي.
- ولنا كلمة.

عمليات القسام



الله أكـــبر والـقــســام ينتقم	**دم الكتائب لن يعلو علاك دم**
لن نكتب الشعر بعد اليوم قافية	**شعر الكتائب نار... والبحور دم**

في هذا الفصل سأسجل جزءاً من عمليات «كتائب القسام» التي شاركت فيها بشكل أو بآخر: تخطيطاً أو إشرافاً. إضافة إلى عمليات أخرى شارك فيها إخوان كرام لي هنا أو خارج السجن وكانت تربطني بهم علاقة عمل...

هي صفحة من صفحات «القسام» وعنوان من عناوين «الكتائب» وفصل أو جزء من فصول الملحمة الجهادية التي كتبتها بالدم حركة المقاومة الإسلامية -حماس- في فلسطين. سألقي الضوء عليه، من وعلى لسان من شاركوا في صناعة هذا التاريخ الجهادي الناصع سائلين الله حسن القبول والثبات.

١) عملية التل الفرنسية في القدس

بتاريخ ٢٢/ ٩/ ١٩٩٢م:

بطلها المجاهد محمد عارف بشارات - طمون - جنين - ونتيجتها مقتل جندي واعتقال الأخ محمد. تحدثنا عنها سابقا.

٢) عملية السيارة المفخخة في رامات أفعال

بتاريخ ٢١/ ١١/ ١٩٩٢م:

أبطالها المجاهدون: عماد عبد الرحيم وأحمد حسان وتم اعتقالهما. وعبد الفتاح معلي استطاع الفرار، وكلهم من سلفيت

ونتيجتها: كشف العملية قبل وصول الهدف بدقائق ثم تفجير السيارة المفخخة مما أحدث خسائر مادية جسيمة وقد تحدثنا عنها سابقا.

٣) عملية اللبن الشرقية ١٥/٣/١٩٩٣:

بطلها المجاهد ساهر تمام - نابلس - ونتيجتها مقتل مستوطنين اثنين ومطاردة الأخ ساهر.

كان الأخ ساهر تمام من أسرة غنية مرفهة يعمل مساعداً لنا مع مجموعة مخيم بلاطة، كان متحمساً للعمل ومشتاقاً للجهاد، تواقاً للشهادة. وكان يعلم حاجتنا الماسة للسلاح وفي يوم ١٥/٣/١٩٩٣م صباحاً كان عائداً من رام الله إلى نابلس في سيارة والده التابعة لمصنعهم من نوع «مرسيدس شحن ٤طن» بيضاء اللون عند قرية اللبن شاهد مستوطنين مسلحين على حافة الشارع فنظر حوله فوجد الطريق فارغة فقرر دهسهما وأخذ سلاحهما، وقام بدهسهما بالفعل فماتا على الفور، ولما أراد النزول لأخذ السلاح شاهد سيارة مستوطن تقترب منه وتطلق النار باتجاهه فركب سيارته وفر دون أخذ السلاح، ثم وضعها في قرية «ينما» القريبة من قرية اللين واستقل سيارة أخرى حتى وصل نابلس إلى مكان السكن الذي كنت فيه. وكنت لحظتها أسمع الأخبار فإذا خبر العملية، فدهشت جداً وصرت أخمن وأتساءل من هذا الذي عملها؟ أتعرفه أم لا؟ لكني في الوقت ذاته خفت قليلاً لأن مجموعة مطاردينا موجودون في تلك المنطقة حيث كنا نخطط لعملية بعد يومين أو ثلاثة من هذا التاريخ «في ذكرى بدر» وإذا بالأخ ساهر تمام يقبل قادماً إلى السكن وهو

يلهث ولونه متغير!! فعرفت تماماً أنه هو منفذ العملية فبادرته بالسؤال: بالله عليك ألست أنت؟! فصار يضحك وقال: نعم: فعانقته وأخبرني أنه كان يريد سلاحهما فلم يتمكن من الحصول عليه.

بعد ذلك لمته قليلاً لأنه لم يخبرني مسبقاً حيث أن مطاردينا في تلك المنطقة فطلبنا من الأخ عدنان الإسراع إليهم لأخذ الحيطة والحذر حيث لم يكن بالإمكان نقلهم في مثل هذه الأجواء. وهكذا انضم ساهر تمام الفتى المترف إلى صفوف المطاردين المجاهدين يرحمه الله رحمة واسعة ما أصدقه وأحبه للجهاد.

كيف تعرفت على ساهر؟

٤) عملية برقين ٢٥/٣/١٩٩٣م

وأبطالها: سلامة مرعي... وساهر تمام... وأشرف واوي... وعبد الفتاح معالي. ونتيجتها مقتل جندي وإصابة اثنين من الجنود الصهاينة بجراح خطيرة.

بعد فشل عملية «رامات أفعال» قررنا العمل بأسلوب آخر تعوّد عليه أبناء الكتائب في مناطق أخرى مثل غزة. وهو: نصب كمين لدورية عسكرية وإطلاق النار على الجنود وقتلهم وأخذ سلاحهم. لحاجتنا للسلاح في ذلك الوقت وإمكانية هذا النوع من العمليات وهو أسلوب غير حرب العصابات: اختيار أهداف سهلة ومباغتتها بهجوم مفاجئ سريع وأخذ أسلحة الجنود.

تم رصد جيب عسكري لمدة تزيد عن أسبوعين من قبل المطاردين

أنفسهم الأخوة: «سلامة وعبد الفتاح وساهر وأشرف» ومعرفة حركته بدقة تامة حيث كان مكلفا بدورية ما بين قرى: بديا ومسحة. ورافات ودير بلوط «وكلها قرى من منطقة سلفيت ونابلس» وهي منطقة مليئة بالمستوطنات وتم اختيار مكان العملية بالقرب من قرية بروقين ومستوطنة «بركان». وكان قرار تنفيذ العملية في ذكرى يوم بدر الكبرى، حيث شهر رمضان المبارك. شهر الجهاد والتضحيات. والخطة أن يختبئ المجاهدون خلف الصخور في المكان المختار حيث تبعد عن الشارع عدة أمتار فقط، وإحضار سيارة بها أحد المجاهدين قبل موقع العملية بمائة متر تقريباً وعندما يمر «الجيب» تلحق به السيارة وتبقى على مسافة عشرة أمتار منه، حتى إذا ما وصل مكان الكمين يتم إطلاق النار عليه من قبل المجاهدين الثلاثة المختبئين خلف الصخور ويحملون بندقيتي (إم ١٦) وبندقية كلاشنكوف. وقتل الجنود الثلاثة داخل الجيب وأخذ سلاحهم وهوياتهم ثم ركوب السيارة التي بانتظارهم. العملية أكثر من دقيقة أو دقيقتين على أعلى تقدير. لكن يذكر أن موعد العملية تأجَّل مدة عشرة أيام بسبب عملية ساهر تمام. كما لم يكن مخططاً أن يشارك ساهر في العملية. لأنه لم تمض أيام على مطاردته. ولم يتدرب بعد كما ينبغي.

وكان من المقرر أن يشارك في العملية الأخ مهدي أبو طلحة، ولكن ساهر أصرَّ أن يشارك فذلك هو اليوم الذي تمناه، واضطررنا أخيراً وبعد إلحاحه الشديد إلى الموافقة على طلبه، وقد وعدنا الأخ مهدي بتعويضه في مرات لاحقه.

كان التزاحم عجيباً والتدافع إلى الموت والشهادة والجهاد كبيراً

من قبل المجاهدين.. وهل هناك شيء أعظم من التقرب إلى الله في ليلة القدر من قتل اليهود الغاصبين. ورفع راية الجهاد في سبيل الله. عندما تم إقرار موعد العملية.

اتفقنا أن يكون سائق السيارة الأخ عبد الفتاح. ووصل المجاهدون المكان المختار. وتمركزوا في مواقعهم حسب الخطة الموضوعة. وبعد عشر دقائق وصل الجيب حوالي الساعة الثامنة مساءً وتحركت سيارة الأخ عبد الفتاح خلفه، وعندما وصل الجيب مكان الكمين أطلق المجاهدون النار عليه بكثافة. ولكنهم لم يستطيعوا قتل الجنود الثلاثة وحصل اشتباك نفدت فيه ذخيرة المجاهدين كلها. وحضر إلى المكان جيب آخر بدأ بإطلاق النار على المجاهدين. عندها قرر المجاهدون بعد نفاد ذخيرتهم الانسحاب بين الجبال. حيث لم يكن بإمكانهم الوصول إلى سيارة الأخ عبد الفتاح الذي كان يراقب ما يجري فيضطر للانسحاب وترك المجاهدين في الجبال. نتج عن العملية قتل جندي وإصابة اثنين بجروح خطيرة. كان من أهداف العملية ألا يمر شهر رمضان: شهر بدر وعين جالوت، شهر الجهاد والبطولات، دون عمل وجهاد والحاجة الماسة للسلاح. أما سبب اختيار جيب مخصص لحماية المستوطنين لاصطياده فهو لزرع الرعب والذعر في قلوب المستوطنين.

كيف عاد المجاهدون بعد الخلل الذي حدث

انسحب كل مجاهد وحده باتجاه معين وتفرقوا كل على حده، حيث هرب الأخوان سلامة وعبد الفتاح باتجاه مستوطنة

«بركان» - عكس ما كان متوقعاً - بسبب معرفتهما للمنطقة فكان هذا الهرب باتجاه المستوطنة لصالحهما لأن التفتيش تمركز بالاتجاه الآخر بينما تاه الأخوان ساهر وأشرف (منفردين) في الجبال. أما ساهر فقد قادته قدماه - برعاية الله - حتى وصل إلى قرية «سرطة» المجاورة واختبأ في إحدى المغر حتى الصباح، ثم نزل إلى الشارع وركب في إحدى السيارات وكان يحمل هوية مزورة فاستطاع بسهولة اجتياز كل نقاط التفتيش المقامة على الطرق ووصل عندنا في نابلس، أما أشرف فتاه في الجبال ولم يعد، وفي اليوم التالي استنفرنا كل مساعدينا في تلك المنطقة للبحث عنه وبفضل الله استطاعوا العثور عليه وأوصلناه إلى قراوة عند سلامة الذي تمكن من الوصول بسهولة إلى أحد المخابئ لأنه ابن الجبال وابن تلك المنطقة وكان هذا الأمر من أصعب الأمور علينا.

الأخطاء التي وقعنا فيها

١) **السيارة:** في بداية الأمر أعددنا سيارة مسروقة من نابلس لتنفيذ العملية ووضعناها أمام المنزل الذي أسكن به في نابلس، ولم نصلح بابها المكسور، وبقيت أسلاك التشغيل ظاهرة مما يعني أن من بداخلها سيعرف أنها مسروقة. وهذا ما حدث فعلا حيث شاهدنا مجموعة من الشباب وسرقوها دون أن نعلم! وقد كاد هذا الحدث يجعلنا نلغي العملية لولا قدر الله حيث رأيت وأنا أسير في إحدى شوارع نابلس سيارة بنفس مواصفاتها فنظرت بداخلها وعرفت أنها هي، فأخذتها ووضعتها في مخزن لحين موعد العملية.

٢) **المنفذون:** كان يجب اختيارهم من أهل المنطقة تحسباً لأي طارئ يمكن أن يحدث كما حدث مع منفذي العملية بالفعل. فلولا لطف اللّه لحدث ما لا تحمد عقباه.

٣) **التدريب على إطلاق النار:** قلت: إن المجاهدين لم يكونوا متدربين جيداً على إطلاق النار وإلا لقضوا على الجنود الثلاثة ولو أن مجاهداً واحداً كان متدرباً تدريباً جيداً لأمكنه القضاء عليهم والاستيلاء على أسلحتهم.

٤) **ترك قطعة سلاح في المعركة:** ترك أحد المجاهدين سلاحه «الكلاشنكوف» أثناء فراره ليسهل هربه! فبدل أن نكسب سلاحاً في هذه العملية كما كان مخططا، خسرنا قطعة سلاح ونحن بأمس الحاجة - وقتها - للسلاح، ولا شك أن ترك قطعة سلاح في موقع التنفيذ خلل كبير.

٥) **عدم التأكد من صلاحية السلاح قبل التنفيذ:** كانت خطة العملية تقضي أن لا يتم إطلاق النار حتى يطلق الأمير الموجود في المقدمة، إلا أن الطلقة الأولى معه لم تنطلق. وذلك لأن الرصاصة في الباغة كانت غير صالحة وهذا كاد يفشل العملية تماما.

٦) **الرصاص:** يجب أن يكون الرصاص من النوع الجيد، لكن معظم الرصاص الذي كنا نستعمله نجمعه من مخلفات الجيش الإسرائيلي في معسكرات تدريبهم ومعظمه لم يكن صالحا.

التبني

تم الإعلان الأول عن العملية بشكل رسمي من الجبهة الديمقراطية من دمشق. وتأخرنا نحن بالإعلان لمدة ثلاثة أيام وبعدها تم الإعلان عنها باسم كتائب الشهيد عبد الله عزام لكن اليهود قالوا كتائب القسام.

عند اختلال موازين القوى لصالح الأعداء. ينتفض الإيمان في قلوب المجاهدين ليصنع المعجزات معدلاً بذلك الموازين وقالباً كل الحسابات متجاوزاً كل تصور أو توقعات، إنه الإيمان يتحدى كل الطواغيت. رغم قلة ذات اليد وندرة الوسائل وانعدامها!! هذه هي الأسطورة التي جسدها جند الكتائب واقعاً حياً مشاهداً بعد ما كنا نقرؤها فقط في صفحات الكتب.

الوحدة الخاصة نموذج فريد مميز رائع مبدع استطاع أن يجسد هذه المعادلة على الأرض تماما، فأربك المحتلين وجن جنونهم وبلغ بهم الغيظ النابع من العجز كل مبلغ!

أربعة شبان مؤمنين عملوا وحدهم دون توجيه من أحد وعزفوا لحن المجد... شرفني الله بالتعرف عليهم قبيل اعتقالي بفترة بسيطة، يستحق هؤلاء الأبطال أن نفرد لهم حديثاً خاصاً قبل تسجيل عملياتهم الرائعة التي كان على رأسها اختطاف نسيم توليدانو.

بداية عمل الخلية

منذ مطلع الانتفاضة نظَّم الأخ محمود عيسى، الأخ ماجد قطيش لعضوية حماس وبعد خروج الأخ موسى عكاري من السجن

نظم الثلاثة خلية لحماس أخذت على عاتقها ردع العملاء ومهاجمتهم.

في منتصف الـ ١٩٩٢م اتجه تفكير المجموعة للعمل على حرق السيارات داخل مستوطنات اليهود. كانت الخلية بحاجة لسائق سيارة فاتصلت بالأخ بركات أبو ليلى - القدس - وانضم عضواً رابعاً للخلية، وبدأت الخلية عملها ونفذت أربع عمليات حرق سيارات في «القدس الغربية» شكلت هذه العمليات إزعاجاً كبيراً لأجهزة الأمن الإسرائيلية التي شكلت طواقم خاصة للتحقيق في هذه القضية وجندت دوريات خاصة تجوب الشوارع في القدس تحرس السيارات ومع ذلك تواصل عمل الخلية.

وفي أواخر ٩٢م اعتقل الأخ بركات تحرس بتهمة مساعدة كتائب القسام في غزة، فبحثت الخلية عن عضو رابع فكان الأخ محمود عطوان حيث عرض عليه الأخ محمود عيسى الانضمام لخلية عسكرية فوافق، واتجه التفكير بعد ذلك للعمل العسكري الجاد.

قبل ذلك قامت المجموعة بحرق عمارة تتكون من أربعة طوابق في قلب القدس، ثم اتجه تفكير الخلية لخطف جندي ومبادلته بالشيخ أحمد ياسين كخطوة أولى على طريق تحرير بقية الأسرى وحتى تلك اللحظة وما بعدها أي حتى عملية الخطف، لم تكن الخلية تملك سلاحا أو حتى اتصالا رسمياً بالحركة.

٥) عملية الوفاء للشيخ أحمد ياسين

من أجل حرية الشيخ المجاهد أحمد ياسين، صاحب الفضل -بعد الله -في تأسيس حركة حماس ووفاء لهذا الرجل

العظيم من تلاميذه وأبنائه الذين أحبوه اتجه تفكير (الوحدة الخاصة) نحو خطف جندي وطلب مبادلته بالشيخ أحمد ياسين، فبدأ الإعداد لذلك وكان الأخ محمود عيسى قد استطاع العثور على مغارة رائعة في «عناتا» عن طريق مساعدة أحد الباحثين عن الآثار وهذه المغارة تتميز بمدخل غير ملحوظ للعيان مثل مدخل «البئر» ويؤدي المدخل إلى مغارة داخلية يوجد داخلها سراديب متعددة تؤدي إلى عدة مغارات وقد تم اختيار إحداها فيما بعد لاحتجاز المخطوف».

التخطيط والتنفيذ

١) في منتصف شهر ٩٢/١١م انطلقت المجموعة مزودة بأربع سكاكين وقطع من الحبال نحو اللد في سيارة «فيات خضراء». وفي الطريق تعطلت السيارة فلم يتمكن أبناء المجموعة من إكمال مسيرتهم نحو اللد فعادوا أدراجهم عاقدي العزم على العودة إلى اللد لكن بعد شراء سيارة مناسبة وأفضل من سابقتها.

٢) في ظهيرة ١٩٩٢/١٢/١٢م وصل خبر للخلية أن إسرائيلياً يملك سيارة سوبا حمراء ينوي بيعها بـ ٣٠٠٠ شيقل فقامت الخلية بجمع المبلغ من أموالها الخاصة وتوجه الأخوة: محمود عطوان ومحمود عيسى وماجد قطيش إلى سكن اليهودي ومساء ذلك اليوم ١٩٩٢/١٢/١٢م. تم شراء السيارة بعد معاينتها ودفع مبلغ ٢٨٠٠ شيقل مقدما.

٣) في نفس اليوم «الساعة الواحدة ليلا» أي فجر يوم ١٩٩٢/١٢/١٣م توجه أبناء الخلية: محمود عطوان ومحمود

عيسى وماجد قطيش وموسى نحو اللد لخطف الجندي.

٤) انطلقت السيارة من عناتا ووصلت اللد وهناك تم البحث عن جندي يتجول في تلك المنطقة واستمر ذلك حتى الساعة الثالثة تقريباً، وفي قلب اللد لمحت المجموعة جندياً ينوي قطع الشارع.

٥) كانت خطة الخلية تقضي بخطف أي جندي، حيث يقومون بإيقاف السيارة إلى جانبه لينزل منها إخوة ينقضون عليه سريعاً ويدخلونه السيارة، لكن ذلك لم يحدث مع (توليدانو) إذ سهل الله الأمر فسنحت الفرصة للمجموعة أن تصدمه بالسيارة وهو يحاول عبور الشارع حيث كانت المجموعة قد أوقفت السيارة ضمن طابور السيارات المتوقفة على حافة الطريق وأطفأت أضواءها، عبر الجندي الشارع في جو قليل الضباب، فانقضّت عليه السيارة من خلفه وصدمته فوقع على الأرض وخلال ثوان معدودة نزل الأخوة «محمد ومحمود وماجد وموسى» من السيارة وحملوه إليها ووضعوا غطاءً على رأسه وعملوا على تربيطه وتفتيشه.

وأثناء مسيرهم كان يحاول الحركة والكلام فيجابه بضغطة سكين حادة على معدته فيسكن، وكلما عاود المحاولة عادت السكين للضغط، وإذا حاول الكلام لم يكن يسمع إلا «ش».

٦) كان الهدف من اختيار مدينة اللد هو عدم تمكن اليهود من تحديد جهة الخاطفين فالمدينة تقع في الوسط، وبالتالي يمكن أن يكون الخاطفون من الوسط أو الجنوب أو الشمال!!.

٧) وصلت المجموعة قرية «عناتا» مع أذان الفجر، وعند الوصول

إلى مكان قريب من المغارة تم إنزال الجندي وهو مكبل بالحبال مغطى الرأس، وسيق نحو المغارة وهو على حاله وقد حاول التظاهر بالموت حال إنزاله من السيارة إلا أن عدة ضربات قاسية ثقيلة جعلته يقف على قدميه كالأرنب.

٨) تم الاستيلاء على سلاحه وهويته ونقوده «٢٠» شيقل وساعته اليدوية وسترة الجيش التي عليه.

٩) تم إدخاله للحفارة عن طريق جره من باب مدخل ضيق حيث دخل الأخ محمد عيسى أمامه والبقية خلفه.

١٠) صار الجندي يرتجف من الخوف ويقول: إنه جيد مع العرب وإنه كان يعامل السجناء بلطف راجياً أن تطلق المجموعة سراحه! فأفهمته المجموعة أنه مخطوف من أجل مبادلته بأسير فلسطيني دون تحديد هوية الأسير أو المجموعة.

١١) تم تفتيشه مرة أخرى ثم تربيطه جيداً في كل جسمه «كالمومياء» ثم تم إغلاق المغارة عليه وتركه وتهديده وبأن أي حركة ستكلفه حياته.

١٢) خرجت المجموعة من عنده ومعها وثائقه وسلاحه وتفرقوا كل إلى بيته حوالي الساعة السابعة والنصف من صباح يوم ١٣/١٢/١٩٩٢م.

١٣) تم الاتفاق على أن يلتقي الأخوة: محمود عيسى وماجد قطيش ومحمود عطوان في مكان محدد بعد أن يكون الأخ محمود قد أتم كتابة بيان خاص وطباعته يوضح فيه أهداف العملية ومنح الحكومة الإسرائيلية مهلة ٩ ساعات لإطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين مقابل إطلاق سراح الجندي الأسير دون أن يلحق به أذى أما إذا انتهت

المدة ولم يتم تحقيق المطلوب فستقوم المجموعة بإعدامه.

١٤) أخذ الأخوان ماجد وعطوان البيان من محمود عيسى وتوجها به نحو مبنى الصليب الأحمر في مدينة «البيرة» حيث دخلا المبنى ملثمين وهناك سلما مظروفا فيه نسخة من البيان إلى عاملة في مكتب الصليب والتي أبدت استغرابها من الأمر طالبين منها عدم فتح المكتوب إلا بعد نصف ساعة، ثم عاد الأخوان وأخبرا محمود بما حدث.

١٥) تفرق الإخوان على أن يلتقوا عصراً في مسجد صلاح الدين الأيوبي في قرية «عناتا» وتم اللقاء لكن حتى الساعة الرابعة لم تكن وسائل الإعلام قد أذاعت الخبر، ولكن لوحظ وضع نقاط تفتيش كثيفة في المناطق كافة وتفتيش دقيق للسيارات العربية.

١٦) في حوالي الساعة الرابعة اتصلت المجموعة تلفونياً بوكالة الأنباء الفرنسية بالكلمات التالية «كتائب عز الدين القسام» قامت بخطف جندي إسرائيلي والتفاصيل في مكتب الصليب الأحمر في مدينة «البيرة».

١٧) في الساعة الرابعة والنصف أذيع نبأ خطف الجندي مع تفاصيل بيان الكتائب في الإذاعة الإسرائيلية.

١٨) تم الاتفاق بين أبناء الخلية على اللقاء الساعة ١٢ ليلا ١٢/١٣ في مسجد عناتا للتباحث في أمر الجندي بعد متابعة وسائل الإعلام ومعرفة ردَّة فعل الحكومة الإسرائيلية، وتم الالتقاء والاتفاق على قتل الجندي لأن الحكومة الإسرائيلية لم تبد تجاوباً وحتى يكون ذلك درساً لهم وليعلموا أننا إذا قلنا فعلنا وليعلموا أننا جادون في تهديدنا.

وهذا نص بيان الكتائب:

بيان الوحدة الخاصة لعملية الخطف

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان الانطلاقة السادسة

بيان عسكري صادر عن «الوحدة الخاصة»

في «كتائب الشهيد عز الدين القسام»

الجهاز العسكري لحركة المقاومة الإسلامية «حماس»

في الذكرى السنوية السادسة لانطلاقة حركة المقاومة الإسلامية حماس، قامت مجموعتنا ليلة ١٩٩٢/١٢/١٣م باختطاف أحد ضباط جنود الاحتلال وهي الآن تحتجزه. في احتجازنا هذا الضابط فإننا نطالب سلطات الاحتلال وزعامة «إسرائيل» بإطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين مقابل إطلاق سراح هذا الضابط على أن تقوم أجهزة الاحتلال الإسرائيلي بتنفيذ ذلك خلال مدة أقصاها عشر ساعات أو حتى الساعة التاسعة من مساء اليوم ويكون ذلك ضمن الشروط التالية:

١- الالتزام بالمدة المحددة وإلا فسيتم قتل الضابط فور انتهائها.

٢- أن يتم إطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين أمام مندوب الصليب الأحمر الدولي والسفراء: المصري والفرنسي والسويدي والتركي. وتتعهد سلطات الاحتلال أمام هؤلاء جميعاً أن لا تعود لتعتقل الشيخ عقب إطلاق سراحه.

٣- تحذر سلطات الاحتلال من محاولة المساس بشيخنا لأن ذلك سيكلفها غالياً.

٤- نتعهد من جانبنا بإطلاق سراح الضابط عقب إطلاق سراح الشيخ مباشرة بالطريقة التي نراها مناسبة.

٥- يبث التلفاز الإسرائيلي إجراءات إطلاق سراح الشيخ والتعهدات أمام الشخصيات المذكورة سابقاً مفصلاً

الوحدة الخاصة - كتائب الشهيد عز الدين القسام
الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس
١٩٩٢/١٢/١٤م.

١٩) أخرج الجندي من المغارة وأُبْلِغ أنه سيتم إطلاق سراحه وطُلب منه عدم إحداث ضجة. فطلب الجندي من المجموعة أن تعيد له نقوده «٢٠ شيقل» بعد ذلك قامت المجموعة بطرح الجندي أرضاً. تم خنقه بالحبل ووضعه في سيارة ثم توجهت به شرق شمال القرية باتجاه مستعمرة أريحا «ميشور أدوميم» شمال مستوطنة «معاليه أدوميم» التي تقع على طريق القدس أريحا وذلك تمام الساعة الثالثة فجراً. وهناك على جانب الطريق ألقى الجندي من السيارة وسحب على الأرض وأنزل في مجرى ماء موسمي. وهناك قام الأخ محمود بطعنه عدة طعنات في أوداجه للتأكد من موته ثم عاد كل واحد من المجموعة إلى منزله.

كان الموعد الأخير مع الحكومة الإسرائيلية الساعة التاسعة مساءً. وقد قتل الجندي بعد ست ساعات على انتهاء المهلة أي في تمام الساعة الثالثة فجراً فكان ذلك درساً قاسياً لإسرائيل.

فجن رابين على الفور بعملية الإبعاد الشهيرة إلى مرج الزهور

وكانت بتاريخ ١٩٩٢/١٢/١٧م.

هكذا عملت الوحدة الخاصة وحدها دون مساعدة من أحد ودون أن يكون لها اتصال رسمي بالحركة (حماس) استطاع أربعة شبان مؤمنين أن يلفتوا نظر العالم كله أن ينتظر كلمة واحدة منهم تنقذ شرف إسرائيل. الذي مرغته الكتائب في التراب. هكذا كانت المعادلة.

أربعة مجاهدين + حبال وسيارة وسكين والنتيجة = تمريغ أنف إسرائيل بالتراب وتحطيم أسطورة الجيش الذي لا يقهر! فهلا أدرك أرباب الجيوش والأسلحة هذه الحقيقة ففتحوا لجند الإسلام الحدود؟! لكن:

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

تقييم عملية الخطف

لا شك أن العملية كانت رائعة في الأداء والتنفيذ والتخطيط بدءاً من تحديد المكان، مروراً بالهدف ثم التنفيذ وانتهاءً بالتعاطي مع ردة فعل الحكومة الإسرائيلية حيث كان مقتل الجندي درساً قاسياً لهم، إلا أن أسلوب الخطف لم يكن الأسلوب الأمثل. والأصوب رغم نجاحه، فأسلوب الصدم كان يمكن أن يؤدي إلى إحداث عطب بالسيارة وبالتالي فشل العملية كما حدث معهم في محاولة لاحقة - سنتحدث عنها فيما بعد - ولربما كان الأولى الاحتفاظ بجثة الجندي وعدم تسليمها لهم. والإعلان عن قتله عبر شريط فيديو تظهر فيه جثته والله أعلى وأعلم.

كيف اتصلت الوحدة الخاصة بنا

كان الأخ محمود عيسى يعرف الأخ إبراهيم نواهضة من أيام الدراسة في جامعة القدس «وكان إبراهيم يعمل معنا» حيث اتصل به المجاهد محمود طالبا منه المساعدة المالية والسلاح لإحساسه أن له علاقة بهذه الأمور. وقد وافق الأخ إبراهيم على ذلك من حيث المبدأ لكن على أن يقدم له جواباً رسمياً فيما بعد. اتصل الأخ إبراهيم بي فتحمست للأمر دون أن أخبر أحداً بذلك وقمت بتحديد لقاء بيني وبين الأخ محمود الذي قال إنهم بحاجة لمبلغ من المال لشراء سيارة. وأنهم بحاجة للسلاح، اتفقنا على موعد آخر في مسجد الحاج معزوز في مدينة نابلس.

لقد كنا نحن أيضاً بحاجة ماسة للمال والسلاح خاصة أننا مطاردون ولكني قلت: الوحدة الخاصة أهم. فأرسلت لهم عن طريق الأخ إبراهيم مبلغ ٧٠٠٠ دينار أردني تبرعاً من أحد الإخوة «فكانت تلك غلطتي التي كشفت طرف الخيط الذي قاد فيما بعد للوصول إلى الوحدة الخاصة، واعتقالهم، بعد اعتقالي بشهرين كما سأتحدث لاحقاً»؟؟ لم نستطع شراء السلاح لهم فاضطررنا لمنحهم رشاش عوزي + مسدس من سلاح المطاردين. وتابعت الوحدة الخاصة عملها وكان التنسيق بيننا عن طريق الأخ إبراهيم نواهضة. ويشار هنا إلى أن الوحدة الخاصة كانت تحرص على عدم الاتصال بأحد لأنهم يريدون العمل وحدهم.

فلنتابع إذن سجل بطولة هذه الوحدة المختارة من كتائب القسام «كما اشتهرت بذلك في وسائل الإعلام»

الوحدة الخاصة تواصل الإبداع

بعد حصولهم على النقود قاموا ببيع سيارة السوبارو والبحث عن سيارة من نوع فورد سيرة «بولتشت» وهي نفس نوع السيارة التي تستعملها الشرطة والمخابرات ولم يكن ذلك سهلاً إلا أنهم تكمنوا من شرائها بعد مدة من البحث والتحري.

٧) عملية الخضيرة الأولى

بتاريخ ١٧ / ٢ / ١٩٩٣م الساعة الواحدة فجرا.

كان المخطط أن تتخصص الوحدة الخاصة بعمليات الخطف بهدف إطلاق سراح الأسرى، توجهت الخلية نحو الخضيرة متسلحة بـ عوزي ومسدس الجندي توليدانو وسكاكين وكلبشات وقيود حديدية، وخلال توجههم لاحظوا جنديين يشيران لإيقاف سيارة تنقلهما على الطريق، فتم صدم (أحدهما) بينما لاذ الآخر بالفرار. إلا أن السيارة تعطلت بشكل كبير حيث ثُقب «الروديتر» وخُرق عجل السيارة «بنشر» ففرَّ أبناء المجموعة من موقع الحادث متوغلين في قلب منطقة الشمال الفلسطيني، وسلكوا طريقاً للعودة غير طريق القدوم «تل أبيب -القدس» لأنه أصبح غير آمن لعدم القدرة على الاختفاء فيه كونه طريقاً مستقيماً طويلاً يمتد ٤ كم بعيداً عن الحادث والشرطة تطارد سيارتهم.

استعدت الوحدة الخاصة استعدادا تاماً لأي طارئ وجاهزية مطلقة لاشتباك مسلح إذا دعت الحاجة، وشاء الله أن يلطف ويسلم حيث أصلح عطب العجل وتم الابتعاد عن أعين أجهزة الشرطة.

والأمن الإسرائيليين. والعودة للقدس عبر طريق الغور الفلسطيني حيث كانت الرحلة طويلة وشاقة توقفت فيها السيارة كثيراً بسبب ارتفاع حرارتها وعندما وصل الشباب أبواب قرية «عناتا الشرقية» أوقفوا السيارة وذهب الأخوان محمود وماجد لإخفاء السلاح ودخلوا القرية مع طلوع الشمس، أما السيارة فقد استطاع الأخوان عطوان وموسى تشغيلها والتوجه بها نحو ميكانيكي لتصليحها.

أدت العملية إلى إصابة الجندي المدهوس بجراح خطيرة.

ومما تقدم يبدو واضحاً أن أسلوب «الدهس» خاطئ وليس هو الأسلوب الأمثل للخطف ولئن كانت الوحدة الخاصة قد نجحت مع توليدانو بنفس الأسلوب فلا يعني ذلك مطلقاً سلامة الأسلوب، وما حدث في هذه المحاولة خير دليل فقد كادت الخلية أن تكتشف ويلقى القبض على أفرادها لولا أن الله سلم.

٨) عملية الخضيرة الثانية

بتاريخ ١٩٩٣/٣/٣٠م. يوم الأرض، الساعة ٢:٣٠ فجراً.

أصبحت سيارة الخلية في حالة تسمح برحلة جديدة إلى قلب الشمال الفلسطيني لتنفيذ عملية خطف جنود إسرائيليين، ففي يوم الأرض ٣/٣٠/ ١٩٩٣م وصلت الخلية إلى الخضيرة حوالي الساعة ٢:٣٠ فجراً وهناك شاهدت سيارة شرطة إسرائيلية متوقفة على جانب الطريق، فأجمعت الخلية الأمر - متكلة على الله - قاصدة أن تكون تلك السيارة صيدها الثمين في يوم الأرض. تم الاقتراب من السيارة

بالاتجاه المعاكس وتحديد راكبيها حيث كانا شخصين اثنين، ثم ابتعدت الخلية عنهما بالاتجاه المعاكس وبعد ذلك غيروا اتجاه السير بحيث أصبحوا في اتجاه توقف سيارة الشرطة فاقتربوا منها.

صارت السيارة شبه متوقفة ولما صارت السيارتان على خط واحد بدأ الأخ محمود بإطلاق النار من رشاش عوزي، أما ماجد وموسى فأطلقا النار من مسدسيهما حتى تأكدوا من موت الشرطيين فانطلقت الخلية عائدة إلى مواقعها، وفي طريق العودة عند أبواب مدينة القدس بالقرب من دير ياسين، تواجدت سيارات شرطة مرور واضعة حاجز تفتيش، وعند اقتراب سيارة المجاهدين من الحاجز أعطى لهما الشرطي إشارة بالمصباح اليدوي للتوقف فهيأ المجاهدون أنفسهم للاشتباك، وبحركة ذكية من الأخ محمود عطوان أظهر فيها أنه يحاول التوقف ثم تجاوز الحاجز ببطء، وعندما استطاع الابتعاد عنه أطلق للسيارة العنان تاركاً وراءه الشرطة، وسلم الله الخلية وأبطالها فعادوا سالمين غانمين سلاحَي الشرطة.

وفي الصباح أحضر الأخ محمود عيسى بيان العملية وسلمه للأخ ماجد الذي توجه به لأحد مكاتب الصحافة الفلسطينية وسلمه للصحافي هناك، وهكذا انتهت العملية - بفضل الله - بنجاح تام، ومن الجدير بالذكر أن «إسرائيل» في تلك الفترة كانت قد فرضت طوقاً أمنياً شاملاً على الضفة والقطاع فجاءت هذه العملية خلال الطوق وفي العمق الإسرائيلي لتشكل ضربة قاسمة لإسرائيل وأجهزتها الأمنية الهشة.

وتم اعتقالي في ١/٤/٩٣ مساءً أي بعد العملية بيوم واحد.

ظروف وطريقة الاعتقال:

٩) عملية مفرق بيلو «الرملة»

بتاريخ ٦/٥/١٩٩٣م الساعة ٣:٤٠ فجراً.

انطلقت الخلية بعد منتصف ليلة ٦/٥/٩٣م لتنفيذ عملية جديدة، متسلحة بكامل أسلحتها: «عوزي ومسدسي الشرطيين، مسدس توليدانو، مسدس آخر» انطلقت إلى منطقة الشمال الفلسطيني وما إن وصلت مدينة الرملة وعلى مفترق بيلو حتى شاهدت سيارة شرطة إسرائيلية تقف على بعد أمتار من إشارة المرور الضوئية، وفيها شرطي واحد، فقررت على الفور التوجه إليه وخطفه، سارت الخلية مسافة معينة ثم غيرت اتجاه السيارة عائدة إلى سيارة الشرطي حيث توقفت سيارة الخلية بالقرب منها ونزل الأخوان محمود «بالعوزي» وموسى «بالمسدس» وكانت الخطة تقضي أن يتم فتح باب سيارة الشرطي فجأة ثم ضربه والسيطرة عليه واقتياده إلى السيارة ولكن حدث ما لم يكن بالحسبان فقد توجه الأخ محمود نحو باب السيارة محاولا فتحه فوجده مغلقاً مما نبه الشرطي الذي كان نائماً. وشاهد الأخ محمود وبيده العوزي يشير إليه بالنزول فإذا بالخوف يقطع أوصال الضابط ويملك عليه نفسه فصار يرجو ويتوسل ويطلق كلمات الاستجداء من داخل السيارة، أثناء ذلك لاحظ الأخ محمود أن سيارة شرطة تقف على المفترق تنتظر الإشارة الخضراء لتعبر إلا أنها توجهت باتجاه معاكس فلما اطمأن لابتعاد سيارة الشرطة قام بإطلاق عدة طلقات إلى صدر الضابط.. ثم عادت الخلية أدراجها ولم تعلن مسؤوليتها عن الحادث.

ومن وسائل الإعلام تبيّن أن الضابط أصيب بجروح خطيرة وأنه يحمل رتبة كولونيل «عقيد». وكانت هذه العملية آخر عمليات الوحدة الخاصة التي أذاقت إسرائيل ويلات المنون وأربكت أجهزة الأمن الإسرائيلية وساستها! كانت الوحدة الخاصة مميزة في عملها وأسلوبها وأدائها. وبسبب كون أعضائها مقدسيين يحملون الهويات الإسرائيلية كانوا يجوبون المناطق الإسرائيلية بكل سهولة فلم يكن يقف أمامهم طوق أو حصار وهذا ما ميز هذه «الوحدة المختارة» حيث تخصصت في أسلوب واحد هو الخطف وجعلت نصب عينها هذا الهدف من أجل الأسرى الأبطال وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين. ولولا خطأ بسيط حدث مع الإخوة في التحقيق عند المخابرات الإسرائيلية لما تم اكتشاف هذه الوحدة أبداً، ولكنها مشيئة الله. ويذكر أنه تم اعتقال أعضاء هذه الخلية في ٦/٣ و ٦/٥ ٩٣م.

وهذا ملحق يحوي سجل بطولة الوحدة الخاصة:

أولاً: عمليات الحرق:-

١- حرق سبع سيارات في منطقة «بسجات زئيف» - القدس - بتاريخ ١٩٩٢/٥/٣م الساعة ٤:٣٠ فجراً.

٢- حرق ٤ سيارات في منطقة «رموت هريكيفت» - القدس - بتاريخ ١٩٩٢/٦/٤م الساعة ٤:٣٠ فجراً.

٣- حرق ٤ سيارات ووضع «آجو» على خمس سيارات أخرى في شارع «توتسومت رموت» - القدس - بتاريخ ٩٢/٦/٨م فجراً.

٤- حرق ١١ سيارة في منطقة «حيفات بيت هكيرم» القدس بتاريخ ٩٢/٦/٣٠م الساعة ٤:٣٠ فجراً.

٥- حرق منزل بالآغو في أحد شوارع القدس بتاريخ ٩٢/١/١٥م الساعة ٤:٣٠ فجراً.

وفي جميع العمليات كانت تكتب شعارات لحماس.

ثانيا: العمل العسكري:

١- **خطف الجندي نسيم توليدانو** من منطقة سكناه، في اللد بتاريخ ٩٢/١٢/١٣م الساعة ٤:٠٠ فجراً، وتم قتله في ٩٣/١٢/١٤م الساعة ٣:٣٠ فجراً.

٢- **عملية الخضيرة الأولى:** دهس الجندي (نوعم كولر) بتاريخ ٩٣/٣/١٧م الساعة ١:٥٠ فجراً.

٣- **عملية الخضيرة الثانية:** قتل الشرطيين «دانئيل خروت ومردخاي إسرائيل وغنم مسدسيهما. بتاريخ ٩٣/٣/٣٠م الساعة ٢:٣٠ فجراً.

٤- **عملية مفرق بيلو «الرملة»:** إطلاق النار على كولونيل وإصابته بجراح خطيرة. بتاريخ ٩٣/٥/٦م الساعة ٣:٤٠ فجراً.

١٠) عملية السيارة المفخخة في بيسان «عملية الوفاء للمبعدين» ١٩٩٣/٤/١٦م

وبطلها الاستشهادي: ساهر تمام «أو شهداء السيارات المفخخة في فلسطين».

بعد عملية الإبعاد لمرج الزهور عقدنا العزم على أن نلقن اليهود درساً قاسياً لا ينسونه، فتم التنسيق بين كل الخلايا كل تعمل في فترة واحدة -نسبياً - فمثلاً تم الاتفاق مع الوحدة الخاصة على مواصلة عمليات الخطف وتكثيفها، وقد تحدثنا عن محاولاتهم ثم قمنا نحن بالإعداد لعملياتنا ومنها عملية بروقين التي خطط أن يتبعها العديد من العمليات ولكن انصب التفكير المركزي نحو عملية مركزية ضخمة لقتل عدد من اليهود بنفس عدد المبعدين، فكانت فكرة السيارة المفخخة الاستشهادية وكان من المخطط أن يقودها الاستشهادي إلى عمارة في القدس مكونة من أربعة طوابق، يضم الطابق الأول فيها مجمعاً تجارياً يحوي أكثر من ١٠٠٠ شخص في أوقات معينة. بدأنا الإعداد حيث اشترينا سيارة، واستأجرنا مخزناً في نابلس وبدأت مع يحيى العمل المتواصل ليل نهار لإتمام المادة المتفجرة، فتمت صناعة (١٢٠) كغم من المتفجرات وضعناها في أربع اسطوانات كبيرة الحجم، ونحن في غمرة الإعداد، حدثت عملية الخضيرة للوحدة الخاصة في ٩٣/٣/٣٠ المعدة أن تكون عملية خطف يتم الإعلان فيها عن الخطف ولكنها تمت بمقتل الشرطيين وأخذ سلاحهما ومما أعاق العمل كثيراً اعتقالي الذي جاء بعد هذه العملية بيوم واحد أي بتاريخ ٩٣/٤/١م. واعتقال عدة مجموعات تعمل معنا، لذا غيّر الإخوة مكان العملية بعد اعتقالي بسبب الطوق الأمني حيث لم يكن بالإمكان إدخال السيارة المفخخة إلى القدس، كما غيروا مكان السيارة الجاهزة المعدة. حيث كان يحيى قد جهزها بشكل كامل وأصبحت معدة وجاهزة للتفخيخ وتم وضعها في مخزن آخر لا يعرف به

المعتقلون خوفاً من حصول اعترافات على مكان السيارة. وصار هدف السيارة مطعماً إسرائيلياً في «محولا» لا يرتاده إلا الجنود الإسرائيليون حيث يتواجد فيه أكثر من (١٠٠) جندي إسرائيلي. فتم رصد المطعم ومراقبة وقت حضور الجنود والضباط واختير يوم ١٦/٤/٩٣م ليصادف اليوم الذي كان للمبعدين. كان أصعب ما في الأمر اختيار الشهيد المنفّذ حيث تنافس المطاردون جميعاً على ذلك. كل يريد أن يفتت بأشلائه المتفجرة أجساد اليهود في سبيل الوفاء للمبعدين، وفاء لحركته وقادة حركته في مرج الزهور. كانت المنافسة الأكبر بين الأخوين ساهر تمام وأشرف واوي. وكان الاختيار صعباً إلا أن ساهر أصر وصمم على أن يكون هو المنفذ ورفض القرعة وأقسم ألا يذهب غيره، ساهر ابن جبل النار. ابن الترف والنعيم. ساهر الذي كان أهله على استعداد أن يجمعوا له الدنيا كلها بمتاعها ونعيمها في لقمة واحدة يضعونها في فمه، كانوا على استعداد -بمجرد إشارة واحدة منه- أن يجعلوه أكثر رفاهية! لكن نفسه العظيمة العالية كانت تتوق للشهادة ولقاء الله. صدق فصدقه الله. رحمة الله عليك يا ساهر ما أصدقك! وما أعظمك! واستقر الرأي أن يكون ساهر تمام أول شهداء السيارات المفخخة... وقد كان..

سارت في صباح الجمعة ١٦/٤/٩٣م مسيرة الأكفان للمبعدين وأثناء المسيرة كان ساهر على موعد مع الشهادة في تمام الساعة العاشرة صباحاً حيث دوى الانفجار الهائل (١٢٠) كغم من المتفجرات في أربع اسطوانات غاز كبيرة الحجم في سيارة بين باصين إسرائيليين على باب المطعم المليء بالجنود الإسرائيليين.

إعلان اليهود كذب وتضليل

اعترفت إسرائيل بالعملية عبر إذاعتها الإخبارية لكنها ادعت أن الجنود كانوا قد نزلوا من الباصين ودخلوا المطعم قبل لحظات من الانفجار فلم يصب أحد منهم بأذى، وأنه قتل عربي كان في المطعم، يذكر أن إسرائيل منعت وسائل الإعلام المرئية - فترة من الوقت - من تغطية العملية وتصوير الآثار الناجمة عنها وأعلنتها منطقة عسكرية مغلقة. ولقد كنت وقتها في التحقيق وأطلعني المحققون على صور الباصين فكانا ركاماً ورماداً. ورأيت ساهر رحمة الله عليه متفحماً، لكنني عرفته -رغم ذلك - وإنني أظن أنه لم ينج أحد من الجنود بل ماتوا جمياً فإن (١٢٠) كغم من المتفجرات تفرغ الهواء حولها مساحة (١٠٠) متر مربع. وفي هذه المسافة لا ينجو أحد، ثم كيف يعقل أن يموت العامل العربي داخل المطبخ ولا يصاب الجنود داخل المطعم؟! كان من السهولة بمكان إخفاء خسائر مثل هذه العملية حيث إنها منطقة نائية لا سكان فيها ولا أحسب أن الحكومة الإسرائيلية كانت تجرؤ على إعلان مثل هذا العدد الهائل من القتلى في جنودها!! إلا أن أعجب ما رأيت من صور العملية هو احتراق كل شيء وتفحمه إلا مصحف صغير كان يحمله ساهر إضافة إلى (المأثورات) وقد شاهدت صورة لها في التحقيق لم يمسها شيء وقد كانت في جيبه وكان هذا أكثر ما أغاظهم في التحقيق!! وقد آذوني في التحقيق عندما علموا أنني كنت على علم مسبق بهذه العملية!.

هكذا مضى ساهر تمام إلى ربه شهيداً حياً وفتح باب العمليات الاستشهادية على مصراعيه لكل راغب يود أن يطرق أبواب

الجنة بجماجم الصهاينة.

إن الشهادة تاج ليس يلبسه إلا أبيٌّ كريم النفس مقدام

وأنت أهل لها كم كنت تطلبها وأنت في عزمات الخير مقدام

عملية دير بلوط

في صباح يوم الجمعة ٩٣/٨/٦م طلب الشيخ سليمان غيظان من أحد مساعدي الكتائب الأخ: محمد ريان أن ينقل الأخوين علي عاصي، وعدنان مرعي إلى نابلس. حيث كان مع الإخوة مهدي واشرف إضافة إلى المهندس يحيى عياش في منزله صباح ذلك اليوم. لم يكن الإخوة آنذاك قد علموا أن عملية قد وقعت قبل ذلك بيوم واحد أي في ٩٣/٨/٥ وهي عملية خطف الجندي «أرون حيم» وحرقه عند بيتونا. وإلا لما تحركوا في مثل هذا الظرف الصعب الذي تكثفت فيه نقاط التفتيش.

انطلق الأخوان عدنان وعلي في سيارة الأخ محمد ريان، ركب علي خلف السائق جهة اليسار وعدنان إلى جانبه جهة اليمين. وكان الأخ عدنان يحمل رشاشاً (إم ١٦) ويحمل الأخ علي مسدساً. سار الثلاثة من قبيا إلى نابلس عن طريق دير بلوط حيث يوجد حاجز تفتيش دائم هناك غير أنه لا يكون هناك تفتيش في الأيام العادية. تفاجأ الثلاثة أثناء سيرهم أن الطريق خالية من السيارات فسأل الأخ علي: هل هناك شيء؟! فأجابه محمد إنه سيستفسر من أي سيارة تقابلهم. ولكنهم طوال الطريق لم يلتقوا بأي سيارة. وقبل الاقتراب من نقطة التفتيش عند «دير بلوط» اقترح الأخ علي النزول من السيارة والالتفاف سيراً على

الأقدام من خلف الحاجز ثم ركوب السيارة بعدها إلا أن الأخ عدنان – يرحمه الله – قال له: توكل على الله ولا تقلق، ثم أخرج الـ (إم ١٦) وركّبها ووضع فيها المشط وجهزها لإطلاق النار. وتقدم الثلاثة باتجاه الحاجز ووقفت السيارة عند إشارة الكف. كان يقف على الأرض عند الحاجز جنديان وكان هناك جندي ثالث يقف داخل بيت مرتفع «نقطة مراقبة» لم ينتبه الإخوة له. ولم يكن الجنديان محتاطين حيث كانت وقفتهما عادية ويحملان أسلحة أوتوماتيكية. فطلب الجنديان من السيارة التوقف فتوقفت وكان خلفها سيارة مستوطن. تجهز الأخوان عدنان وعلي لإطلاق النار والاشتباك. اقترب الجندي الأول نحو السائق الأخ محمد وطلب هويته فأعطاها له. وذهب ليفحصها بينما كان الجندي الثاني يطلب من الأخ علي هويته باللغة العبرية ففتح علي الشباك نصف فتحه وأجابه بالعبرية: الهوية، نعم، مد يده ليخرجها «لكنه لم يكن يحمل الهوية» فأخرج مسدسه وأطلق النار على رأس الجندي ونزل من السيارة مباشرة وأطلق النار على رأس الجندي الآخر الذي انتبه على صوت الرصاص وما إن أدار ظهره حتى اخترقت رصاصة رأسه. تنبه عدنان للجندي في نقطة المراقبة الذي انتبه هو الآخر لصوت الرصاص فأخذ يطلق النار باتجاه السيارة بغزارة من رشاش (٥٠٠) وأطلق عدنان النار – كذلك – لكنه لم يتمكن من إصابة الجندي المتحصن، وكانت النتيجة استشهاد الأخ عدنان وإصابة الأخ محمد ريان سائق السيارة في يده وفرار الأخ علي عاصي لأن الجندي في نقطة المراقبة كان من الجهة اليمنى التي فيها الشهيد عدنان مرعي. وقتل في هذه العملية جنديان إسرائيليان.

توجيهات يجب الاستفادة منها

١- على المطاردين والمجاهدين متابعة الأخبار باستمرار وبشكل مكثف حتى لا يحدث طارئ في المنطقة التي يكونون فيها أو سيذهبون إليها فيصبحوا في وضع خطر.

٢- يجب ألا يتحرك المطاردون بدون هويات مزورة أبداً.

٣- يحب تجنب الحواجز ونقاط التفتيش حتى لو كان البديل السير على الأقدام مسافة طويلة.

٤- يجب توفير سيارتين لنقل المطاردين: واحدة في الأمام للاستكشاف والأخرى للمطاردين.

٥- يجب ألا يكثر المطاردون من الحركة إلا عند الضرورة.

٦- عند حدوث أي طارئ «حاجز مفاجئ مثلاً» يجب الاستعداد المطلق والاتفاق على خطة سريعة للتحرك وتوزيع الأدوار للتصرف ولا يترك الأمر لاجتهادات الأشخاص. يلاحظ أن قوات الاحتلال الإسرائيلي بعد هذه العملية شددت من احتياطاتها وتعزيزاتها على حواجز التفتيش - بشكل ملحوظ - مستفيدة من أخطاء جنودها في هذه العملية وعدم جاهزيتهم مما أدى إلى مقتلهم.

١٢) عملية بيت إيل ١٩٩٣/١٠/٢٥م

سيارة مفخخة وبطلها الاستشهادي الشيخ سليمان غيظان.

قرر المهندس الإعداد لسيارة مفخخة جديدة وتم ذلك بالفعل حيث كان مقر المطاردين وقتها في قرية «قبيا» عند الشهيد

سليمان. تم تجهيز سيارة بها (٥٠) كغم من المتفجرات يتم تفجيرها وسط «كفار سابا» في السوق المركزي قي تل أبيب. وتم الاتفاق على أن يكون سائق السيارة أشرف واوي الذي كان قد تعاهد مع أخيه ساهر على الشهادة، ولكن إرادة الله شاءت أن يتم القبض على أشرف قبل تنفيذ العملية. وصمم الشيخ سليمان أبو إيهاب (أب لتسعة أولاد) أن يكون هو منفذ العملية. فقال ليحيى: أنا من يعلّم الناس ويدرّسهم عن الشهادة فهل أتقاعس عنها؟! «وقد كان يرحمه الله عندما يخطب عن الشهادة والشهداء يبكي بكاءً مراً في الخطبة» لا والله. فليكن دمي شاهداً على كلامي، ولتكن أشلائي أبلغ درس للناس عن الشهادة. لقد أخذت من الدنيا كل ما أريد: زوجة وأولاداً وأموالاً... واشتقت للقاء الله. اضطر المهندس يحيى عياش للنزول عند رغبة أخيه الشهيد سليمان. وفي ٩٣/١٠/٢٥ ركب الشهيد سيارته المفخخة متوجها إلى هدفه منطلقاً من «قبيا» إلى رام الله، إلى بيت إيل حيث شاهد باصاً للجيش مليئاً بالجنود فكان هدفه. وبعد أن أصبح بمحاذاة الباص فجر الشهيد سيارته المفخخة وفاضت روحه الطاهرة إلى بارئها وكانت النتيجة جرح أكثر من ثلاثين جندياً بجراح خطيرة لم يقتل أحدٌ منهم حسب ادعائهم.

أخطاء في العملية

١- تفجير السيارة في مكان مفتوح بعيد -نوعاً ما -عن مكان الهدف.

٢- تفجيرها في مكان يمكن أن يكون وجود السيارات العربية أكثر من وجود السيارات الإسرائيلية.

١٣) عملية شمرون ١٩ / ٢ / ١٩٩٤م

كان الأخوان يحيى وعلي موجودين في قراوة فأرادا الانتقال منها لمكان آخر، حيث تحركا بالليل بين الجبال متسلحين بكامل أسلحتهما ولما وصلا قريبا من مستوطنة شمرون بمحاذاة الطريق العام... خطر ببالهما أن يرصدا أية سيارة إسرائيلية ويطلقا النار عليها حتى لا يودعا المنطقة بلا عملية! أرادا أن يكون وداعهما للمنطقة بعملية. ولكن لأن العملية لم يكن مخططاً لها لم تأت نتيجتها كما ينبغي. استعد الأخوان لإطلاق النار على أية سيارة إسرائيلية قادمة. وبقدوم أول سيارة إسرائيلية أطلقا النار عليها مفرغين كامل عتاد بنادقهما الأوتوماتيكية ثم غادرا المنطقة.

كانت السيارة تحمل امرأة حامل، ماتت على الفور ولو كانا يعلمان أنها امرأة لما أطلقا عليها النار! كانت هذه أول عملية يطلق فيها يحي عياش الرصاص وينفذها بيده مباشرة «يرحمه الله».

١٤) عملية العفولة ٦ / ٤ / ١٩٩٤م

(الثأر لشهداء الحرم الإبراهيمي في الخليل)

وبطلها الشهيد رائد زكارنة

«الرد الأول»

في ٢٤/٢/٩٤م ارتكب المجرم باروخ غولدشتين مجزرته المعروفة في ساحة الحرم الإبراهيمي الشريف بالخليل. وبكى الناس، بكى أهل الشهداء وعائلاتهم. ولكن حناجر الجميع كانت تهتف: «يا كتائب القسام بدنا منكم انتقام». وكانت الكتائب - كما عهدها

شعبنا – عند حسن ظن أمتها بها. وتعهدت الكتائب بالرد والثأر والانتقام، وذلك أن دماءنا ليست رخيصة ولا يمكن أن تذهب هدراً. وتصدى المهندس الشهيد لفكرة الثأر وبدأ الإعداد له: تناغم هذا الإعداد مع تحفز استشهاديٍ بطل ألحّ على مسؤوليته أن يجهزوه بسيارة مفخخة ليثأر لشهداء الحرم حتى أنه قال لهم: إن لم تفعلوا فسأقوم بعملية بالمسدس والقنابل اليدوية. كان ذلكم هو الشهيد البطل رائد زكارنه. وقد تم الاتصال بالكتائب، وقبل العملية بيوم واحد أي في ٥/٤/٩٤م جاء المهندس وعلي إلى مسؤول رائد الشهيد محمد الأتاسي الذي أخذنا بدوره إلى مكان وجود رائد حيث كان رائد وقتها مطارداً، وتم الاتفاق على موعد العملية ومكانها حيث كانت السيارة المفخخة جاهزة منذ ٢٦ يوما تنتظر عريسها الشهيد..؟

سافر رائد بسيارته المفخخة المجهزة بما يقارب ١٥٧ كغم من المتفجرات، وفي الساعة ١٢:١٠ ظهراً بالقرب من محطة الباصات المركزية في مدينة العفولة. فجّر الشهيد البطل سيارته بالقرب من باص رقم ٣٨٠ من باصات (إيجد). وكان الانفجار، وكانت الحصيلة ثمانية قتلى صهاينة وما لا يقل عن ٤٤ جريحا. نال الشهيد رائد أمنيته التي طالما سعى لها حتى زفّته حركته في بيانها الذي منحته فيه شهادة الدكتوراه الفخرية وما عند الله خير وأبقى.. كان لرائد الشهيد وبلدته قباطية شرف السبق في الرد على مجزرة الحرم فهنيئاً للشهيد ولأهل الشهيد. وهنيئاً لأصابع المهندس التي صنعت وأعدت ولعقله الذي أبدع وخطط.

١٥) عملية الخضيرة ١٣/٤/٩٤م

وبطلها عمار عمارنة

وكان العقل المدبر لها الأخ المعتقل: سعيد بدارنة وكانت حصيلتها ٥ قتلى و٣٠ جريحا.

الرد الثاني: عملية خطف فاكسمان

تم التخطيط للعملية من قبل الإخوة: يحيى عياش، وسعيد العرابيد من غزة، بالتنسيق مع محمد ضيف للقيام بعملية اختطاف من أجل إطلاق سراح المعتقلين وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين، تم الاتصال بالخلية المنفذة وهم الإخوة: حسن النتشة، عبد الكريم بدر، صلاح جاد الله.

كان ذلك بمساعدة الأخوين: جهاد يغمور وزكريا نجيب، حيث تم شراء المواد اللازمة: «قبعات للمتدينين اليهود وأخرى سوداء كبيرة» وفي يوم التنفيذ بتاريخ ٩/١٠/٩٤م صباحاً توجه الأخ جهاد يغمور إلى شارع الملك داود غربي القدس. إلى إحدى شركات تأجير السيارات هناك لاستئجار سيارة فطلبوا البطاقة الشخصية. فذهب إلى شركة أخرى واستطاع استئجار سيارة وقبلوا مقابل مبلغ ١٠٠٠ دولار تأمين. وفي الساعة الثانية بعد الظهر استلم السيارة ذات اللون الأحمر فتجول بها قليلاً ثم توجه بها إلى بيرنبالا حيث تم تأمين منزل آمن لاحتجاز الجندي المخطوف. واصطحب معه الخلية القسامية حيث كان الأخ حسن النتشه يحمل بندقية جاليل ويحمل بدر بندقية عوزي:

وأما صلاح جاد الله فحمل مسدس الأخ الشهيد يحيى عياش وقيوداً وسلاسل، لبس الجميع قبعات المتدينين والقبعات السوداء وسار ثلاثتهم برفقة السائق يغمور.

سافرت الخلية إلى بيت حنينا ومن هناك إلى مفترق راموت، وبعد ذلك إلى شارع القدس - تل أبيب... ثم تحويلة إلى مطار بن غوريون في شارع يهودا في المطار.

وهناك رأوا سيارة سوبارو داكنة أنزلت جندياً وواصلت السفر. كان الجندي يحمل حقيبة زيتية اللون وبندقية إم ١٦ فتوجهت الخلية إليه وسأله الأخ جهاد إلى أين فقال: إلى الرملة فأجاب بالإيجاب. صعد الجندي وجلس في مؤخرة السيارة على يمين الأخ حسن النتشه. وفي منطقة المطار قبل طريق القدس - تل أبيب - أطبق النتشة على عنق الجندي بذراعيه، وألقاه على أرضية السيارة. حاول الجندي إدخال مخزن ذخيرة في البندقية لإطلاق النار على الخاطفين. ولكن تمت السيطرة عليه وتقييد يديه وتغطية عينيه بقطعة قماش سوداء وتم تقييد رجليه بسلسلة مع قفل. في الطريق أخبر الجندي الخلية أن اسمه «نخشون فاكسمان» وأنه ذاهب لمقابلة صديقته راجياً منهم ألا يقتلوه فأفهموه أنهم لا يريدون قتله وإنما يريدون استبداله بسجناء فلسطينيين. وصلت الخلية بيرنبالا في تمام الساعة السابعة والنصف مساءً وتم اقتياد الجندي إلى المنزل مقيد اليدين والرجلين.

بعد ذلك ذهب الأخ جهاد لاستئجار كاميرا فيديو من محل تصوير في بيت حنينا وتم تصوير شريط فيديو يدعو فيه فاكسمان

إلى تنفيذ مطالب الخاطفين مقابل إطلاق سراحه، وسلم الأخ جهاد يغمور شريط الفيديو وهوية الجندي إلى شقيق الشهيد صلاح جاد الله العامل في وكالة رويتر بغزة والذي قام بدوره بإيصال الشريط للأخ محمد ضيف، وتم توزيع الشريط بعد ذلك، حيث وصل الشريط مكتب رئيس الوزراء اسحاق رابين في تل أبيب يوم الثلاثاء الساعة السابعة مساء.

كان أمر اختطاف الجندي سراً وقد أبلغت عائلة فاكسمان الشرطة باختفاء ابنها مساء الإثنين. وقد عقد رابين اجتماعاً طارئاً مع وزير الشرطة موشيه شاحك، ورئيس أركانه يهود براك ورئيس الشاباك ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية وأجمع الحضور على أن القضية يكتنفها الغموض وقد كان لدى الحكومة الإسرائيلية شعور بأن الجندي موجود في غزة. لذلك تم الضغط على السلطة لتقوم بدورها، فقامت بالتفتيش والبحث واعتقال شقيق الأخ جاد الله الذي أكد لهم أن الجندي في الضفة وليس في غزة، بينما ظل الإعلام الإسرائيلي «الموجه مخابراتيا» يروج الحديث حول وجود الجندي في غزة، ونشر إشاعات عن تنقله من بيت لآخر وما إلى ذلك فقد تركز البحث والمراقبة في الضفة حيث تم الوصول للأخ جهاد يغمور يوم الخميس قبل اللقاء مع محمد ضيف في غزة يوم الجمعة لإبلاغه بأن المكان آمن. ولا مانع من إطالة مدة المفاوضات لعشرة أيام. وقد جرت مفاوضات حثيثة في غزة شارك فيها الزهار وأحمد الطيبي وغيرهم لتمديد المهلة والمحافظة على حياة الجندي حيث كان رابين قد أعلن «ولأول مرة» استعداده للنظر في

مطالب الخاطفين إذا تم إطلاق سراح الجندي وتعهّد حماس بذلك مع تمديد المهلة. وقد تكون تلك محاولة منه لكسب الوقت بعد التوصل لطرف خيط يوصل إلى موقع الجندي.

بعد مراقبة حثيثة واتصالات تم اعتقال الأخ جهاد يغمور يوم الخميس ومن ثم التوصل إلى مكان الجندي في بيرنبالا.

وبينما كانت القوات الإسرائيلية تتجه لمحاصرة المنزل كان التلفاز الإسرائيلي يعلن عن وصول أخبار أولية حول تحرك باصات معتقلين واستعداد لتنفيذ مطالب الخاطفين إمعاناً في التمويه والتغطية على تحركات الجيش الإسرائيلي. وقد تم اقتحام المنزل مما أدى إلى استشهاد الأبطال الثلاثة صلاح جاد الله وحسن النتشه وعبد الكريم بدر مساء يوم الجمعة ١٤/١٠/٩٤م ومقتل فاكسمان وقائد القوة المختارة للهجوم وإصابة ١٣ جندياً آخرين، ورغم روعة العملية وجديتها وإمكانية نجاحها...

كانت نقطة الضعف في آلية التفاوض وكثرة الاتصالات. إذ يفترض في عمليات الخطف فصل التفاوض وآليته عن الخاطفين ومكان الاحتجاز وضرورة وجود خطة مسبقة يتفق فيها على كل شيء بما في ذلك التعامل مع أي طارئ لأن إسرائيل تسعى أول ما تسعى إليه للوصول لطرف خيط يقودها إلى مكان احتجاز الرهينة أو الرهائن وهذا أمر يجب الانتباه إليه. وعندما يكون مكان احتجاز الرهينة مجهولا، يظل الخاطفون في موقف القوة وامتلاك زمام المبادرة. وهذا يمكن أن يؤدي إلى نجاح عملية التبادل ورضوخ الحكومة الإسرائيلية والله أعلم.

١٦) عملية ديزنكوف ١٩/ ١٠/ ٩٤م.

وبطلها الشهيد صالح نزال بتاريخ

الرد الثالث:

كان الشهيد قبل مطاردته واحداً من الذين يعملون على مساعدة المطاردين ومن بينهم الشهيد المهندس يحيى عياش، وحين داهمت قوات الاحتلال منزل صالح في قلقيلية لاعتقاله ولم يجدوه قرر عدم تسليم نفسه. وقد حاول يحيى صالحاً ثنيه عن هذه الفكرة لأنه لم يرغب بزيادة عدد المطاردين خاصة وأنه ليس هناك ما يدين «صالح» وبالتالي لم يمكث في السجن أكثر من أشهر معدودة لكن «صالح» رفض ذلك وأبى إلا أن يصبح مطارداً، بعد استشهاد الخلية المجاهدة التي اختطفت «فاكسمان» في بيرنبالا خطط المهندس لتلقين الصهاينة درساً قاسياً. فقد كان المهندس أحد المخططين لعملية الخطف، وقد أعطى الشهيد صلاح جاد الله مسدسه الخاص الذي لم يكن يستغني عنه أبداً، طلب صالح نزال أن يكون الشهيد الذي ينفذ العملية وأصر على ذلك. وسارت الأمور كالتالي: التقى صالح بالمهندس والأخ سعيد العرابيد (من غزة) في أحد المنازل بقراوة وتم الاتفاق على تنفيذ العملية. فكان ليحيى ما نوى ولصالح الشهادة والجنات.

تم تصوير شريط فيديو يتحدث فيه الشهيد صالح. الذي توجه بعدها إلى منزل الأخ معتصم موقدي في قرية الزاوية وانطلق من هناك. وفي صباح الأربعاء ١٩/١٠/٩٤م نقل معتصم الشهيد صالح

إلى محطة الباصات في مستوطنة «القنا» في قرية مسخة ومن هناك ركب الباص رقم (٥) وبقي فيه إلى أن وصل تل أبيب وظل صالح يرقب تجمعاتهم ليوقع أكبر قدر ممكن من الخسائر فما إن القتى الباص الذي يركبه مع باص آخر في شارع «ديزنكوف» تل أبيب وهو أكبر شوارعها وأكثرها اكتظاظا» حتى ضغط صالح على زر التفجير معلنا أن شهداءنا في الجنة وقتلاهم في النار لتكون حصيلة العملية ٢٢ قتيلاً وأكثر من ٥٠ جريحاً.

هكذا كان رد الكتائب. وهكذا أعيدت البسمة للخليل.

نجح الأخ المجاهد عبد الناصر عيسى في الهرب من قوات جيش الاحتلال التي داهمت منزله لاعتقاله في ٩٤/١١/٢٩م ومنذ تلك اللحظة صار مطارداً. حيث توجه بعد ذلك إلى غزة متخفياً بهوية مزورة بعد مغامرات صعبة. وبينما هو في طريقه إلى غزة اعتقل على حاجز إيرز كون التصريح الممغنط الذي يحمله لم يتم تحديده. حيث اعتقل في النقب لمدة ثلاثة أسابيع باسم صاحب الهوية التي يحملها وهي لأحد الأخوة من غزة، ثم أفرج عنه وأوصلته قوات الاحتلال إلى غزة وسجل نفسه في الجامعة الإسلامية ليواصل دراسته التي كان قد بدأها في جامعة النجاح (كلية الشريعة) - هناك وعن طريق بعض المعارف في غزة اتصل به المهندس يحيى عياش وكان الأخ عبد الناصر أمير الكتلة الإسلامية في جامعة النجاح، اتصل المهندس بعبد الناصر واستفسر منه عن أوضاع الجهاد والمجاهدين في الضفة وتبع ذلك لقاءات أخرى اتفقا خلالها أن يعود الأخ عبد الناصر إلى نابلس لتنظيم مجموعات

عمل ليتمكن المهندس بعدها من العودة إلى المنطقة على أرضية جلية لمواصلة درب الجهاد. وقبل عودة عبد الناصر إلى الضفة طلب من أبي البراء أن يعلمه كيفية تصنيع المتفجرات ففعل. وتعلم عبد الناصر الأمر بسهولة بفضل الله حيث كانت كما قال: «أسهل مما ظننت»!

اجتاز عبد الناصر حاجز إيرز في غزة عائداً إلى نابلس وسهل الله دربه للوصول وذلك في أواخر شهر ٩٥/٦م واتصل مع الأخ عثمان بلال -نابلس - والذي كان يعرفه مسبقاً واشترى شقة وبدأ يتحرك وينظم لتنفيذ عمليات حيث أبلغ المهندس بعدم العودة للضفة في تلك الفترة لأنه موجود ويستطيع القيام بالمهمة على أكمل وجه. فكان كما أطلقت عليه وسائل الإعلام الإسرائيلية - التلميذ النجيب للمهندس - وبدأ عبد الناصر بتجميع المواد للعمل وانقطع اتصاله بالمهندس وصار يعمل وحده واستطاع الاتصال والوصول إلى الأخ الشهيد المهندس محي الدين الشريف.

وفي أوائل شهر ٩٥/٧م كان بحوزة الأخ عبد الناصر حقيبتان جاهزتان أعدهما للتفجير مواد خام تصلح لتصنيع ثلاث سيارات مفخخة. وكانت مادة الحقائب هي «بيروكسيد الأستون» ومادة السيارات هي ملح البارود المكون من مواد مثل الكبريت الأصفر «الأشلجان» وغيرها.

١٧) عملية رمات غان ١٩٩٥/٧/٢٤م

وبطلها الاستشهادي لبيب عزام.

بدأ الأخ عبد الناصر بالبحث عن استشهاديين فتم الالتقاء بالأخوين: لبيب عزام «قريوت - نابلس» وسفيان جبرين

«الظاهرية - الخليل» وكان الأخ محي الدين الشريف يريد القيام بعملية استشهادية لكن تم العدول عن الموضوع.

كانت الخطة تقضي بأن يقوم الأخوان بعمليّة مزدوجة في محطة فنية. تم التخطيط بعدها لتفجير باص يصل إلى داخل الكنيس الإسرائيلي، وفعلاً ركب المجاهدون فيه إلا أنه وبسبب القلة الواضحة في ركاب الباص تم تأجيل الأمر. وبعد ذلك كانت عملية رامات غان.

كان الأخ عبد الناصر يحمل هوية ورخصة سيارة مزورتين. فحمل معه في السيارة المجاهد لبيب عزام وكان لبيب بزي المستوطنين اليهود. ووصل الأخ عبد الناصر بتاريخ ٩٥/٧/٢٤م إلى وسط مدينة تل أبيب وأنزل المجاهد لبيب قرب محطة الباصات وأوصاه أن ينتظر ١٥ دقيقة قبل أن يفجر نفسه حتى يكون الأخ عبد الناصر قد تمكن من مغادرة تل أبيب والوصول إلى الضفة. وكان آخر كلامهما بعد التواصي بأن يشفع الشهيد لبيب لأخيه عبد الناصر: غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه. وبعد عشرين دقيقة بالضبط سمع الأخ عبد الناصر خبر الانفجار عبر الإذاعة الإسرائيلية وهو في سيارته فحمد الله على فضله وكانت الحصيلة ٦ قتلى و٣٣ جريحاً.

وبقيت الحقيبة الثانية تنتظر دورها. وكان من المخطط له بعد العملية الثانية أن يتم اختطاف جنود لإجراء تبادل وإطلاق سراح الأسرى ولكن قدر الله غير ذلك حيث اعتقل الأخوان: عبد الناصر عيسى وعثمان بلال، يوم ٩٥/٨/١٩م.

١٨) عملية رمات أشكول ١٩٩٥/٨/٢١م

بطلها الاستشهادي سفيان جبرين

أوصل الأخ عبد الناصر المتفجرات للأخ محي الدين الشريف صباح يوم ٩٥/٨/١٩م ليقوم بدوره بتسليمها للأخ سفيان جبرين الذي التقاه عبد الناصر مسبقاً، وكان عبد الناصر ومن باب المداعبة قد اشترط على سفيان أن يكون رقماً في السبعين الذين سيشفع لهم سفيان وكانت الممازحة بأن سفيان لن يقوم بالعملية إلا بهذا الشرط فوافق راضياً رحمه الله. وفي هذه التجربة الثانية تمت الاستفادة من التجربة الأولى في بعض النواحي الفنية، فكانت الخسائر أكبر حيث دمر الباص وقتل خمس وجرح حوالي (١٠٥) حسب الاعتراف الإسرائيلي، وكان الأخ عبد الناصر وقت العملية يخضع للتحقيق وقد جن جنون المخابرات عندما علموا بعد العملية أن عبد الناصر هو الذي خطط لها والحمد لله رب العالمين.

عمليات الثأر للمهندس

رداً على اغتيال قائد الاستشهاديين في فلسطين المهندس يحيى عياش الذي اغتاله جهاز الشاباك الإسرائيلي بواسطة تلغيم هاتفه (البيلفون) وتفجيره أثناء استخدامه.

قررت كتائب القسام الانتقام لقائدٍ من قادتها صنع لها طريق المجد وصنع بإخلاصه وإيمانه أروع وأعظم ظاهرة عرفها تاريخ الجهاد. ظاهرة الاستشهاديين وأثبت للعالم أن الإيمان يصنع

المعجزات ولسان حاله يقول لبني أمته الذين تخلوا عن نصرة شعبه. وأرعبتهم أسطورة العدو الذي لا يقهر: أيها العرب. أيها المسلمون. نحن نصد بصدورنا العارية إلا من الإيمان عنكم نبال الأعداء مجتمعين. ومضى يضع حداً لغطرسة العدو المتكبر ويرسم صفحات التاريخ، لوحةً جهادية فدائية بأسلوب فريد مبتدعا من الموت طريقا لصناعة الحياة. وكما كان فراق المهندس مؤلما على نفوس مجاهدي القسام فلقد قرروا أن يكون ردهم على استشهاده مؤلما، ومؤلما جدا. ويجعل الأعداء يعيدون حساباتهم ألف مرة قبل أن يفكروا بالإقدام على اغتيال أحد رموز الجهاد. ومضى تلاميذ المهندس يعزفون لحن الشهادة بطريقتهم القسامية المميزة. ويلقنون المحتل درساً تبقى مرارته في حلوقهم يتوارثونها جيلاً بعد جيل. فمع تلاميذ المهندس وإخوان المهندس. وهم يبتدعون إيقاعهم الخاص على طريقة الكتائب...

المهندس يشارك في التخطيط للثأر لنفسه

كان المهندس في الأشهر الأخيرة قبل استشهاده ينوي العودة للضفة لمواصلة الجهاد. ولما كان يعلم استحالة ذلك عبر حاجز إيرز كان لا بد من التفكير بطريقة لاختيار السلك الالكتروني الذي يحيط بالقطاع وكان ذلك صعباً حيث:

١- يبلغ ارتفاع السلك الالكتروني المحيط بالقطاع نحو ٣ أمتار ولمسة له من أي منطقة كفيلة بجلب قوات كبيرة من الجيش المتواجدة على شكل دوريات.

٢- على بعد ١٠٠ متر من داخل السلك وخارجه فإن الأرض (مرشومة) مغطاة بمادة بودرة تكشف أي مقترب من السلك عن طريق آثار قدميه وهناك قصّاص أثر يمسح المنطقة يومياً صباح مساء.

٣-الدوريات في تلك المنطقة مع مجموعة لا تكاد تنقطع.

لذلك قرر المهندس مع مجموعة من إخوانه المطاردين المجاهدين من غزة زيارة المنطقة يومياً لمدة شهرين قبل استشهاد المهندس وذلك في الليل البارد والممطر.. «لكن دفء الشوق للجهاد كان يهون البرد القارص». وذلك لرصد المنطقة ومراقبة تحرك الدوريات وقد وصلوا السلك عدة مرات وحاول المهندس فك النظام الإلكتروني للشبكة فلم يتمكن، وتعرضوا للخطر وإطلاق النار عدة مرات، حتى استطاع المهندس في النهاية الاهتداء إلى خطة اجتياز السلك وهي «الخطة التي نفذها إخوانه للانتقام له» وقد أمضى المهندس آخر ليلة قبل استشهاده قرب السلك حتى الفجر وكان سعيداً جداً بأنه سيرجع للضفة لمواصلة الجهاد هناك ولكن الله عز وجل اختاره شهيداً إليه واصطفاه قبل ذلك.

إخوان المهندس وتلاميذه ينتقمون

أوكلت مهمة الرد والثأر للبطل المجاهد: حسن سلامة، حيث توجّه بامر من القائد محمد ضيف إلى المنطقة وقد استدان له الأخ محمد ضيف (١٠٠٠) دولار لتنفيذ المهمة حيث كانت الاتصالات آنذاك مقطوعة، وتم التخطيط والتنفيذ كالتالي:

١- تم الاتصال بمجموعة من القدس سبق وأن دُرِّبت في غزة

وتركت حتى يتم الاتصال بها في الوقت المناسب وهما الأخوان «أكرم القواسمي وأيمن الرزام» وتم تحديد الموعد ومكان اللقاء وكلمة السر وكل الأمور للاتصال بحسن سلامة.

٢- تم التخطيط لدخول الأخ حسن سلامة ومعه المتفجرات إلى الضفة عبر الحاجز بحيث يتم تثبيت «سيبة» «سلم بقدمين» طويلة بطول ٣,٥ متر تكون داخل الحاجز جهة القطاع ويتم إسناد سلم طويل عليهما طوله ٣,٥ متر يوضع خارج الحاجز بحيث يكون الإلكتروني «السلك» بين السلم و«السيبة» والتعامل مع قصاص أثر بدوي لمحو الآثار.

٣- اجتازت مجموعة مكونة من ثلاثة أشخاص الحاجز وكانت مهمتها توفير سيارة ومنطقة آمنة قريبة من منطقة الحاجز يختبئ فيها الأخ حسن سلامة لحين الاتصال بمجموعة القدس.

٤- بعد نجاح المجموعة الأولى في مهمتها خرج الأخ حسن سلامة مع مجاهدين آخرين ساعداه على حمل المواد المتفجرة والسلاح واجتازوا مسافة ٧ كم مشياً على الأقدام للوصول إلى البيّارة، وتم قطع المسافة ليلاً في المطر والبرد الشديد.

٥- وصل حسن سلامة وعاد إخوانه بعد أن ودّعاه. ونتيجة خلل فني في الاتصال بمجموعة القدس، اضطر للبقاء في البيّارة الإسرائيلية مدة عشرة أيام هو والمجموعة الأولى يلتحفون السماء ويفترشون الأرض ولا طعام لهم إلا البرتقال.

٦- بعد ذلك استطاع الاتصال بخلية القدس وترك البيارة وطلب

توفير مكان آمن له وللمواد المتفجرة.

٧- بعدها تم رصد الأهداف وتحديدها بدقة واختيار مواقع التنفيذ ووضع الخطة اللازمة.

٨- في البداية قرر القساميون تنفيذ ٣ عمليات في يوم واحد لكنهم عدلوا عن ذلك، إمعانا في تحدي الحكومة الإسرائيلية وأجهزتها الأمنية من أن «القسام» قادر على الوصول لأي مكان رغم الطوق والحصار..

٩- تم البحث عن استشهاديين من الضفة، واتصل المجاهد حسن سلامة بالأخ محمد أبو وردة أمير الكتلة الإسلامية في معهد دار المعلمين برام الله الذي جهز له الاستشهاديين الثلاثة.

الرد الأول:

الشهيد البطل: مجدي محمد محمود أبو وردة.

- ولد في مخيم الفوار عام ١٩٧٧م لعائلة فلسطينية هاجرت.
- أنهى دراسته الثانوية والتحق بمركز التدريب المهني في الخليل.
- عمل بعد تخرجه في مجال البلاط في إحدى الورش.
- نفذ عملية استشهادية وهو ابن الثامنة عشرة من العمر يرحمه الله.

صباح يوم الأحد ٩٦/٢/٢٥م تم تجهيز الشهيد مجدي أبو وردة بلباس مدني يماثل لباس اليهود وقص شعره بقصة من قصاتهم حيث كان قد أحضر إلى منزل في القدس يوم السبت ليبيت فيه بعد أن ودع أهله وأقاربه دون أن يشعرهم.

كان هذا الفتى تواقاً للشهادة ويعشقها عشقاً كبيراً مما جعله

يعطل جميع أمور حياته في سبيل البحث عنها، وكان يتخيل دائماً وهو وحيد مع نفسه أن أحد المطاردين جاء إليه وعرض عليه العمل والشهادة. فكان يوم العملية أسعد أيام حياته يرحمه الله. وفي تلك الليلة ودع المجاهد حسن سلامة الشهيد مجدي وطلب منه أن يشفع له وأن يسلم على الشهيد المهندس يحيى عياش.

وتم تحديد الهدف وهو باص رقم ١٨ في القدس، ومضى الشهيد مجدي إلى جوار ربه بعد أن فتت بأشلائه المتفجرة أجساد الصهاينة الغاصبين القتلة.

الرد الثاني:

الشهيد البطل: إبراهيم أحمد حسن خليل السراحنة

- ولد عام ١٩٧١ من مخيم الفوار القريب من الخليل لعائلة فلسطينية مهاجرة من قرية عجور بقضاء خليل الرحمن

- خريج كلية الشريعة بجامعة الخليل.

- اعتقل مرتين: الأولى لمدة ٤٥ يوماً خلال فترة الإبعاد إلى مرج الزهور والثانية إدارياً لمدة ستة أشهر حيث أطلق سراحه قبل نحو أربعة أشهر من استشهاده.

وكان الرد الثاني في نفس يوم الرد الأول ٩٦/٢/٢٥م وبعد أقل من نصف ساعة من الانفجار الأول حيث كان المنفذ هو الشهيد إبراهيم سراحنة الذي كان تواقاً هو الآخر للشهادة وكانت والدته مسافرة فعرض عليه حسن سلامة أن يؤخر دوره لعمليات قادمة

ليتسنى له توديع أمه. فرفض الفكرة بشكل قاطع وكان جوابه: إن هذا اليوم الذي أنتظره طيلة حياتي فلما جاء أؤخره؟! أبداً لن يكون ذلك.

الله أكبر أي نوع من الرجال هؤلاء، إنهم جند محمد ممن تربوا في المدرسة الإخوانية مدرسة البنا وقطب. فنعم الرجال أنتم.

تم إحضار الشهيد إبراهيم مع صاحبه الشهيد مجدي إلى الدار قبل العملية بيوم، وانطلقا كل إلى هدفه في الوقت نفسه، لكن مجدي وصل أولا حيث كان هدف إبراهيم موقعاً عسكرياً للجنود الإسرائيليين في عسقلان. لذلك ارتدى لباساً عسكرياً وقص شعره بطريقه تشبه قصات اليهود، وفي الطريق لتنفيذ العملية، سمع إبراهيم والأخ أكرم القواسمي خبر الانفجار الأول في الباص رقم ١٨ فأخذ الشهيد يصيح في الأخ أكرم طالباً منه الإسراع لأن أخاه قد سبقه إلى الجنة وهو يريد اللحاق به سريعاً، ووصل إبراهيم الموقع وفجر نفسه بين الجنود.

الرد الثالث

الشهيد البطل رائد عبد الكريم شغنوني

منفذ عملية الباص ١٨ في القدس.

- ولد عام ١٩٧٤ في قرية برقة - نابلس - لعائلة فلسطينية مهاجرة استقرت في منطقة نابلس منذ عام ١٩٤٨م.

- كان يدرس اللغة العربية في كلية العلوم التربوية التابعة لوكالة الغوث الدولية في رام الله.

- تتكون عائلته من ١٤ فرداً منهم ٥ ذكور و٧ إناث بالإضافة

للوالدين.

قرر القساميون أن يكون الرد الثالث بعد أسبوع واحد من الرد الأول والثاني وفي ظل الإغلاق وفي القدس وفي الباص رقم ١٨ إمعاناً في التحدي ولتلقين المخابرات درساً قاسياً وتم ذلك بحمد الله وفضله.

كانت حصيلة العمليات الثلاث والتي لقي منفذوها ربهم فيها صائمين، ٤٩ قتيلاً وأكثر من مائة جريح.. والحمد لله رب العالمين.

الرد الرابع

الشهيد البطل رامز عبد القادر عبيد

- قطاع غزة - خان يونس
- يبلغ من العمر ٢٢ عاما.

في يوم الاثنين ٩٦/٣/٤م الساعة الرابعة بعد الظهر اخترقت كتائب القسام في غزة الحواجز العسكرية المقامة ونقاط التفتيش بالتنسيق مع الإخوة في الجهاد الإسلامي وتوجه الاستشهادي رامز عبيد إلى قلب تل أبيب بشارع «ديزنكوف» وفجر كيسا كان يحمله يحتوي على ١٦ كغم من المتفجرات.. نتج عنه ١٤ قتيلا و١٢٥ جريحاً ووصفت جراح أكثر من عشرين منعم بأنها بالغة الخطورة.

وهكذا انتهى رد (القسام) على استشهاد المهندس ولقنت الكتائب إسرائيل ومعها كل حلفائها من ورائها درساً لن تنساه وفي ضربات متوالية جمعت حماس العالم في «شرم الشيخ» ليتآمروا على حربها!!

لماذا حماس؟

١- **العقيدة:** حماس (حركة المقاومة الإسلامية) انطلقت بناء على أساس عقائدي بحت - أعني منذ عام ١٩٦٥ - فجذور حماس وانطلاقتها عقائدية تماما وهويتها إسلامية صافية، ولا يخفى على أحد أثر هذه المنطلقات الإسلامية في التعبئة والحشد والتجييش، فليس على وجه الأرض منهاج يستحث الأمة ويستنفر قواها لقتال عدوها كالإسلام وهذا كتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم يشهدان بذلك.

٢- **الانطلاقة من داخل فلسطين:** نشأت فصائل منظمة التحرير الفلسطينية جميعاً بكوادرها وقواعدها وبناها التحتية والعسكرية والتنظيمية خارج فلسطين خلاف حماس التي نشأت بكليتها داخل فلسطين، قادة وجنوداً، وهذا جعلها في قلب الحدث وساحة المعركة الحقّة وفي قلب المواجهة. وقد وجدنا حماساً تحقق خلال أربع سنوات (من عمرها العسكري) ما لم يحققه غيرها خلال أكثر من عشرين عاما، وأوقعت حماس من الخسائر في صفوف الأعداء خلال هذه المدة ما لم يحدثه غيرها خلال عشرين عاما من الصراع... ذلك أن وجود القادة والبنية داخل الوطن أي في ساحة المعركة جعلها الأقدر على إدارة دفة هذه المعركة وتحديد متطلبات العمل، فجندي واحد داخل الوطن خير من مائة خارجه، وبندقية واحدة داخله خير من ألف خارجه، وعلى حماس أن تحافظ على زخمها العسكري داخل الوطن لتظل في ساحة المعركة مع عدم التقليل من دور الخارج القيادي والفاعل والأساس طبعا.

٣- سلاح الاستشهاد: نجحت حماس في استخدام سلاح لا يمكن مقاومته أبداً إنه سلاح الموت والشهادة فمن يستطيع أن يمنع إنساناً يريد أن يتفجر ويستشهد!!؟

هذه الحرب لم تعرفها إسرائيل مطلقاً، ولا غيرها لذلك وقفت عاجزة تماما أمامها! قادة أجهزتها الأمنية والعسكرية والسياسية يعلنون أنه لا يمكن وقف عمليات التفجير ومنع الاستشهاديين أبداً!! إنه سلاح لا بد أن تحافظ عليه حماس وتطوره وتحسن من استخدامه وأدائه.

٤- المطاردون: تميزت قيادة الكتائب بأنها قيادة «مطاردة» تفكر ليل نهار في أمر واحد هو الجهاد والعمل العسكري والعمليات والمقاومة: عماد عقل، يحيى عياش، عبد الناصر عيسى، محمد ضيف، عبد المنعم أبو حميد، محمد عزيز رشدي معاذ، بلال، ومحمد الحنبلي وعشرات غيرهم قادوا الكتائب ويقودونها وهم مطاردون

٥- الإمكانات الذاتية: ألجأت قلة ذات اليد من حيث العتاد والمال حماس إلى الاعتماد على الإمكانات الذاتية البسيطة وتطويرها، وجعل حماس قادرة على إشعال فتيل الحرب والمقاومة في أية لحظة وأي وقت وما «أم العبد» التي اشتهر المهندس بتصنيعها من ذلك ببعيد.

لهذه الأسباب وغيرها تميزت حماس عن غيرها واستطاعت خلال زمن قصير أن تحقق الكثير بفضل بركة الجهاد ومعية الله عز وجل وتوفيقه لأوليائه المجاهدين.

أخطار على طريق العمل الجهادي:

رغم روعة التجربة الجهادية العسكرية لحركة حماس في فلسطين لكنها - ولأنها الأولى بمثل هذا الزخم - فقد واكبت مسيرتها في التنفيذ والعمل... ونحاول هنا تحت هذا العنوان أن نسجل بعض الأخطاء كي لا يقع فيها غيرنا وشعارنا قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**لا يلدغ مؤمن من جحر واحد مرتين**» ومن لا يتعلم من أخطائه لا يمكن أن يستمر ويقود الناس.

١) **قلة الخبرة:** إن معظم عناصر الكتائب لم يكن لهم أيّة خبرة سابقة، بل إن قادة الكتائب لم يتم تدريبهم على السلاح في الخارج ولم يتخرجوا من كليات حربية أو عسكرية. ولم يتعلموا فنون حرب العصابات ولم يتلقوا درساً واحداً يمكن أن يساعدهم في إنجاح العمل.حتى المهندس يحيى عياش رحمة الله لم يُعَد للتدريب على السلاح والمتفجرات في مكان مطلقا، وإن كل إبداعاته كانت ذاتيه نتيجة خبرته وذكائه الذي وهبه الله إياه... فكيف لو تعلم أمثال هؤلاء الأبطال وتدربوا على فنون القتال الحديثة.

٢) **التمويل:** المال عصب الجهاد ولا يمكن للعمل العسكري أن يلاقي النجاح المطلوب دون توفير المال اللازم لقد كانت قلة الأموال سبباً في عدم تنفيذ العديد من العمليات. وإنني لا أظن أن مصروفات العمل الجهادي في فلسطين تجاوزت المليون دولار حتى الآن، في حين أعلن أن عملية واحدة لفتح سنة ١٩٨٦ كلفت نحو ٥ ملايين دولار

وقد ضبطت في البحر واستشهد أكثر من ٢٠ واعتقل ٤ مناضلين فيها ولم يجرح أي يهودي؟! كانت الكثير من الاحتياجات المالية يغطيها المجاهدون والمطاردون من أموالهم الخاصة. وأنا على عِلم بأن المهندس يحيى عياش أنفق في بداية العمل أكثر من عشرة آلاف دينار من ماله الخاص على الجهاد...

إن الله يبارك في أموالنا متى أخلصنا، لكن يجب أن تكون الميزانية العسكرية الجهادية للحركة مقدمة على جميع الميزانيات للأجهزة الأخرى.

٣) **العمل العشوائي:** معظم عمليات القسام لم تكن ضمن برنامج محدد مرسوم، كانت تتم بدون ترابط مبرمج، مما أضعف إمكانية قطف ثمرة هذه العمليات الجهادية كما ينبغي، كنا نريد أن نعمل ونخطط لقتل صهاينة وأن نوجه لهم الضربات فقط... والأصل أن تكون هناك خطة مرسومة تنفذ بدقة وإحكام.

٤) **التوقيت:** لم يكن يخطر ببالنا كثيراً أن نسأل أنفسنا: هل هذا الوقت ملائم لعملية ما أم لا؟! لقد كنا نريد أن نؤدب اليهود ونقاوم الاحتلال ونجاهد فحسب بغض النظر عن التوقيت والظروف المحيطة، حتى أننا قمنا بعمليات استخدمتها السلطات الإسرائيلية لتجعلها شماعة تعلق عليها فشلها، وفي ظل عدم وجود إعلام موازٍ ومكافئ وقوي لنا مثلهم نجدهم قد كسبوا المعركة وأذكر أن عملية «رامات غان» التي نفذها المجاهد الأخ عبد الناصر كان توقيتها صعبا حيث

كان الحديث يدور وقتها عن إطلاق سراح ١٥٠٠ أسير، وانسحاب من مناطق الضفة مما جعل السلطة وإسرائيل تستغلان ذلك أسوأ استغلال. ولم يكن لدينا الإعلام المضاد الذي يوضح الحقيقة؛ لذلك يجب اختيار الوقت المناسب للعمل الجهادي حتى تؤتي الثمار أُكلها كما ينبغي.

٥) **اختيار الأهداف:** اختيار الأهداف في معظمهكان بدون تخطيط، وإن كان هناك تخطيط فهو جزئي لا كلي منهجي؛ لم نكن نعرف بالضبط متى نضرب أهدافاً عسكرية ومتى نضرب أهدافاً مدنية ضمن مخطط مرسوم ومبرمج... وذلك كله بحاجة إلى استدراك لنحدد أهدافنا جيداً ومواقع ضرباتنا والنتائج التي نطمح إليها بالضبط وفق مخطط مرسوم.

٦) **تشكيل الجهاز والخلايا والمجموعات:** إن مهمة تنظيم أشخاص وتجنيدهم للعمل العسكري، ثم وضع هـؤلاء المجاهدين ضمن خلايا ومجموعات لاستيعابهم في هياكل تنظيمية مقاتلة يعد من أصعب الأمور، وقد ارتكبنا الكثير من الأخطاء في هذا المجال. فلا يصح بحال أن تكون المجموعات مفتوحة على بعضها البعض مثلاً، كما يجب إتباع أحدث الوسائل العلمية الحديثة في البناء التنظيمي حتى لا نتعرض لضربات قاسية تؤثر علينا.

إن العمل بنظام المجموعات والخلايا المتصلة ضمن اتصال مركزي مع جهة واحد «القيادة العسكرية» - كل على حده - وفق آليات معتمدة هو الأولى في مثل ظروفنا والله أعلم.

٧) **اختيار العناصر:** كنا في كثير من الأحيان لا نراعي الشروط

اللازمة لهذا الانتماء العسكري فيكون اختيارنا قاصراً، ومن المعلوم أنه ليس كل شخص يصلح لهذا العمل. ومن يصلح لأمر لا يصلح لغيره، وهكذا فلا بد من دقة الاختيار، أعني اختيار العناصر فهم رأس مال العمل المقاوم

٨) **الأعمال الفردية:** كانت خلايا القسام بحاجة إلى عقلية جماعية تفكر وتخطط وتوجه إلى ما يمكن تسميته «هيئة أركان» لا بدّ من عمل منهج منظم نعم كان هناك توجه عام وتناغم مع سياسة الحركة لكن المطلوب أكثر من ذلك، فهذه الخلية تعمل اليوم، وتلك غداً والتي بعدها تساند في كذا وأخرى هنا وهكذا ضمن مخطط مرسوم محدد الأهداف فليس من المعقول أن يستشهد قائد ليحل آخر يفكر بعقلية أخرى وبخطط أخرى... وهكذا دواليك.

٩) **عدم التكامل بين العمل العسكري والعمل السياسي:** الأصل هو تكامل أجهزتنا، فعملنا الجهادي غير واقعنا السياسي وجهادنا السياسي والإعلامي بقطف ثمرة عملنا الجهادي لكن ذلك لم يكن كما ينبغي.

وفي بعض الأحيان كنا نجد بعض التعارض بين عمل الأجهزة وهذه مشكلة لا بد من تجاوزها.

١٠) **عدم وجود أهداف مرحلية:** إذا ما أريد للعمل العسكري الاستمرار فيجب أن يكون له أهداف مرحلية يحققها على طريق الوصول إلى الهدف النهائي. فذلك يُسرِّع طريق الوصول ويزيل العقبات من أمام الهدف النهائي ويعطي الأمل للمجاهدين

والعاملين حين يرون نتاج عملهم أو يقطفون بعض ثماره نصراً جزئياً في مرحلة من المراحل. وذلك أن طريق الجهاد طويلة والوصول إلى الهدف النهائي يحتاج سنوات وسنوات لذلك لا بد من وضع أهداف مرحلية نقاتل من أجل تحقيقها مثل قضية المعتقلين وتحريرهم وقضية الاستيطان والمستوطنين... وهكذا.

١١) عدم وجود إعداد حقيقي جاد لامتلاك السلاح: لقد بدأت كتائب القسام العمل في غزة ثم الضفة وهي لم تكن تملك قطعة سلاح واحدة للعمل!! وحدي بحركة مقاومة مثل حماس أن تجعل من الضفة والقطاع مخزن سلاح وهذا أمر يجب أن تضعه الحركة في سلم أولوياتها.

١٢) عدم وجو أجهزة متخصصة متفرغة تابعة للجهاز العسكري:
إذا كانت الحركة تخصص بعض أبنائها للعمل في الجانب الدعوي، أو السياسي أو الإعلامي فمن باب أولى أن يكون ذلك لصيقاً بالعمل العسكري والعاملين فيه خاصة وأن نجاح العمل العسكري كما يجب يلزمه وجود أجهزة وتفرغها ونذكر منها:

أ- جهاز لتوفير السلاح: يجب أن يتخصص في ذلك أفراد يأخذون على عواتقهم هذه المهمة فحسب يحضرون السلاح ويضعونه في أماكن آمنة.

ب: جهاز تنفيذ العمليات: وهو عبارة عن مجموعات مهمتها التنفيذ فقط وفق أهداف محددة لها مسبقاً وليس تحديد الهدف أو توقيته أو توفير السلاح أو... وما عليها إلا التنفيذ كما

يطلب منها فقط.

ج- **جهاز الرصد**: يحدد الأهداف ويرصدها مسبقاً. لقد كان من أخطائنا سابقا أن المجموعة الواحدة هي التي ترصد وتوفر السلاح وتنفذ في نفس الوقت وهذا أدى إلى ضياع الجهود.

١٣) **المطاردون**: كان اعتقال المطارد يؤدي إلى اعتقال الكثير من مساعديه. وأحياناً كانت خسائرنا من جراء ظاهرة المطاردة أكثر من استفادتنا منها، وهذا أمر لا بد من الانتباه له حتى لا تتكرر الأخطاء.

١٤) **غياب خبرة في التعامل مع معطيات الاعتقال عند العناصر**: كان يؤدي هذا الأمر إلى ضربات اعتقالية كبيرة واعترافات ما كان ينبغي أن تكون، لذلك فلا بد من وجود تربية على الصمود وآلية مناسبة تتعامل مع الضربات الاعتقالية بالشكل المناسب للتقليل - ما أمكن - من الخسائر.

هذه جملة من الأخطاء التي واكبت عملنا الجهادي خلال السنين السابقة ولا بد من تجاوزها ما أمكن حتى تحقق الثمرة المرجوة ونصل أهدافنا التي نريد.

ولنا كلمة:

وبهذا نقلب هذه الصفحة المشرقة من تاريخ الجهاد القسامي في فلسطين وأبطالها بين شهيد وأسير ومطارد، هي صفحة ناصعة البياض غير أن كلماتها مكتوبة بالنار، وحروفها مرسومة بالدم الفوار، هي صفحة استقينا أحداثها من فم أبطالها والمشاركين

في صناعتها وكتابتها، وهي صفحة واحدة فقط من مئات الصفحات. عشرات الأبطال في غزة والضفة لم تشملهم هذه الصفحة ولم تذكرهم أو تنظر إليهم، وعشرات العمليات البطولية الفدائية الرائعة التي لم نتحدث عنها، صنعها أبطال القسام، إنهم وبطولاتهم لا تتسع لهم مئات الصفحات الجهادية فكيف بصفحة واحدة اخترت الحديث عنها. وحسبهم الله عز وجل الذي يعلم عظيم ما قدموا وروعة ما بذلوا وجاهدوا، وليعذروني جميعا. فإن بطولاتهم الرائعة حقها أن تسجل بماء من ذهب ولكنه جهد المقل، وأحسبه خطوة يلزم أن تتبعها خطوات من أجل ألا تنسى الأجيال.

بهذه الصفحة الجهادية الفدائية صنع أبطال القسام ملحمة الجهاد في فلسطين أروع ما تكون الصناعة، مثبتين للدنيا -كل الدنيا -أن الأمة التي تحسن صناعة الموت هي الأمة التي تكتب لها الحياة، فظلوا يرددون صداها الخالد شهيد يتبعه شهيد ومقاتل تلو المقاتل.

إن إرادة وروح التمرد والمقاومة تلك التي بثتها حماس في جسد الأمة - كل الأمل - هي الشرارة التي ستشتعل قبيل المعركة الفاصلة القادمة - ولو بعد حين - وفي ظل موازين القوى المضطربة المختلة لصالح الأعداء جاء القسام ليقول قوله الفصل وبطريقته الخاصة في الحديث - حتى أضحى الرقم الصعب في المعادلة - مثبتا أن الضعف إنما هو ضعف النفوس وخورها وخوفها من الموت وإن من يحرص على الموت توهب له الحياة، وقوة عدونا إنما هي ناتجة عن ضعف الذين واجهوه وحاربوه وليس ثمة حرب!!

يقوى القوي بضعف من ضعفوا كما يقسو الوساد برقة الوساد! وإن لكل قوى نقطة ضعف ولكل ضعيف نقطة قوة فليس هنا مطلق أو قوة مطلقة، فإذا التقت نقطة القوي مع نقطة الضعيف اعتدل ميزان المعركة المختل! وإسرائيل القوية نقطة ضعفها في أمنها، في حبها للحياة وحرصهم عليها إذ إنهم جاؤوا من شتى بقاع الأرض ليعيشوا هنا لا ليموتوا مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى «ولتجدنّهم أحرص الناس على حياة» ونحن نقطة قوتنا في حبنا للموت وحرصنا على الشهادة وإقبالنا على بذل الروح وتدافعنا نحو المنون في سبيل الله، فإذا التقى حبنا للموت مع حرصهم على الحياة... صرنا الرقم الأصعب مع كوننا الأضعف مادياً!!

نحن الجدار الأخير في المعركة ولن يتحطم بإذن الله، نحن الراية الباقية المرفوعة ولن تسقط هذه الراية أبداً إن شاء الله، أعزنا الله بالجهاد ولن نتركه حتى نحرر أرضنا وعزنا بالمقاومة ولن نتخلى عنها حتى نطرد عدونا. ونحن وأعداءنا وجها لوجه ومتى تراجعنا تقدموا ومتى انحنينا انقضوا علينا دون سابق إنذار هي الحرب لا مكان فيها إلا للأسود.

إن نهج المقاومة والتمرد والتحدي ينبغي أن يتصدر مناهجنا وأساليب تفكيرنا وصياغة برامجنا، أتراها تقام الدول والحضارات بغير دماء وجهاد وتضحيات؟! وماذا يفعل شعبنا تحت الاحتلال إلا أن يقاتل ويقاتل!! أو هل يستجدي الحق؟! أو تمنح الحرية؟ كلا والله!

علينا أن نقيم تجاربنا ونستفيد من أخطائنا ونصمم على المواصلة والتقدم، وإن حركة لا تستفيد من أخطائها لا يمكنها أن

تستمر وتواصل. وحركة لا تقيم تجربتها وتعيد بناء صفوفها مصيرها إلى الاندثار. وسنة الله عز وجل لا تتبدل أبداً:«سنة الله في الذين خلو من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا».

فمتى تخلى المرء عن الأخذ بأسباب النصر حرمه ولو كان الأتقى! وليس بعد القوة من سبب «وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد». والله ينادينا من فوق السبع الطباق «وأعدوا»... ولقد شرفنا الله وأعزنا بحمل راية الجهاد ولواء المقاومة ومتى تخلينا استبدل بنا قوما يحبهم ويحبونه يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون في الله لومة لائم.

وليظل هتافنا ونشيدنا وترديدنا وحداؤنا:

إنه جهاد نصر أو استشهاد

إنها إحدى الحسنين: نصر أو شهادة.

فإما إلى النصر فوق الأنام وإما إلى الله في الخالدين



الفصل الرابع

الاعتقــال

❖ طرف الخيط.

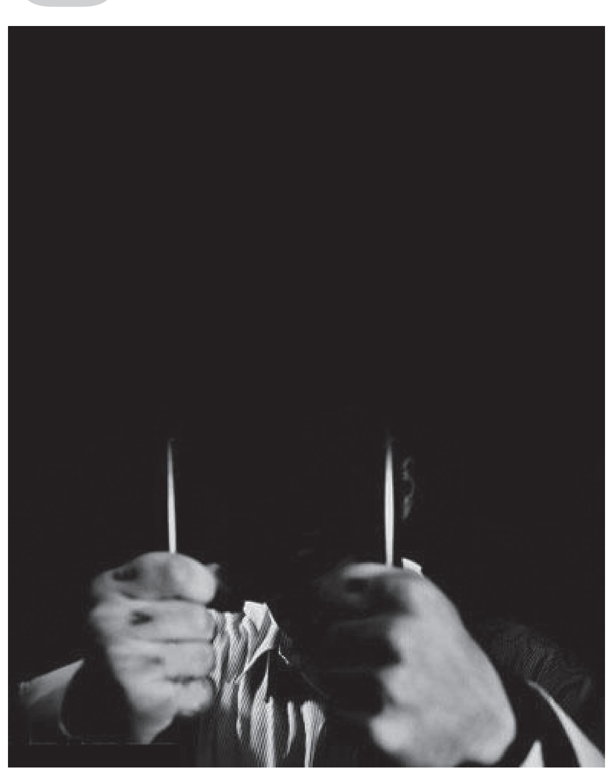
❖ يوم الاعتقال.

❖ الآثار المترتبة على اعتقالنا.

❖ التحقيق وفلسفة الصمود.

❖ العصافير: أزمة ثقة أم أزمة إخلاص؟!

الاعتقال



طرف الخيط:

في بداية شهر رمضان «شهر ١٩٩٣/٣م» تم الاتفاق على تهريب بعض المطاردين إلى خارج البلاد لأسباب عديدة:

أ) **قلة السلاح:** كان كثير من المطاردين لا يملكون قطع السلاح.

ب) **قلة المال:** يحتاج المطاردون إلى مصروفات إضافية كثيرة.

ج) **كثرة المطاردين في المنطقة:** وصل عدد المطاردين إلى عشرة وقتها، وهذا العدد كبير لا يمكن استيعابه.

د) **إمكانية التدرب في الخارج والعودة:** اخترنا مطاردين ممن كانت أحكامهم قليلة «قضايا بسيطة» حيث بدأ العمل التالي:

لم يكن في البداية عندنا أية خبرة في هذا المجال فهي التجربة الأولى لنا. وقد قمنا بالاتصال بمجاهد يعمل معنا في المنطقة من الحدود، وهو المجاهد سامر بني عودة «طمون» وعرضنا عليه الأمر فاستعد وقال: إنه سهل للغاية! نبدأ الإعداد الفعلي لذلك حيث أحضرنا المطاردين الأخ موسى «أماتين - نابلس» والأخ راضي توفيق مرعي «قراوة بني حسان» إلى أحد المساكن في نابلس قبل الموعد المحدد لمغادرتها بيومين، وفي اليوم المحدد جاء الأخ «سامر» وأخذهما معه وبمساعدة أحد كبار السن في بلده، وصلوا إلى نقطة التفتيش التي سيقطعون الحدود منها، كان الأخوان يحملان: «عَجَل» و«مقص حديد» قطعا به السلك. وبينما هما في طريقهما للنهر ثقب العجل ولم يعد صالحاً للاستعمال. ولم

يكونا يعرفان السباحة، فاستطاعت دورية إسرائيلية إلقاء القبض عليهما بعد نصف ساعة، لكن الإذاعة الإسرائيلية لم تُعد الخبر إلا بعد ثلاثة أيام من الحادثة، وقتها فقط علمنا بالخبر وأخضعنا لتحقيق قاس حيث كانت المخابرات تعرف علاقتهما بنا... ومن خلالهما حصلت المخابرات على معلومات عنّا ومنها: مكان السكن الذي كان بنابلس قبل فرارهما. (السكن الذي ألقى القبض فيه علينا فيما بعد).

أخطاء وقعت في عملية التهريب:

١- الوقت الذي تم اختياره لم يكن مناسباً، ففي بداية شهر ٣ يكون منسوب الماء في نهر الأردن عالياً، وأفضل وقت لاجتياز النهر نهاية الصيف حيث يكون النهر شبه جاف في بعض المناطق مما يسهل عملية اجتياز النهر بسهولة.

٢- كان المطاردان لا يجيدان السباحة مطلقاً مما اضطرهما للبقاء نصف ساعة قبل أن يتم العثور عليهما ولو كانا يجيدان السباحة لاستطاعا اجتياز النهر بسهولة.

٣- تم الاعتماد على (إطار سيارة منفوخ لاجتياز النهر)، وعندما بدأ الأخوان يركضان بين الأسلاك ثقب العجل فلم يعد صالحاً للاستعمال، وكان بالإمكان الاعتماد على سترة من الفلين يتم لبسها تحت الملابس أو فوقها بشكل طبيعي ولو حصل هذا لوصلا الأردن قبل وصول الجيش.

٤- عرف الإخوة السكن الذي كنا نستخدمه كثيرا فاعترفا عليه، فتم إلقاء القبض علينا فيما بعد!

٥- لم يتم تزويدهما بخطة اعتراف في حال وقوعهما في الأسر فكان ما كان.

٦- رغم قلة السلاح كان يجب تزويدهما بقطعة واحدة -على الأقل- لمواجهة أي طارئ وهذا ما لم يحدث.

يوم الاعتقال:

في يوم الاعتقال ١٩٩٣/٣/٣٠م سمعت خبر عملية الخضيرة للوحدة الخاصة وفرحت بها كثيراً، لكني كنت أتمنى لو تمكنوا من الخطف لإطلاق سراح الأسرى وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين، وقد كنا يومها في نابلس في أحد المساكن وكنت أنتظر الأخ سلامة الذي أحضره الأخ عدنان، لظروف خارجة عن إرادتنا اضطررنا لترك السكن والذهاب إلى السكن الذي يعرف عنه المطاردان المعتقلان: راضي وموسى. وكانت المرة الأولى التي نذهب فيها إليه بعد اعتقالهما وقد كان مراقبا وذهبنا بعد المغرب أنا وسلامة إضافة إلى طالبين من جامعة النجاح كانا يعملان على مساعدتنا ولم نكن وقتها نحمل معنا إي قطعة سلاح، وبعد العشاء نمنا، وفي حوالي الساعة الواحدة ليلاً أي صباح ١٩٩٣/٤/١م بدأت الكشافات تضيء كل شيء حول المنزل وأصوات مكبرات تنادي علينا بالخروج ورفع الأيدي فوق الرؤوس «البيت محاصر ولن تستطيعوا الفرار أو المقاومة، مئات الجنود يحاصرون المنزل والصواريخ منصوبة في كل مكان» ولم يكن بد من تسليم أنفسنا فلم يكن معنا سلاح ولم يكن هناك أي مخرج للمنزل يمكن الفرار منه! فخرجنا من المنزل

وإذا بي أشاهده ما لم أشاهد في حياتي: مئات الجنود حولنا، عشرات الضباط، عشرات عناصر الوحدات الخاصة... وقد كانوا أخرجوا أهل الحي بكامله إلى الشوارع: نساءً وأطفالاً وشيوخاً، وكان صعباً علينا أن نرى الناس الذين أحببناهم وقاتلنا في سبيل الله من أجل حريتهم وكرامتهم يصيبهم الأذى بسببنا!! وكان مؤلما جداً أن يتم إلقاء القبض علينا بهذه السهولة هكذا دون مقاومة ودون أن نطلق رصاصة واحدة! وعندما تكون نهاية المجاهد السجن لا الشهادة فإن ألمه لا يوصف!.

خرجنا من السكن ووضعونا كلا على حده وبدؤوا معنا تحقيقاً ميدانياً وهم يسألون: من فيكم زاهر؟ أين زاهر؟! واستمر ذلك حتى الصباح حيث حضر عميل يلبس قناعا وتعرف علي وقال لهم إني زاهر، فقلت له بصوت مرتفع: نعم أنا زاهر فافعلوا ما تريدون، وبعدها أخذونا إلى مركز التحقيق في نابلس، وتركز التحقيق في الساعات الأولى على السؤال عن أماكن المطاردين والسلاح ليتمكنوا من الوصول إليهم قبل انتشار خبر اعتقالنا... وبفضل الله ثبتنا ولم ينالوا ما أرادوا وانقلبوا خائبين.

وفي الساعة الثامنة صباحا من يوم ١٩٩٣/٤/١م تم نقلنا إلى مركز تحقيق في طولكرم (المسلخ) المركزي وبهذا انتهت قصة مطاردتي وكانت نهاية صعبة على نفسي، فقد كنت أطمح أن آكل من الشجرة التي غرسناها وأن يتواصل عطاؤنا الجهادي، ولكن شاء الله ألا نأكل من ثمرة الجهاد إلا القليل، وكانت رغبتي أن أروي شجرة الجهاد بالدم الذي لا تنمو إلا به، ولكن لا حول ولا قوة إلا بالله. وجلست في زنزانتي أفكر وأبكي لماذا لم أكن من الذين اصطفاهم رب العزة!؟

إن الشهادة هي أسمى أماني المجاهدين، لقد بايعنا على الموت، وما أقسى هذا السجن الذي تكبل فيه الأسود بالقيود!!! ولكنها مشيئة الله، ونسأل الله عز وجل القبول والثبات.

ولقد حدثني الأخ المجاهد «خميس عقل» من غزة وهو من أوائل مطاردي القسام في فلسطين حيث اعتقل في غزة بعد اشتباك مسلح عام ٩٢م وهو محكوم ٢١ مؤبدا! حدثني عن قصة اعتقاله وكيف تفاجأ مع أخيه «مازن النحال» عندما كانا في سيارتهما وبسلاحهما «قطعتي كارلو» بدورية عسكرية مكونة من سيارتي جيب توقفهما فجأة، قال خميس: لم يكن بد من الاشتباك لأنه عندما أوقفنا الجيش كانوا غير مستعدين فنزلنا من السيارة وبدأنا بإطلاق النار الكثيف، فارتمى الجنود على الأرض وركض آخرون هربا خلف السيارة العسكرية أطلق مازن من سلاحه ٧ طلقات قبل أن يتوقف وبقيت أطلق النار حتى نفدت ذخيرتي ولما توقف إطلاق النار عليهم بدؤوا بإطلاق النار علينا فأصيب مازن إصابة بالغة، بينما أصبت في رجلي وارتميت على الأرض فأمسكوا «بالكارلو» وهجم الجنود علي محاولين أخذه مني دون جدوى... كنت أريد استفزازهم ليطلقوا علي النار فأستشهد لكنهم لم يفعلوا وأخذوا بضربي بأعقاب البنادق على رأسي ووجهي وبطني كي أترك «الكارلو» دون جدوى ثم لمحت قطعة «إم ١٦» لأحد الجنود الجرحى ساقطة على الأرض فتركت الكارلو وهجمت عليها واختطفتها.. لكن الضابط صاح بهم: لا تطلقوا النار إنها فارغة ومع ذلك لم أفلتها وتكررت محاولاتهم لأخذها مني دون جدوى حتى هجم الضابط علي فصرت

أبصق بوجهه فقال لي: لماذا تهينني أنا جندي مثلي مثلك، قلت له وأنا أصرخ: أقتلني يا كلب وصرت أشتم به وأبصق عليه واستمر ذلك ربع ساعة حتى انهارت قواي بفعل الإصابة والدم النازف فسيطروا علي!!!

هذا مجاهد نفدت ذخيرته فلم يجد ما يجاهد به بعد التشبث بسلاحه الناري إلا أن يبصق في وجه الضابط عله ينال منه الشهادة... ولم يكتبها الله له وها هو في السجن منذ عام ٩٢ وهكذا غالبية مجاهدي القسام لا يبغون سوى الشهادة نهاية الجهاد -جهادهم -لكن الله عز وجل يختار ويصطفي... ونحن راضون.

في العمل العسكري يكون الخطأ الأول هو الخطأ الأخير: وخطؤنا الأكبر الذي وقعنا فيه هو عودتنا لسكن يعرفه إخوة معتقلون ويفترض بنا أن نتوقع أن يكشفوا عنه!

كما أن الافتقار للمأوى والظروف الصعبة الاضطرارية يجب أن لا تلجئ المجاهد والمطارد إلى تجاوز البدهيات الأمنية وقواعد العمل السليم ومتى بدأ المجاهد يتجاوز روتينه الأمني المعتاد واحتياطاته المعهودة فإن ذلك يعني بداية النهاية، فنحن نتحرك في محيط من الأعداء في منطقة جغرافية محصورة وبإمكانات محدودة مقابل عدو يمتلك الكثير الكثير.

الآثار المترتبة على اعتقالنا:

١- مطاردة الأبطال: يحيى عياش، عدنان مرعي، علي عاصي.

٢- اعتقال العديد من طلاب الجامعات والمساعدين لنا.

٣- تم تسليم قطع سلاح كان المجاهدون بأمس الحاجة إليها.

٤- تأخير العمل بحيث أحدثت الاعتقالات خللاً كبيراً في تشكيلة الجهاز العسكري في المنطقة وفي معظم المخطط المرسوم.

٥- بعد شهرين من اعتقالنا تم اعتقال أبطال الوحدة الخاصة.

التحقيق وفلسفة الصمود:

إن معركة التحقيق مفروضة لا محالة على أبناء شعبنا وفصائله المقاومة، وهي معركة لا تقل في خطورتها وأهميتها عن جميع المعارك التي يخوضها شعبنا من أجل كرامته وحريته، كما أن التعاطي مع مرحلة التحقيق بغير روح التحدي التي يفترض حضورها في أي معركة سيؤدي إلى آثار سلبية لا تحمد عقباها، ما دمنا تحت الاحتلال، نحن معرضون للاعتقال ومن ثم دخول التحقيق على أيدي جهاز الشاباك في أي لحظة! وما دامت المعركة مفروضة علينا فلا بد من الإعداد الكافي والملائم لها ويجب أن تكون بمستوى المواجهة تحديا وإصراراً وصمودا.

إنني ألمس في الحقيقة أنّ -حركة المقاومة الإسلامية حماس - التي اختارت خوض معركة المقاومة والمواجهة مع الاحتلال لا تزال دون المستوى المطلوب في التعامل مع معركة التحقيق وأبجديتها!

مناهجنا التربوية لا تسلط الضوء على معركة التحقيق وفلسفة الصمود كما ينبغي! بناء الهيكلية التنظيمية لا تعي الاعتبارات المطلوبة لمسألة التحقيق.

تكررت اللدغات ولا ندري لِمَ لا يكون الاتعاظ!؟

إن التهيئة والاستعداد لمعركة التحقيق يبدأ من الخارج بتحري

أسلم قواعد العمل الأمنية في الحركة والتنظيم وبالتهيئة النفسية المستمرة عبر حث النفس وشحنها وإعدادها للصمود في المعركة القادمة. لا بد من نية مسبقة للصمود والتحدي، يظل الأخ معها وينميها حتى إذا جاءت معركة التحقيق كان على أتم الاستعداد النفسي لخوضها!

وعلى المستوى الحركي فنحن بحاجة إلى:

١- مناهج تربوية خاصة: يتم صياغتها وتربية أبنائها عليها تملؤها حماسة وتحديا وصمودا. وتعدهم الإعداد المطلوب لهذه المعركة دون تهويل أو تهوين، وففي تاريخنا الإسلامي وسيرة نبينا محمد «صلى الله عليه وسلم» وأصحابه عشرات القصص التي تملأ صفحات تاريخنا المشرق لا بد من إبرازها: حبيب بن زيد والسيف يقطع من جسمه قطعة تلو أخرج ويتدحرج لحمه أمامه مختلطاً بدمه وهو صامد يرفض أن يقول كلمة ترضي أعداء الله... وخباب وبلال وغيرهم رضي الله عنهم وأرضاهم، ماذا نريد أعظم من نموذج يؤسر ابنه فيساومونه على الاعتراف فيطلب منهم أن يقتلوا ابنه حتى لا يشي به فيفعلون فيقول لهم: لقد خشيب أن أضعف إذا رأيتكم تعذبون ابني أمامي فأعترف، أما الآن وقد لقي ربه شهيداً فإن كنتم رجالا فخذوا مني كلمة..! إن ديننا هو دين العزة والرجولة ويفترض في النماذج التي يضعها هذا الدين أن تكون عزيزة أبية ترفض أن تذل لعدوها أو تضعف أمامه...!

فنحن بحاجة إذن لمناهج تربوية يعد أبناءنا الإعداد المطلوب لمواجهة معركة التحقيق.

٢- إبراز القدوات: في صفنا الإسلامي وصف شعبنا بكافة فصائله مئات النماذج المشرقة التي ضربت أروع الأمثلة في الصمود والتحدي ومرّغت أنوف ضباط التحقيق ورجال الشاباك في التراب! وهذه النماذج غائبة ببطولاتها ومواقفها الصلبة عن ذاكرة الجيل الجديد ولا بد أن تظل حاضرة تبرزها مناهجنا وكتبنا ودراساتنا ليظل ذلك حافزاً قوياً على الصمود...

٣- لوائح تنظيمية صارمة: توضح كيفية التعامل التنظيمي مع المعترفين تحت قاعدة: إثابة المحسن ومعاقبة المسيء، يجب ألا يعود القائد أو المسؤول إلى سابق منصبه وموقعه التنظيمي إذا كانت تجربته في التحقيق فاشلة، وهذا أمر يجب أن توضحه اللوائح التنظيمية حتى لا تبقى المسألة عائمة أو خاضعة للاجتهادات الفردية.

وهذه المسائل الثلاث: المناهج والقدوات، واللوائح تمكننا من بناء فلسفة للصمود ومواجهة معركة التحقيق المفروضة.

إن الضعف ضعف النفس وليس أجمل ولا أحلى ولا أروع من أن يخرج الأخ من معركة التحقيق صامداً رافع الرأس، محطما غطرسة عدوه وصلفه وكبرياءه ممرغا أنفه في التراب، فلتكن كما يحب ربنا ويرضى! رجال المرحلة وأسود المعركة ومن جاهد فلنفسه ومن نكث فعليها.

العصافير أزمة ثقة أو أزمة خلاص؟!

ابتلي شعبنا بالاحتلال اليهودي المجرم الذي عاث بقيمه وأخلاقه وأرضه ومقدساته فسادا، وكانت ظاهرة العمالة إحدى

إفرازات هذا الاحتلال الغاصب.

والدور المنوط بهؤلاء العملاء خدمة الاحتلال وأهدافه في السجون وفي التحقيق فيما يعرف بغرف العار «العصافير» وقد استطاع هؤلاء الأوغاد انتزاع اعترافات مئات من النماذج مما عجزت عنه المخابرات وضباط الشاباك!

ورغم كثرة التحذير من حيل هؤلاء الأوغاد إلا أن النسبة الكبرى من المعترفين تكون عندهم، فلماذا يا ترى؟! هل هم سحره؟! أم أنها ظاهرة لا يمكن مقاومتها؟! أم ماذا..؟!

في الحقيقة يبدو أن هناك خللاً في التعبئة ضد العصافير، إن كل ما يقال لنا في الخارج: احذروا العصافير إياكم أن يخدعكم العصافير... الخ..

«حسناً لن نتكلم عند العصافير وسنحذر منهم»، ولكن إذا لم يكونوا عصافيراً هل نتكلم عندهم بالأسرار والتي لا يعرفه المخابرات ولم نعترف بها..؟

كان يقال لنا في السجن لا تثقوا بأحد... فماذا لو وثقنا؟ هل نتكلم ونبوح بالأسرار؟! وهنا المشكلة؟!..

إن كل حيل العصافير وألاعيبهم ومعهم ضباط المخابرات تقوم على أساس كسب الثقة!! وكل ما يقدمونه من مقدمات ويقومون به من ممارسات يكون بهدف الحصول على ثقة المعتقل بهم فإن حصلت الثقة كان ما لا تحمد عقباه.

لأن في تربيتنا خللا نحذر فقط ممن لا نثق به... والأصل أن تكون

قاعدتنا الذهبية في العمل: الثقة لا تلغي الحذر، ثق بمن تشاء وكيف تشاء ولكن هذه الثقة لا تبيح لك أن تتكلم بما لم تتكلم به عند المخابرات.

بهذا الشكل لن تحتاج كبير جهد لتتعرف وتتأكد من حولك أو معك: هل هم عصافير أم لا؟! فلا داعي لأن تتعب نفسك بذلك..

اعتبر من حولك ثقات، ولكن ليس لديك وعندك إلا ما قلته عند المخابرات وهكذا ستذهب كل حيل وألاعيب العصافير سدى، فمسألة الثقة التي يسعون لها محسومة بالنسبة لك منذ اليوم الأول.

وبعد ذلك يكون كل ما نقرؤه عن أساليب ووسائل العصافير من باب المعرفة العامة لا أكثر..

ومن الضروري للأخوة الذين لم يخوضوا تجربة التحقيق أن يجلسوا ويسمعوا من أخ مجرب، مهيئين أنفسهم إلى معركة قادمة، أخيراً فإنه لا عذر لمعترف أبداً... والصمود هو الواجب والاعتراف حرام، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.



الفصل الخامس

الأسرى: دور وواجب

- مفهومي حول الأسر.. قبل الأسر.
- مفهومي حول الأسر بعد الأسر.
- علاقة المجاهد بحركته قبل الأسر وبعده.
- الأسرى اليهود في ميزان قياداتهم.
- الجانب العربي وكيف تعامل مع قضية الأسرى؟
- كيف تعاملت المنظمات الفلسطينية واللبنانية مع قضية الأسرى؟
- أسرى المنظمة إلى أين؟
- حركة الجهاد الإسلامي والأسرى.
- حزب الله والأسرى.
- حركة المقاومة الإسلامية -حماس- والأسرى.
- نظرة الإسلام للإنسان.

الأسرى: دور وواجب



أستشعر من خلال كتابتي هذا الفصل أني سأوصل مفاهيم أحسبها غائبة عن فكر قيادات العمل الفلسطيني، وحتى لو كانت حاضرة في فكرهم فهي غائبة عن أجندات أعمالهم، إذ الأمر يتعلق بقطاع واسع حساس مهم من أبناء ومناضلي ومجاهدي شعبنا، قطاع واسع غُيب في السجن بعد أن قدم كل ما يستطيع من أجل وطنه وشعبه وقضيته ومبادئه، فمضوا يدفعون الضريبة من سنوات عمرهم وزهرة شبابهم راضين محتسبين، والسجن الطويل موت بطيء يفقد فيه الإنسان مع الأيام كل ما يربطه بالحياة، لأنه هو يفقد حريته! ولأن ديننا علمنا أن نكون أعزة، ولأن المجاهد عزيز يأنف الذل ويأباه، فإن قيود السجن وأذلال السجانين أقسى ما يمكن أن يلاقيه ذلك المجاهد المقاتل الأبي العزيز! ماذا تريد من مجاهد عاش حياته عزيزاً رافعاً رأسه ممتشقاً بندقيته السمراء بين الجبال الوعرة وفي الشتاء القارس عاشقاً ذلك مستعذباً له وهو في شوق شديد للقاء ربه شهيداً... ماذا تريد منه حين تغلق عليه السجون أبوابها فيمنع الحركة والجهاد؟! ولولا ثقة المؤمن بربه وعلمه إن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن سلعة الله غالية وأن ضريبة العزة والكرامة والحرية باهظة الثمن لكانت الحال غير الحال! ولكن عندما يكون السجن -إلى ما شاء الله - نهاية قوم بايعوا على الشهادة وتمنوا الشهادة يصبح الأمر قاسياً، ويصعب على المداد أن يعبر عن قسوته!!

سأكتب هذا الفصل وأحسبني أتحدث بلسان إخواني المعتقلين من جميع الاتجاهات والفصائل وأسأل الله التوفيق والسداد.

مفهومي حول الأسر... قبل الأسر:

لا شك أن تفكير الإنسان نتاج تربيته ومفاهيمه التي غرست فيه، فعلى أساس المنهج التربوي الذي يتم تربية المجتمع وأفراد الحركات عليه يتولد التفكير والاهتمام.

قضية الأسرى ومعاناتهم والواجب تجاههم وماذا يمكن أن نفعل لهم... كل هذه القضايا نفتقدها في برامج التربية - وللأسف - حتى على مستوى الحركة الإسلامية فالاهتمام دون المطلوب مع أن الإسلام أرقى صورة يمكن تربية المجتمع وأفراد الحركات عليها وخاصة الجهادية منها.

عملت مع حماس ومع كتائب القسام وأقول الحق، لقد كانت قضية تحرير الأسرى ثانوية ودون الحد المطلوب لدى الفصائل الفلسطينية والحقيقة أني أستغرب من ذلك فمع أن حماس منذ اليوم الأول لانطلاقتها قامت باختطاف الجنود لأجل تحرير الأسرى إلا أنه لم يكن لدى الفصائل الفلسطينية برنامج متكامل لتحرير الأسرى وكان هناك تقصير دائم بحقهم وحق قضيتهم الأساسية وهي التحرر من الأسر.

وأكبر دليل على تقصير الفصائل بحق الأسرى وقضيتهم الأساسية «التحرر من الأسر» أن هناك عشرات بل مئات الأسرى أمضوا في السجون عشرات السنوات ومنهم من أمضى أكثر من ٣٥ سنة متواصلة داخل المعتقلات الصهيونية، فأي تقصير أكبر من هذا التقصير بحق هؤلاء الأبطال الذين قاتلوا من أجل حرية وطنهم وشعبهم.

مفهومي حول الأسر... بعد الأسر:

أحدث وقوعي في الأسر صدمة كبيرة في نفسي بسبب الفجوة الكبيرة والنقلة الواسعة بين الواقعين، وعدم استعدادي للواقع الجديد نتيجة غياب قضية الأسرى بهمومها وآلامها وجراحاتها عنا!

فوجئت بوجود عشرات الأسرى ممن أمضوا أكثر من عشرين عاماً، وعشرات آخرين أمضوا أكثر من عشر سنين.. أكثر من ٤٠٠ أسير محكوم عليهم - بالسجن المؤبد - معظمهم قتل أو شارك في قتل يهود! «أي أن اتفاق أوسلو تجاوزهم إلى غير رجعة». صحيح أننا فكرنا في الأسرى ومعاناتهم وحريتهم وفكرنا في الخطف لأجلهم، لكنني ما كنت أحسب أن المعاناة إلى هذا الحد!!.

رأيت المرضى وكبار السن... رأيت القتل الحقيقي للإنسان... رأيت ذلك فأدركت لماذا اختار اليهود عقوبة السجن المؤبد وفضلوها على الإعدام!! صرت أتساءل في نفسي: هل مشكلة الأسرى أكبر من أن تحل؟! هل الحركات المقاتلة عاجزة عن تحريرهم؟! أم ماذا يا ترى؟!

ألم يخطف تليدانو من وسط اللد بسكاكين وحبال! ألم يهز خطف فاكسمان كل يهودي وكادت المحاولة تنجح لولا التآمر؟ بل إن مجموعة مجاهدة من كتائب القسام كانت تتجول وسط البلاد بهدف الخطف وجدت جندياً أسود ركب معهم فقرروا أن يتركوه لأنه لا يساوي شيئاً عند اليهود!! أي إنهم كانوا يميزون وينتقون!! أليست الكتائب - وأنا أحد أبنائها - قادرة على أن تصل إلى قلب تل أبيب متى شاءت! ما المشكلة إذن؟ هل الحكومة الإسرائيلية لا ترضخ لمحاولات

الخطف. الحقيقة أنه لا يوجد لدى الحركات مشروع وبرنامج اسمه «مشروع تحرير الأسرى» ولا أدري لماذا يغيب هذا الأمر عن برنامج الحركات المجاهدة حتى الآن؟!

في رأيي إنه يجب أن تتحول قضية الأسرى إلى هدف مرحلي بحاجة إلى تحقيق في أقرب وقت ممكن!

علاقة المجاهد بحركته قبل الأسر وبعده:

قد يبدو للوهلة الأولى أن هذا العنوان غريب إذ لا يفترض وجود فرق بين علاقة المجاهد بحركته قبل الأسر وعلاقته بها بعده، إلا أن الواقع غير الطموح.

وهذا أمر يستدعي الوقوف والتأمل!

وليس من نافلة القول أن أحاول في البداية تحديد ملامح هذه العلاقة على صعيد الفصائل الأخرى، أعني فصائل منظمة التحرير ويمكنني القول إن ثمة تحولاً في هذه العلاقات في السنوات العشر الأخير أو ما يزيد!

يشكل العنصر المنتمي لأي فصيل، وحديثي الآن عن فصائل المنظمة، عنصراً حيوياً هو الأهم في بناء ذلك الفصيل، وتتفاوت درجة الأهمية تبعاً لفعالية هذا العنصر أو أثره أو دوره أو مكانته، فإذا ما غاب هذا المناضل عن الأنظار وساحة العمل - غيبه السجن والقيد - لم تعد له تلك المكانة التي كان يحظى بها سابقاً على مستوى القرار والرأي، وفي الفترات السابقة كانت تعتبر السجون هيئة رسمية

لها حقها في التصويت على قرار الفصيل، وكان التواصل بين الأسرى وقياداتهم مستمراً، إلا أن هذه الحالة تغيرت جذرياً في السنوات الأخيرة، وبعد اتفاق أوسلو لم يعد للأسرى دور يذكر في صياغة القرارات حتى البسيطة منها، واقتصر دورهم على النواحي الإعلامية والمادية -على قلة أهميتها - ويسود شعور لدى الكثير منهم أنهم اليوم أرقام بلا وزن أو ثقل أو قيمة!

يشعرون أنهم يستخدمون للمزايدة لا أكثر، كيف لا وهم يرون وقد قياداتهم تخلت عنهم وتجاوزتهم في اتفاقيات كان يفترض أن تحوي في أبجديتها الأولى حسم قضيتهم وإنهاء مأساتهم وهم من ضحّى وقدم وقاتل.

فكيف يكون تحرير الأسرى هدفاً لها بداية انطلاقتها الثورية وتعجز عن تحريرهم عبر اتفاقيات ذليلة اختلت فيها موازين القوة لصالح الأعداء!

أما فيما يخص حماس التي أنتمي إليها فسأتكلم عنها بموضوعية قد لا تروق لقسم في صفنا يميل ويفضل أن تعالج مثل هذه الأمور عبر أروقة الحوار الداخلي لا عبر الإعلام المقروء والمسموع! ولكني أفضل الحديث عن هذا المسألة بالذات بهذا الشكل العلني لأهميتها:

كنت كغيري من مجاهدي حماس ثم القسام أحتل موقعاً معيناً في الخارج من حيث المساهمة في تنفيذ قرارات الحركة وتجسيدها على الأرض نظرياً وعمليا... غير أن الصورة بعد سجني تغيرت!

وأتحدث هنا عن واقع أسرى حماس بشكل عام حيث الصورة واحدة!

لقد ألقت الضربات المتلاحقة التي تعرضت لها الحركة على أيدي قوات الاحتلال، ومن ثمّ سلطة الحكم الذاتي على إمكانية تواصل الحركة بأسراها.

ولم تستطع الحركة بسبب هذه الظروف في مرحلة من المراحل من التواصل بشكل منظم مع أسراها، لكن الحركة عندما كانت تعيد ترتيب صفوفها مرة أخرى كانت متميزة عن باقي الحركات والفصائل ولا زالت في التواصل والاهتمام في قضية الأسرى واحتياجاتهم.

وإنني أفترض في حركتنا التي اختارت أن تسبح عكس التيار، وتقاوم الغزو وتعاند العالم الطاغي، أن تعمل على إعادة هيكلة صفوفها لإعادة استيعاب الأسرى كجزء أساسي وفاعل في مؤسساتها، قرار الحركة في شتى الأمور والقضايا وليس القضايا الموسمية فحسب! فضلاً عن باقي شؤون الاهتمام معنوياً ومادياً، وهذا أقل حقوق الأسرى، وأدنى واجب تقوم به حركاتهم.

إن حركتنا الإسلامية - حماس - وهي أمل الأمة اليوم - لا ينبغي أن يصيبها ما أصاب الحركات الأخرى من أمراض، الأمر الذي يؤدي - لا سمح اللّه -إلى فتور العناصر وترهل البيئة التنظيمية فالأسير هو قلب حركته النابض وضميرها الشاهد على المرحلة فيجب ألا تنساه ويجب ألا يكون دوره ثانوياً فيها! فإن حركتنا في قلوبنا وضميرنا شيء كبير، وما نحب أن تشوب قدسية صفائها ونقائها وطهرها شائبة، هي قدسية الإسلام الذي تتبناه، ونقاء الحق الذي تسعى له وطهر المبادئ التي تسير عليها.

الأسرى اليهود في ميزان قياداتهم!

إن في تجارب الآخرين عبرة ورغم كرهي الشديد لليهود المحتلين الذين اغتصبوا أرضنا وديارنا وشردوا شعبنا وقتلوه وجرعوه الويلات - وما زالوا - فإني مضطر للحديث عن تجربتهم ومقارنتها بالتجربة العربية في هذا السياق.

سأتطرق إلى مسألة الأسرى وكيف تعامل معها كلا الجانبين..

١) الأسرى اليهود ما قبل الدولة :

كان اليهود قبل تأسيس دولتهم في بلادنا الحبيبة عبارة عن عصابات سرية وأهمها «الأرجون» وأخرى علنية وأهمها «الهاجاناة» كانت عصابة الأرجون تنظيماً سرياً يواجه من قوات الانتداب البريطاني، ومن العرب الفلسطينيين في بلادنا.

وأترك الحديث «لمناحم بيجن» رئيس عصابات الأرجون آنذاك والذي أصبح فيما بعد رئيساً للوزراء في دولة العدو. ناقلاً من كتابه «التمرد» بشيء من التصرف بعض الحوادث التي تعطينا صورة واضحة عن كيفية تعامل اليهود مع عناصرهم وقد أخذت ثلاثة حوادث وقضايا:

أ) كانت الحكومة البريطانية تستخدم عقوبة الجلد في البلاد التي تحتلها أو تتواجد فيها، وكانت فلسطين إحدى هذه البلاد التي بسطت سلطتها عليها، وحدث أن الحكومة البريطانية ألقت القبض على اثنين من أعضاء منظمة الأرجون الإرهابية وحكمت عليهما بالسجن ١٥ عاما إضافة إلى ١٨ جلدة لكل واحد منهما، وقد اعتبرت عصابة الأرجون حكم الجلد مشيناً وبالغ الخطورة ويؤذي جوهر إسرائيل

فضلاً عن اعتباره عقوبة بهيمية. ولذلك دعت القيادة العليا في الأرجون إلى اجتماع طارئ بخصوص هذا الموضوع، وبعد التداول والتشاور كان الرأي الراجح في هذا الاجتماع: الرد بالمثل، فإذا نفذت الحكومة البريطانية قرارها بجلد الجنديين اليهوديين يتم إلقاء القبض على ضباط بريطانيين وجلدهم بعدد الجلدات التي يجلدونها للجنود اليهود! وقد وزعوا بياناً يحذرون فيه الحكومة البريطانية من أنهم سيردون بالمثل على قرار الجلد إذا ما تم تنفيذه، لكن الحكومة البريطانية نفذت قرارها وجلدت أحدهما ١٨ جلدة، فأصدرت القيادة العليا لعصابات الأرجون التعليمات إلى جميع القيادات المحلية لاصطياد الضباط البريطانيين فتم ذلك حيث ألقي القبض على ضباط بريطانيين في تل أبيب ونتانيا وريشون لتسيون وعندما نفذ الحكم بالجندي الأول يوم الجمعة ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٦ في القدس صدرت الأوامر لتنفيذ حكم الجلد بالضباط البريطانيين تنفيذاً لقانون القصاص العادل كما يقول بيغن! في يوم الأحد ٢٩ ديسمبر «أي بعد يومين» فجلد ضابط برتبه رائد وثلاثة ضباط صف ١٨ جلدة لكل واحد منهم! وبعدها نزل تحذير ثان للحكومة البريطانية يقول: «إذا تجاوز الطغاة في القادم من الأيام على إساءة معاملة أبدان الشبان اليهود وشرفهم الإنساني والقومي فلن نجيب بالسوط بل سيكون جوابنا بإطلاق النار» وبعد سماع البريطانيين نبأ جلد الضباط وسط الشارع، وأمام الناس حاولوا ألا يجلدوا الجندي الثاني بحجة أنه لا يتحمل الجلد! لكنه قال لهم: أنتم مخطئون وأنا مستعد لأكثر من ذلك وقد بلغه ما فعله رفاقه بالخارج!! فما كان من المندوب السامي البريطاني

إلا أن ألغى قرار الجلد بحق الجندي الثاني ولم يجلد أي جندي يهودي بعدها مطلقاً لأنهم يعلمون أن ذلك يعني جلد جنودهم بالمقابل!

هذه هي الفلسفة التي تعامل بها بيغن وعصابته الإرهابية في مسألة الجلد لأبناء تنظيمه الإرهابي... فهل يفكر أصحاب الحق الحقيقيون بمثل هذه الطريقة؟!

ب) يروي بيغن أن من أصعب المحن التي مر بها التنظيم الإرهابي هي تلك المحنة التي تم فيها إلقاء القبض على اثنين من جرحى اليهود ومعهم فتاة في سيارة بعد عملية الهجوم على أكبر معسكرات البريطانيين في «صفد» حيث تم التخطيط لاقتحام الموقع والتخفي بالزي العسكري البريطاني من قبل جنود الأرغون والدخول إلى المعسكر ومخازن السلاح وسرقة ما استطاعوا من هذه الأسلحة، وقد نجحت خطتهم إلا أنه في نهاية العملية تم كشفهم ومطاردتهم مما جعلهم يقتلون كل من يتعرضهم من البريطانيين حتى انسحبوا من المعسكر فوضعت نقاط التفتيش على الطرقات في كل مكان وتم إلقاء القبض على جنديين جريحين ومعهما فتاة تعتني بهما.

اعتبر البريطانيون هذا الهجوم تمريغاً لأنفهم في التراب، فسرقة مخازن السلاح وقتل الجنود البريطانيين في أحصن حصونهم أمر لا يمكن استيعابه.

لذلك حكم على الجنديين بالإعدام شنقاً حتى الموت وفق قانون الطوارئ والدفاع البريطاني.

وعند سماع الإرهابي بيغن بهذا الحكم دعا إلى اجتماع طارئ

لمناقشة الأمر... إذ كيف يعقل أن يشنق الجنود دون فعل شيء؟ ودار نقاش حاد داخل مجلس القيادة وكانت خلاصته أن لا ينفع الجدل القانوني مع مثل هذه القضايا. ويذكر بيغن استعداد جنوده للموت من أجل فكرتهم حتى أن أحد المحكوم عليهما بالإعدام قال للقضاة. كما يقول بيغن، قد تستطيعون سجننا ووضعنا في الأغلال إلا أنكم لا تستطيعون أن تقاضونا بصفة شرعية... إننا لن نعترف بأنكم أنتم القضاة ونحن المتهمون، ويتحدث بيغن، وهو القائد وقتها، عن مشاعره تجاه جنوده وإصراره ومدى حرصه البالغ والشديد عليهم وكيف أن المواقف التي كان يمكن أن تقوم بها منظمته السرية والعلنية لم تكن لتلغي قرار الإعدام، ولذلك لا بد أن يكون الرد حازماً... وفعلاً تم إرسال بيان للحكومة البريطانية يقولون فيه: «لا تشنقوا الجنود والأسرى... فإذا فعلتم فسوف نجيب على المشانق بالمشانق» وبعد ستة أيام من هذه التهديدات تم إلقاء القبض على ستة ضباط بريطانيين في مقهى للضباط وسط تل أبيب، حيث حوصر من قبل قوات الأرجون.... واتفقوا بينهم على ستة رتب وأخذوهم إلى أحد الأماكن الآمنة التي لا يستطيع البريطانيون الوصول إليها، وأرسل وسيط يهودي ليجري المحادثات مع البريطانيين لإلغاء حكم الإعدام أو سيعدم الضباط البريطانيون، وكانت المحادثات سرية ورغم تمشيط تل أبيب بيتاً بيتاً بعد فرض منع التجوال عليها فقد فشلت هذه المحاولات للعثور على الضباط المختطفين، وبعد أيام قلائل أخبر عُمدة تل أبيب. دوكاخ. أن السلطات البريطانية تميل إلى إلغاء حكم الإعدام عن الجنديين إذا تم إطلاق سراح باقي الضباط.

وأثناء المفاوضات كان بيغن حريصاً على مشاعر جنوده وهو ما عبر عنه بالقول: «يجب أن لا يغيب عن أذهاننا الحالة النفسية للذين ظلا أسبوعين في الرداء الأحمر الذي يلبسه المحكوم عليهم بالإعدام». ولم يقبل إطلاق سراح الضباط إلا بعد أن تم إلغاء حكم الإعدام.

وهكذا اكتسبت عصابة الأرجون - التنظيم الإرهابي - المعركة أمام الإمبراطورية العظمى التي لم تكن تغيب عنها الشمس!!

ج) ألقي القبض على الكثير من جنود المنظمات اليهودية وخاصة الأرجون وتم زجهم في سجن حصين بمدينة عكا قاهرة الغزاة، فقام الصهاينة بوضع خطة لاقتحام السجن وتحرير الأسرى، لأن من حقهم أن يكونوا أحراراً لأنهم مقاتلو الحرية، كما يقول بيغن، ولا حرية للوطن بدون تحرير الأسرى، وتم التخطيط مع السجناء وتحديد موعد الهجوم وتهريب متفجرات إلى السجن الذي كان يحرسه أكثر من ١٥٠ جندياً كانت مراكز الشرطة قريبة جداً من السجن إلا أن هذا لم يردع بيغن من تنفيذ عملية تحرير الأسرى... وفي يوم ٤ مايو ١٩٤٧م تم اقتحام الباستيل وإطلاق سراح كل الأسرى، الذين كان من بينهم موشيه ديان وقد قتل قائد الحملة بعد الخروج من القلعة على الطريق حيث صادفتهم قوة عسكرية بريطانية، وتم إلقاء القبض على ٣ جنود صهاينة فتم رصد ٣ ضباط بريطانيين يحضرون إلى مسبح في رامات غان تم أسر اثنين منهما ولكن القوات البريطانية قامت بتفتيش رامات غان حتى عثرت عليهما وأطلقت سراحهما، فقام بيغن وعصابته بخطف ضابطين وهددوا الحكومة البريطانية بإعدام الضابطين في حال

حكم على الجنود بالإعدام، ولم ترضخ الحكومة البريطانية لذلك فأعدمت الجنود الثلاثة وعلى الفور تم قتل الضابطين بالمقابل وقد قال بيغن كلمته المشهورة:

«عندما تصحو أمة من جديد يكون أبناؤها مستعدون لتقديم أرواحهم من أجل تحريرها، عندما تهدد إمبراطورية بالانهيار فإنها تكون مستعدة للتضحية من أجل ضباط صفها» هذه أمثلة ثلاثة توضح كيف استطاع تنظيم سري مطارد، لم يكن له تأييد من بعض المنظمات اليهودية الرسمية، التعامل مع ثلاث قضايا حساسة، ويظهر جلياً وواضحاً مدى اهتمام القائد بجنوده وحرصه البالغ عليهم الأمر الذي سبب تفانيهم في تنفيذ أمره، وهو السلوك الذي تميز به جيل المسلمين الأول فما أقسى أن يتعلم أعداؤنا منا ومن تعاليم ديننا في حين نتخلى نحن عن ذلك.

٢) الأسرى اليهود ما بعد الدولة:

أ) أسرى يهود سقطوا في أيدي دول

وبعد ذلك تم توقيع سلام مع هذه الدول مثل مصر:

تقول غولدا مئير في كتابها «حياتي»، لقد استمر عذابي مع الآباء الذين سجن أولادهم في حرب أكتوبر، وتمر الأيام وبالكاد أستطيع النظر في عيون الآباء لأنني لا أستطيع ولا أقوى على إخبارهم بشيء. فالسوريون والمصريون لم يرفضوا الاعتراف بلائحة أسماء المفقودين للصليب الأحمر فحسب بل منعوا أفراد الجيش من البحث في المواقع الحربية عن أمواتنا... لقد كنت عاجزة عن مقابلة زوجات

أو أخوات أو أمهات هؤلاء المفقودين وأعرف تماماً أنهم يضعون اللوم عليّ لاشتراكنا في الحرب... وأذكر تماماً بينما كنت أقود سيارتي عبر شوارع تل أبيب المظلمة ليلة من الليالي عندما كانت محادثات وقف إطلاق النار وكنت أنظر إلى تلك الشبابيك السوداء التي أمر بها متسائلة أي البيوت يجلس فيها أولئك الذين لم يكفوا عن تساؤلاتهم حول مصير شبابهم وأولادهم الضائعين: هل هو ميت أم أسير حرب؟!

وفي تلك اللحظة أقسمت أن أعمل كل ما بوسعي من أجل إعادة الأسرى وفي محادثات وقف القتال كان أول طلب هو تبادل أسرى الحرب فوراً ولقد بحثنا ذلك مع الولايات المتحدة وأنه لم يتم توقيع صلح بعد حرب ٧٣م إلا بعد ضمان إطلاق سراح الأسرى وقد كان!

ألا فلتتعلم القيادات!

ب) كيف تم التعامل مع أسرى يهود
وقعوا في أيدي منظمات فلسطينية:

من خلال هذا العرض الذي سأذكره، في استعراض بعض الحالات التي أجريِ فيها تبادل عبر مسيرة الصراع الطويلة سيتبين لنا أهمية الإنسان وموقعه وقيمته لدى الجانب اليهودي وهذه قائمة ببعض حوادث التبادل التي تم إجراؤها.

١- في عام ١٩٦٨ وفي معركة الكرامة كان بحوزة المقاومة ٤ جثث حيث تم تسليمها لإسرائيل عام ٧٤ مقابل ٧٢ في السجون الإسرائيلية.

٢- أطلقت إسرائيل سراح ٧٦ أسيراً فلسطينياً في شهر ٣ سنة ١٩٧٤م مقابل إطلاق سراح جندي إسرائيلي أسرته القيادة العامة أثناء حرب الليطاني في لبنان عام ١٩٧٨ واسمه «أبراهام عمرام» وسميت هذه بعملية النورس.

٣- في شهر ١٩٨٣/١١م قامت الثورة الفلسطينية بتسليم ٦ إسرائيليين في مدينة طرابلس اللبنانية مقابل خروجهم من طرابلس وإطلاق سراح ٥٠٠٠ سجين فلسطيني ولبناني من الخيام في لبنان و١٠٠ سجين في السجون الإسرائيلية.

٤- في عام ١٩٨٣ وقع في أيدي السوريين ٤ رجال مخابرات إسرائيليين دخلوا الحاجز السوري بالخطأ فقامت سوريا باستبدالهم بـ ٣٠٠ جندي وضابط، وعدد من المساجين الإسرائيليين لا يتجاوز عددهم الخمسة.

٥- في ١٩٨٥/٥/٢م أطلقت إسرائيل سراح ١١٥٠ سجيناً فلسطينياً من السجون الإسرائيلية مقابل إطلاق القيادة العامة سراح ٣ جنود إسرائيليين وقعوا في الأسر في حرب اجتياح لبنان عام ١٩٨٢م.

وتلك أمثلة تبين حرص الجانب الإسرائيلي على مفقوديه وأسراه ومدى اهتمامه البالغ بهم.

ج) تعامل اليهود مع أسرى ما زالوا مفقودين:

والمثال الحي الواضح على ذلك هو موضوع الطيار الإسرائيلي «رون أراد» الذي أسقطت طائرته وهو يسقط حقده فوق رؤوس الأطفال والنساء عام ١٩٨٦م. وهذه سلسلة الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الإسرائيلية من أجل إطلاق سراح «أراد» رغم مضي أكثر

من ١١ عاما على فقدانه:

١- تشكيل لجنة خاصة لمتابعة قضيته غير لجنة الأسرى والمفقودين التي لها صلاحيات واسعة.

٢- حملت إسرائيل إيران المسؤولية الكاملة عن مصيره وتوعدت بأن ردها سيكون عنيفاً إن أصابه مكروه، وموِرست على إيران الكثير من الضغوطات الدولية.

٣- أبدت إسرائيل استعدادها لدفع أي ثمن مقابل إطلاق سراحه.

٤- اتخذت عدة إجراءات ضد حزب الله الذي تعتبره مسؤولاً عن اختطافه منها:

أ) اختطاف العديد من رجاله واعتقالهم.

ب) عدم الإفراج عن أسرى حزب الله الذين أنهوا مدة محكوميتهم وتحويلهم إلى الاعتقال الإداري منذ سنوات...

٥- أصبحت قضية «رون آراد» قضية عالمية حيث تدخلت الدول العظمى من أجل أطلاق سراحه، والضغط على كل الأطراف التي يمكن أن يكون لها علاقة بقضيته ودخلت قضيته كل بيت في العالم، ونجح الإعلام الإسرائيلي في تحويل قضيته لتصبح قضية كل يهودي وكل متعاطف مع اليهود في العالم.

هؤلاء هم أعداؤنا... وهذه حالهم... فكيف حال أمتنا؟

الجانب العربي وكيف تعامل مع قضية الأسرى:

في الوقت الذي ردّت عصابات اليهودي بالمثل على قضايا المشانق

والجلد وغيرها وجدنا في تاريخنا الفلسطيني القصة المشهورة لإعدام الأبطال الثلاثة: عطا الزير، ومحمد جمجوم، فؤاد حجازي عام ١٩٣٦م ولم نسمع عمن يختطف ضباطاً بريطانيين ويعاملهم بالمثل لذلك واصل البريطانيون ظلمهم بحق الفلسطينيين وقمعهم، في حين ارتدعوا من اليهود من غير أن نغفل طبعاً أنه، أي الإنجليز، جاؤوا لتثبيت اليهود في فلسطين أصلاً. لكن الاحتلال البريطاني لم يتلق الدرس المناسب الذي يردعه من الجاني الفلسطيني فكان ما كان.

كيف تعامل العرب مع أسراهم

بعد عقد اتفاقيات التسوية مع إسرائيل:؟

١- مصر: قلب الوطن العربي النابض، الدولة العربية المحور و(المركز) كيف تعاملت مصر مع أسراها عند اليهود يعد عقد الصلح!

لمصر بضعة أسرى في السجون الإسرائيلية أشهرهم، محمود سليمان سلام سواركة من سكان العريش وهو الجندي الذي فجر ناقلة جنود إسرائيلية على الحدود وتم إلقاء القبض عليه في ١٩٧٧/٧/٦م وحكم عليه بالسجن مدى الحياة «مؤبد» وصحته متدهورة حيث أجريت له أكثر من ست عمليات جراحية وهو الآن يتجاوز الستين عاماً وقد مضى على توقيع اتفاق السلام مع مصر أكثر من ١٥ عاماً والبطل محمود لا يزال يعاني من السجن وظلم السجان، فماذا فعلت له دولته؟!

ومن يسمع عنه أصلاً؟! إن زوجته وابنته الوحيدة لم تزوراه إلا بعد عشر سنوات من اعتقاله..!! أبناء مصر سمعوا عن

«رون أراد» ويعرفون عنه أكثر مما يعرفون عن ابن بلدهم المجاهد محمود سليمان؟!! فهل يعقل هذا؟!

٢- الأردن: بعد أن لحقت بمصر ووقعت اتفاقية السلام في العربة عام ١٩٩٦ أين كان موقع الأسرى الأردنيين في الاتفاقية؟ لا موقع، ولم يذكرهم أحد وكان لسان الحال يقول لهم: أنتم لستم على البال فابقوا في سجونكم حتى الموت!

«مرفق في قائمة الملاحق أسماء الأبطال»

دول عربية لم تعقد صلحاً مع إسرائيل:-

لبنان: يبدو أن الأنظمة العربية لها نفس التفكير ونفس الثقافة ونفس منهج العمل، ويبدو أن الإنسان لا يشكل أدنى قيمة لديهم! العديد من الأسرى اللبنانيين في الأسر ورغم استمرار الصراع واحتلال إسرائيل للجنوب اللبناني لا نكاد نجد ذكراً لهؤلاء الأبطال وكأنه قد تم شطبهم من قاموس الذاكرة، فيا ويح أمة تعامل أبطالها بهذا الخذلان والنسيان!!

هذا عدا عن أسرى عراقيين وليبيين وسوريين وآخرين!

كيف تعاملت المنظمات الفلسطينية واللبنانية مع قضية الأسرى:

١) منظمة التحرير الفلسطينية:

أ- **قبل أوسلو:** كانت إرادة القتال تقود العمل الفلسطيني الثوري حتى منتصف الثمانينات تقريباً، هذه قائمة بالمحاولات التي جرت فيها عمليات تبادل «عدا التي ذكرناها وعند حديثنا عن

الجانب الإسرائيلي».

١- في عام ١٩٧٠م تم اختطاف جندي إسرائيلي وأجريت صفقة تبادل تمّ خلالها إطلاق سراح أول أسير فلسطيني وهو محمود بكر حجازي ولذلك سمي ذلك اليوم بيوم الأسير الفلسطيني، وكان حجازي قد اعتقل في ١٧/٤/١٩٦٥م.

٢- في شهر ٨/١٩٨٢م أطلقت الثورة سراح طيار إسرائيلي وقع أسيراً في يد المقاومة أثناء هجومها على بيروت في شهر ٦/١٩٨٢م مع أربع جثث كانت بحوزة حركة فتح أثناء حرب الليطاني عام ١٩٧٨م مقابل سماح إسرائيل لقوات المقاومة بالخروج من بيروت وانتشارهم في الدول العربية فقط؟!

٣- في عام ١٩٨٠م اكتشفت الثورة فتاة من عائلة المغني متزوجة من يهودي وتعمل لصالح إسرائيل وعلى إثر ذلك قامت الثورة باستبدالهما بأسيرين فلسطينيين هما مهدي بسيسو «أبو علي» ووليم نصار.

ومما تقدم نجد أن محاولات الثورة على مدار ٢٠ عاماً كانت محاولات ضئيلة للغاية ولا تكاد تذكر! حتى أن عمليتي التبادل الأساسيتين، في ١١/١٩٨٣م التي سلم فيها ٦ جنود، وفي ٢٠/٥/١٩٨٥م التي سلم فيها ٣ جنود.. كانتا صدفة وبدون تخطيط، حيث روى لنا ذلك منفذ العملية نفسه الذي أسر الجنود الثمانية في حرب عملية، وكيف أن الصدفة هي التي قادتهم لأسر الجنود دون تفكير مسبق أو تخطيط! وهذا الأمر يطرح تساؤلاً خطيراً وهو أين موقع قضية تحرير الأسرى من فكر قيادة الثورة آنذاك وبرنامجها المقاوم في حينه!

أسرى المنظمة إلى أين؟

احتلت السجون والمعتقلات مركز الصدارة في التعبئة الثورية والنضالية لقطاعات واسعة من جماهير شعبنا على مدار سني الاحتلال الصهيوني فكانت شبيهة بالجامعات والكليات مختلفة التخصصات السياسية والفكرية والأدبية.

وكان الأسير أحياناً لا يشعر بالوقت ولا بالأيام كيف تمر لكثرة الاهتمامات والواجبات فيدخل السجن ليقضي مدة محكوميته فيتزود فيها بالعلم والمعرفة وتاريخ القضية الفلسطينية، ويتعلم بعض اللغات خاصة العبرية، ويثقف - إجبارياً - ببعض المواد ويترك له مجال الإبداع، فيخرج الأسرى لمجتمعهم أناساً آخرين فصار الكثير منهم من القيادات الجماهيرية والشعبية التي قادت الانتفاضة.

إلا أن الأوضاع الاستقرارية - حسب مفهوم الأسرى - نسبياً بدأت تتغير تدريجياً وتنحو المنحى السلبي منذ اللحظة الأولى لاتفاقية مدريد، تاركة آثارها السلبية التراكمية على الأسرى ونفسياتهم وأفكارهم ومعنوياتهم، معلنة بذلك دخول الحركة الأسيرة عهداً جديداً ومرحلة من أصعب المراحل التي مرت بها في تاريخها على الإطلاق.

حركة فتح والانهيار الحاد:

كان الكم الأكبر من الأسرى من أبناء حركة فتح، بحيث كانت نسبتهم حتى عام ١٩٩٣م تتجاوز ٦٥٪ من الأسرى، وما اختلف هؤلاء الأسرى في طريقة تفكيرهم عن الجنود والمقاتلين

والأسرى في ثورات العالم، فالمعروف أنه بمجرد الاتفاق على وقف إطلاق النار والشروع بالمحادثات السياسية يتم إطلاق سراح الأسرى أو جدوله إطلاق سراحهم أثناء المفاوضات، (وهذه من البدهيات التي تربى عليها الأسرى..) وهكذا كان الأسرى يتلقون الرسائل من القيادات السياسية بقولهم إن خيرة أبناء الشعب الفلسطيني في السجون، وعندما أرسلوا لعرفات يسألونه عن مصيرهم قال لهم: كيف أنسى جنودي وخيرة أبناء شعبي ومقاتلي الثورة... الخ.

ووقعت الخطوط العريضة في مؤتمر مدريد ولم يكن للأسرى فيها أدنى نصيب وتم الكشف عن المحادثات السرية التي كانت تدور في أروقة أوسلو والتوقيع عليها وعدم تعرضها من قريب أو بعيد لقضية الأسرى، واتضح فيما بعد من خلال الرسائل التي تلقاها الأخوة في حركة فتح في سجن جنيد ومن خلال تصريحات عرفات، اتهامه بيرس بتنصله من الوعود التي أعطاه إياها بشأن إطلاق سراح الأسرى، كان بيرس قد قال لعرفات إننا نتفاوض لحل القضية الفلسطينية ومصير الشعب الفلسطيني وما قضية الأسرى إلا تحصيل حاصل.

وبدأت الأوضاع الداخلية لحركة فتح بالانهيار فالقائد انسحب من ميدان المعركة غير مكترث بما سيحصل للجنود من خلفه! وهكذا سقطت القيم الثورية فلم يعد هناك داعٍ لعقد الندوات والجلسات السياسية، فكل المواد الثقافية والحركية والتعبوية لحركة فتح كانت تدعو للعمل المسلح وتصعيده وعدم الاعتراف بالكيان الصهيوني وتجريم المقدم عليه ورميه بالخيانة... الخ، كل ذلك سقط وتهاوى ولم يعد في

الجعبة ما يقال! بدأ الفراغ يحل محل الحيوية والنشاط.

وغاب النظام الإداري - صمام أمان الحياة اليومية - وبدأت تظهر التجمعات والتكتلات والشكليات والتمحورات حول الزعامات داخل التنظيم الفتحاوي، وبات الوضع الداخلي عندهم من أصعب ما يكون، وصار هذا التراجع والانهيار يزداد مع الأيام مع تزايد الإهمال والنسيان.

ولم تخل حركة فتح من رجال مخلصين لشعبهم ووطنهم وحركتهم ممن أدركوا خطورة ما سيجري لو بقيت الأمور على حالها من الترهل، ورغم شعورهم بخذلان قياداتهم لهم فلا مناص من مقاومة الواقع وسلبياته، وروح الأسير المعنوية هي هدف العدو فيجب ألا ينال منها، وحاولت تلك الثلة من الإخوة المناضلين من أمثال: توفيق إبراهيم، وشكري سلمة وجميل المطور.. أن يرفعوا الهمم ويحيوا النفوس ويبثوا الروح الثورية المقاومة فيها.. إلا أن المصيبة عظيمة والحادث جلل، لذلك أصبح الهم الأكبر لدى أسرى فتح كيف يقضون أوقاتهم اليومية ويوزعونها بين المأكل واللعب نهارا، والسهر على أجهزة التلفاز ليلا وحتى الصباح أحياناً إلا من رحم ربك، إن الذي يتحمل هذا الجرم بحق هؤلاء الأبطال قادتهم الذين تخلوا عنهم وباعوهم وتضحياتهم بثمن بخس دارهم معدودة وكانوا فيهم من الزاهدين.

٢) حركة الجهاد الإسلامي والأسرى:-

لتنظيم الجهاد الإسلامي عشرات الأسرى الذين مضى على اعتقالهم أكثر من عشر سنوات ولهم كذلك أكثر من عشرين

من أصحاب المؤبدات، ومع ذلك لم تقم حركة الجهاد الإسلامي بأي محاولة لتحرير أسراها الذين يلاقون يومياً شتى صنوف العذاب.

٣) حزب الله والأسرى:-

رغم وجود هذا التنظيم خارج فلسطين إلا أن طبيعة الصراع مع العدو الصهيوني أفرزت عشرات الأسرى له داخل السجون الإسرائيلية، استطاع زعماء حزب الله ونوابهم في البرلمان اللبناني تحصيل راتب شهري لكل أسير من الحكومة اللبنانية، ولا تخلُ مناسبة أو مؤتمر إلا وتذكر أسماؤهم وبطولاتهم ولكن ذلك غير كاف، فالأسرى يريدون حريتهم العزيزة فهل ذلك على حركاتهم وأمتهم عزيز؟!!

أسرى حماس إلى أين؟!

حديثي الآن عن حركتي التي أحب، ومعها عملت وأعمل، وتحت رايتها قاتلت وأقاتل، ولها ولائي وانتمائي، غير أن هذا لن يمنعني من الموضوعية في الحديث والعرض.

حملت حماس راية المقاومة منذ ١٠ سنوات، غير أن الفعل الحقيقي لحماس بدأ تقريباً بعد سنة ١٩٩٢م غير متناسين قبل ذلك أعمالها البطولية، هذا الفعل الجهادي المقاوم لحركة حماس كلفها - فضلاً عن الشهداء والآلام والجراحات - أسرى ومعتقلين كضريبة طبيعية لهذه الحالة الجهادية، فماذا فعلت حماس من أجل أسراها!

سأعرض هنا بإيجاز شديد بعض محاولات حماس الجهادية على

مدار سني المقاومة الخمس الأخيرة من أجل إطلاق سراح أسراها ووفاء لهم ولجهادهم..

١- خطف «إيلان سعدون» وقتله ودفن جثته عام ١٩٨٩م وقد استطاعت سلطة الحكم الذاتي من خلال الاعتقالات في صفوف حماس العثور على خريطة لموقع جثته فسلمتها لإسرائيل عام ١٩٩٦م مما أدى إلى العثور على هذه الجثة.

٢- عملية اختطاف «ألون كزماني» في غزة بتاريخ ١٩٩٢/٩/١٨م وقد اضطرت المجموعة لقتله والتخلص منه بسبب نقاط التفتيش الكثيرة وعدم تمكنهم من دفنه وإخفاء جثته أو الاحتفاظ به حيا.

٣- عملية الوفاء للشيخ أحمد ياسين باختطاف «نسين توليدانو» من قبل أبطال الوحدة الخاصة في ١٩٩٢/٢/١٥م.

٤- عملية الخضيرة يوم الأرض ١٩٩٣/٣/٣٠م والتي قتلت فيها الوحدة الخاصة شرطيين وكان الهدف منها خطف صهاينة لإطلاق سراح الأسرى.

٥- عملية خطف باص يهودي ومحاولة التوجه به للحدود اللبنانية وطلب مبادلته بالأسرى وقد نفذها الشهيد ماهر أبو سرور عام ١٩٩٣م.

٦- عملية خطف الجندي «شاحر سحاني» عضو الوحدة الخاصة وقد كان ذلك في ١٩٩٤/٤/٢١م ثم الاضطرار لقتله في السيارة لمحاولته المقاومة وقام بتنفيذها المجاهدون: المعتقل أيمن أبو خليل/ المعتقل عصام فضماتي، الشهيد عبد الكريم بدر، وصلاح جاد الله، بعد اقتحام المأوى الذي يحتجزونه فيه في شهر ١٠/١٩٩٤م.

٨- عملية اختطاف الجندي «شارون أوري» وقتله من قبل الخاطفين الذين عرفوا «بخلية صوريف» سنة ١٩٩٦م ودفن جثته وإخفاءها وقد تم العثور على جثته بمساعدة السلطة.

٩- شهداء من أجل الأسرى.

فضلاً عن العديد من المحاولات الأخرى التي تجاوزت الـ ١٥ محاولة قامت بها مجموعات قتالية، فهمّ الأسرى جزء من العقيدة العسكرية لحركة حماس.

لكن وبالرغم من محاولات رائعة لتحرير الأسرى كلفت شهداء وجرحى ومعتقلين... لكنها تبقى دون المستوى المطلوب... فحماس أمل الأمة وعليها أن تكون على الساحة وأرض الواقع كما هي في القلوب.

إن المطلوب أن يكون تحرير الأسرى هدفاً مركزياً -مرحلياً -وحماس تسعى لتحقيقه بكل ما أوتيت من قوة وهي قادرة -بإذن الله -لذلك أدعو إلى عدم تسلية النفس بأننا حاولنا ونحاول...

فهل تخذل حماس هؤلاء الأبطال وهذه الجموع؟!... وكما أغلقت حماس ملف الإبعاد... وأغلقت ملف د. موسى أبو مرزوق... آن لها أن تغلق ملف الاعتقال الطويل «المؤبد» وفاء للأبطال الذين ضحوا بالغالي والنفيس في سبيل مبادئهم ومعتقداتهم وعلى حماس أن تكون عند حسن الظن بها.

أما أبناء حماس (الأسرى) فبفضل الله عز وجل يحوّلون المحنة إلى منحة:

فيقومون الليل ويصومون النهار ويقبلون على كتاب الله حفظاً

ودراسة، لا تزيدهم الأيام إلا صلابة وإيماناً، وما تزيدهم المحنة إلا إيماناً بشرعية حقهم وجهادهم.

وقدسية قضيتهم وعدالتها، يعلمون أنهم يدفعون ضريبة العزة، راضون ببيعهم الذي بايعوا الله عليه، كانوا يتمنون الشهادة ولم يكتبها الله لهم فرضوا بما قسم الله لهم مؤمنين أن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم وأن الله لا يضيع أجر المجاهدين الصابرين المرابطين.

لكنهم في شوق شديد للحرية لا ليتوسدوا الفراش والبيوت أو ليرتاحوا من عناء الجهاد فلا راحة لمؤمن إلا بالجنة، إنه الشوق لساحات الجهاد والمعركة ومواصلة الطريق التي اختطوها... لئن بكوا، فإنما يبكيهم الذي أبكى أبا محجن في حبسه: أن تروى الخيل في القنا ولا يزال وثاقه مشدودا عليه....

فمتى يعود الأسد إلى عرينه؟!

نظرة الإسلام للإنسان:

الإنسان هو الخليفة في الأرض، وهو أشرف مخلوقات الله «عز وجل» وله سخر ما في السموات والأرض.

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق» (حسن صحيح) وفي رواية: «ولو أهل سماواته وأهل أرضه اشتركوا في دم مؤمن لأدخلهم الله النار».

وفي لفظ مسلم: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم».

ويروي ابن ماجة عن عبد الله بن عمر قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول: ما أطيبك وما أطيب ريحك، وما أعظمك وما أعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك ماله ودمه.

لذلك جاء الإسلام وجفف منابع الرق حتى أنهاها، لأن الرق ينقص من كرامة الإنسان وقيمته.

أنشأ الإسلام مجتمعاً إنسانياً راقياً يحرص المرء فيه على جاره وأخيه أكثر من حرصه على نفسه وفي كثير من النصوص القرآنية والنبوية وجدنا التوجيهات التي ترفع من قيمة الإنسان وتوصي بالتلاحم والتعاضد بين المسلمين فضلاً عن القيم العليا التي شرعها الإسلام في التعامل مع غير المسلمين وعند الحروب.

وإن من تمام حرمة المسلم عند الله حرمته: مالاً ودماً وكرامة وعرضاً، على إخوانه المسلمين فهم متكافلون جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، صف مرصوص، لا يكتمل إيمان أحدهم ما دام يبيت وجاره جائع.. وهكذا في عشرات التعاليم والتوجيهات التي تعلي قيمة الإنسان وترفع شأنه.

وإذا وقع مسلم في الأسر ينتقل الجهاد من فرضية الكفاية ليصبح فرض عين على كل مسلم ما لم يعملوا على تحريره ولو طلب الأعداء فداء للأسير فعلى المسلمين فداؤه حتى لو أتى ذلك على جميع أموال الأمة.

ولما وقع العباس رضي الله عنه وأرضاه في الأسر ليلة واحدة قلق النبي صلى الله عليه وسلم وقال لأصحابه: كيف أنام

والعباس في الأسر يئن؟! والفاروق ابن الخطاب رضي الله عنه يقول: لأن يطلق سراح أسير مسلم خير لي من جزيرة العرب... وهو الذي قال لعبد الله بن حذافة السهمي -في القصة المشهورة -حق على كل مسلم أن يقبل رأسك، وقد أطلق سراح المسلمين بعد وقوعهم في الأسر، وقد استنفر الخليفة المعتصم الأمة كلها للجهاد وجهز جيشاً أوله عند العدو وآخره عند المسلمين بسبب صرخة أسيرة مسلمة نادت: وا معتصماه فأين نحن اليوم من هذه القيم؟!

من أجل ذلك ومن أجل هذه القيم كان الدور المنوط بحماس كبيراً والواجب عليها عظيماً والمسؤولية الملقاة على عاتقها جسيمة.

فإما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيظ العدا.



الفصل السادس

يحيى عياش...
بداية الحكاية التي لا تنتهي

- بصمات المهندس.
- قالوا في المهندس.
- صفحات مجهولة في حياة المهندس.
- إخوان المهندس وتلاميذه يتحدثون عنه.



يحيى عياش

من كان فوق محل الشمس موضعه   فليس يرفعه شيء ولا يضع

- لأنك الحكاية التي لا تنتهي...

لأنها حكاية الجهاد الماضي إلى يوم القيامة....

- «لأنك الرواية التي لا خاتمة لها..»
- «لأنك أروع الأبطال الذين قلما يجود الزمان بمثلهم»
- «لأنك أجمل الشهداء، والمتربع على أجمل مساحات الروح..»
- لأنك اخترت الحياة في ثوب الموت الدامي... وأبيت الموت في ثوب الحياة.
- لأنك صانع الشهداء وقائد الاستشهاديين في زمن التشبث بالدنيا وزخرفها.
- لأنك فارس فلسطين الأروع بلا منازع...
- لأنك الفتى الذي طارد جيشاً بأكمله، حتى في الأحلام..
- لأنك أسطورة المقاومة، والرقم الصعب في زمن الأصفار..
- «لأنك المهندس الذي هندس أرواحنا على عشق المقاومة، والتمرد على زمان الضعف والهزيمة».
- ولأن دمك أيها الكبير لا خاتمة له.
- ولأنك يحيى الكتائب.. يحيى القسام.. ويحيى المهندس.. ولأنك يحيى عياش.

يحق لك يا يحيى أن تكون سيد هذا الكتاب.

وسيد عيون الأرض بثائرها، لتبدو جميلة ككل الصبايا الباحثات عن شمس أيامهن القادمة، تضمه إلى صدرها المثقل بالحزن والدم!

عياش حي في القلوب وكلنا يحيى.. وكل الشعب من رافات

حي أنت يا يحيى في قلوبنا! حي أنت!

تعيش في صمت دمائنا الفاضية يا عياش! لن يطاردوك بعد اليوم، فمسكنك القلوب الغاضبة. لن تعرف الموت، لن تختبئ، ولن تستر خطواتك بالحذر.... لن يصلوا إليك، يجبن سلاحهم، ولن تجد أحداً من قومك يبيعك على قارعة الطريق...

بكاك كل الشرفاء، وارتعشت عيونهم بالدمع الساخن، وانكسر بريقها ليحتضر فيها النهار.... كم مرة زرعت الفرح في عيوننا حين رسمت الطريق لشهيد صار جسده رصاصاً يخترق أجساد الواقفين بسلاحهم على رؤوسنا...

حي أنت يا يحيى وقريب.... نكاد نشعر بنبضك يروي قلوبنا بدم الثورة تسير نحو القدس بكل وهجها، وكل غضبها....

لا هروب عن الموت حين يعرف طريقه للمرء، لكنه يصبح حين ينتزع رجلا مثلك بوابة الخلود في تاريخنا الحائر.

ترى! هل تخيلت أمك وهي تستقبلك بعدد من النسوة المنتظرات صراخ قدومك طفلا ضعيفاً لهذه الحياة.... هل تخيلت وهي ترضعك وحيدة في عتمة ليل مزق الاحتلال سكونه... هل تخيلت أن تودعك كل هذه القلوب وأن تهتز الأرض بغضبهم لرحيلك حين يودعون

ما تبقى من جسدك الساكن بمواصلة المسير؟!

وحدك فارس تلك الخطوات يا يحيى...

«ووحدك تبتسم حين تُفسد الدموع أعين الرجال!!»

وتتعب من خلفك برحيلك يا يحيى... تتعب تلاميذك وإخوانك الذين عاهدوك على المضي على نفس الدرب... تتعبهم لأنك سبقت وسبقت وسبقت... قتلت وفزت وفزت... وأنى لنا أن نصل علياءك!

لكننا يا يحيى ماضون على الدرب، وإن كنا لن ننال منزلتك أو سبقك فلا أقل من أن نلحق ونتبع على الدرب غير ناكثين ولا مبدلين.. وهذا عهد حتى نلتقي في مقعد صدق عند مليك مقتدر... اللهم آمين.

يموت الخانعون وأنت حي وتخلد أيها الرجل الأبي

بصمات المهندس: -

رجل بأمّة أو أمّـة برجل... كذلك كان المهندس... فعل بإسرائيل جيشاً وشعباً وحكومة.. عبر سنوات المطاردة الأربع ما تفعله الجيوش في الحرب، أو التنظيمات عبر أكثر من عشرين عاماً من الصراع.

إنها مدرسة القرآن... مدرسة الجهاد التي تربى فيها وتخرج منها يحيى... ولفلسطين وهي تزهو بابنها المهندس أن تجعل من ملف بطولته وجهاده عقداً مرصعاً باللؤلؤ الجهادي يزين جيدها المكلوم... ولملف بطولته أن يكون للمعلقات والقصائد والملاحم على صدر المسجد الأقصى الذي أحبه يحيى، والقدس التي عشق ترابها المبارك بخطى الأنبياء والمرسلين يحيى عياش المهندس.... والتاريخ يا

يحيى في أنصع صفحاته وأروعها يسجل بماء النور والبطولة والإباء تاريخك الجهادي الرائع..... وهذا ملحق مختصر جداً.. بالعناوين فحسب، بصمات المهندس الجهادية على أرض فلسطين: -

١- عملية رمات أفعال: سيارة مفخخة ٥٠ كغم من أربع اسطوانات غاز بتاريخ ١٩٩٢/١١/٢١م النتيجة: خسائر مادية جسيمة بعد تفجير السيارة التي اكتشفت قبل الوصول لهدفها بدقائق.

٢- عملية الوفاء للمبعدين في مسيرة الأكفان: سيارة مفخخة ١٢٠ كغم في أربع اسطوانات غاز كبيرة، بتاريخ ١٩٩٣/٤/١٦م النتيجة: تفجير السيارة والإعلان عن مقتل اثنين وإصابة ٨ صهاينة.

٣- عملية الشهداء الستة: عبوات ناسفة في أحد مطاعم الوسط التجاري بالطابق الأول من مجمع «لندن ميني ستور» المؤلف من ١٢ طابقاً سكنياً وتجارياً وسط مدينة تل أبيب بتاريخ ١٩٩٣/٥/١٦م وانفجارها الساعة السادسة والربع صباحاً، النتيجة: اعتراف إسرائيل بمقتل إسرائيلي وإصابة خمسة وثلاثين بجروح وحروق... وقد كانت العملية رداً على اغتيال ستة مجاهدين من الكتائب أثناء اجتيازهم الحدود المصرية.

نجم هوى مثل الشهاب وما اختفى   حتى أذاق الكفر مراً علقما

٤- عملية أسد المقاومة: زرع عبوة ناسفة وانفجارها صباح يوم السبت ١٩٩٣/٦/٥م على طريق جانبي يؤدي إلى «موشاف شيكف» داخل فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م وكان الانفجار عند مرور

دورية عسكرية فجرح جنديان فيها وتم تمشيط المنطقة والعثور على عبوة أخرى انفجرت بخبير المتفجرات الذي كان يحاول تفكيكها وأدت إلى مقتله بعد ثلاثة أيام من أصابته في مستشفى هداسا.

٥- **عملية رما تراحيل:** انفجار عبوة في مستوطنة رما تراحيل بتاريخ ١٩٩٣/١٠/١م ومقتل مستوطن وإصابة ٤ آخرين.

٦- **عملية بيت إيل:** سيارة مفخخة قادها الاستشهادي الشيخ سليمان غيظان وفجرها قرب باص للجنود الإسرائيليين عند معسكر بيت إيل «مركز قيادة الضفة الغربية» بتاريخ ١٩٩٣/١٠/٢٥م، النتيجة: أعلنت قوات الاحتلال عن مقتل ثلاثة من الجنود وإصابة ٢٨ آخرين بجراح.

٧- **عملية العفولة:** سيارة مفخخة قادها الاستشهادي رائد زكارنة وفجرها في مدينة العفولة في محطة الباصات المركزية بتاريخ ١٩٩٤/٤/٦م كرد أول على مجزرة الحرم الإبراهيمي في الخليل، النتيجة: مقتل ثمانية صهاينة وإصابة أكثر من خمسين آخرين.

٨- **عملية الخضيرة:** حزام ناسف كان على وسط عمار عمارنة فجر نفسه في باص إسرائيلي في مدينة الخضيرة بتاريخ ١٩٩٤/٤/١٣م، النتيجة: مقتل خمسة صهاينة وإصابة ٣٢ بجراح وهي الرد الثاني على مجزرة الحرم الإبراهيمي في الخليل.



٩- **عملية ديزنكوف:** عبوة مفخخة فجرها الاستشهادي صالح نزال في مركز ديزنكوف في تل أبيب داخل باص

إسرائيلي كرد ثالث على مجزرة الحرم الإبراهيمي وانتقاما للشهداء الأبطال خاطفي «نخشون فاكسمان» بتاريخ ١٩٩٤/١٠/١٩م النتيجة: مقتل ٢٢ صهيونيا وإصابة ٤٧ آخرين.

١٠- عملية سلاح الطيران: حقيبة مفخخة قام المجاهد أيمن راضي بتفجيرها على باب باص إسرائيلي يقل جنوداً تابعين لسلاح الطيران الإسرائيلي في قلب مدينة القدس ١٩٩٤/١١/٢٥م، النتيجة: أعلنت إسرائيل عن إصابة ١٣ صهيونياً جراح اثنين منهم خطيرة.

ستظل عاصفة تهب عاتية منها المنايا السود والنيران

١١- عملية شهداء حي الشيخ رضوان: رداً على استشهاد كمال اكحيل وإخوانه، جهز المهندس سيارتين مفخختين بتاريخ ١٩٩٥/٤/٩م فجر الأولى المجاهد خالد الخطيب في حافلة كانت تقل جنوداً صهاينة الساعة ١٢ ظهراً، النتيجة: مقتل ٧ جنود وإصابة ٣٢ آخرين والسيارة الثانية فجرها المجاهد عماد أبو أمونة بين مجموعة من السيارات العسكرية كانت تسير باتجاه مفترق نتساريم، النتيجة مقتل جندي وإصابة عشرة آخرين.

١٢- عملية غوش قطيف: فجر المجاهد معاوية روكة نفسه بعبوة مفخخة قرب دورية عسكرية بتاريخ ١٩٩٥/٨/٢١، النتيجة: مقتل اثنين وإصابة ثالث بجراح.

١٣- عملية نتساريم: بتاريخ ١٩٩٤/١١/١١م وعملية بيت ليد بتاريخ ١٩٩٥/١/٢١م وهما لحركة الجهاد الإسلامي ونسبت مصادر الصهاينة للمهندس أنه هو الذي قام بتصنيع

العبوات فيها وكانت النتيجة: ٢٤ قتيلاً و٨٠ جريحاً.

١٤- عملية رامات غان: بتاريخ ١٩٩٥/٧/٢٥م وعملية رامات أشكول بتاريخ ١٩٩٥/٨/٢١م اللتان نفذهما تلميذ المهندس النجيب عبد الناصر عيسى وكانت نتيجتهما مقتل ١١ وإصابة ١٣٨ جريحاً.

هذه هي بصمات المهندس،: مئات القتلى والجرحى في صفوف العدو ليتحقق - جليا - قول الحق تبارك وتعالى:

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال١٧)

مئات القتلى والجرحى... وهو الرقم الذي لم تخسره إسرائيل طوال مسيرتها منذ قيام (دولتها)!!

يرحمك الله يا أبا البراء.... ورضي عنك... ورفع درجاتك وجمعنا معك في جنات النعيم.

قالوا في المهندس

❖ إن المتحف الوطني للكفاح الفلسطيني ما زال يحتفظ بمكان محترم لأبطال حماس الشهداء، يحيى عياش هو البطل الحقيقي الأخير في قائمة الشخصيات التي تبدأ من الشيخ عز الدين القسام الذي اغتالته بريطانيا في سنوات الـ ٣٠ وشخصيات تعتبر نموذجاً لمقاتلي حماس اليوم.

يوسي نور بتشتاين - كاتب صحفي صهيوني.

❖ **منذ بداية الصراع بيننا وبين الفلسطينيين لم يظهر أي شخص أيديه ملطخة بالدماء اليهودية مثل يحيى عياش.**

إيهود يعاري – محلل سياسي في التلفزيون العبري.

ونختم هذه الأقوال بالقصيدة الرائعة التي نظمها الدكتور الدكتور الشهيد عبد العزيز الرنتيسي من وراء القضبان في الشهيد القائد: يحيى عياش.

عياش حيٌّ لا تقل عياش مات أوَهل يجف النيل أو نبع الفرات

عياش يحيا في القلوب مجدداً فيها دماء الثأر تعصف بالطغاة

عياش شمس... والشموس قليلة شروقها تهدي الحياة إلى الحياة

عياش ملحمة ستذكر نظمها أجيال أمتنا كأغلى الذكريات

عياش مدرسة تشع حضارة عياش جامعة البطولة والثبات

يا سعد أم أرضعت لبانها فغدت بيحيى شامة في الأمهات

يا فخر قريتك التي قد أنجبت فباتت غرة الدنيا رافات

اليوم يا يحيى ستنهض أمة وتثور تنفض عن كواهلها السبات

وتعيد ماضينا ويهتف جندنا النصر للإسلام بالقسام آت

فتصيح من دفء اللقاء ديارنا عاد المهاجر من دياجير الشتات

عبّدت دربا للشهادة واسعا ورسمت من أي الكتاب له السمات

فغدت أجساد الرجال قنابلاً دوى بيان: من هنا عياش فات

وارتد بأسهم شديداً بينهم وتفرقوا بين الحمائم والغلاة

هذي الألوف أبا البراء تعاهدت ألا نجونا إن نجت عصب الجناة

وتألفت منها القلوب فكلها بيحيى.. فويل للصهاينة الغزاة
يا ذا المسجى في التراب رفاته من لي بمثلك صانعاً للمعجزات
أنعم بقبر قد تعطر جوفه إذ ضم في أحشائه ذاك الرفات
آن الأوان أبا البراء لراحة في صحبة المختار والعز الدعاة
أبشر فإن جهادنا متواصل إن غاب مقدام ستخلفه مئات
وغرست أجساد الرجال قنابلا وكتبت من دمك الرقيق لنا عظات

الدكتور الشهيد عبد العزيز الرنتيسي

صفحات مجهولة في حياة المهندس

كثيرة جداً هي الصفحات المجهولة التي لا يعرفها الناس ولا وسائل الإعلام في حياة المهندس، فلقد صنع تاريخه وتاريخ الجهاد وهو مطارد متخف يصاحب الليل والنجوم حتى كأن بينها وبينه وداً عجيباً، ولقد كان – رحمه الله – أكثر الناس هروباً وبعداً عن المظاهر والظهور، وحق على كل إخوان المهندس ومساعديه أن يتحدثوا عنه ويكتبوا عن حياته المجهولة إذ أن كلا منهم عاش موقفاً أو صفحة من هذه الصفحات المجهولة ومن الأمانة أن تجمع هذه الصفحات لترى النور لتنظر الأجيال عن قرب لقائد من قادة الجهاد الأفذاذ!

ولقد قدر لي أن أعيش مع المهندس قبل مطاردته، وسمعت من بعض مساعديه وإخوانه بعد مطاردته وأثناء اعتقالي، وفي هذه الأسطر القادمة سأسجل ما سمعت وما عشت، عساني

بذلك أنشر صفحة مجهولة من حياة هذا المجاهد العظيم الذي أكرمه ربه في الدنيا قبل الآخرة وما عند الله خيراً وأبقى.

- في بداية عملي مع المهندس كان، يرحمه الله، يصنع المادة المتفجرة في منزله، فحدث خلل بسيط أثناء التصنيع أدى إلى ثوران غازات شبه سامة داخل المنزل وكانت امرأته «حاملا» وقتها فأجهضت..!! ورغم ألم المهندس بفقد مولوده الأول إلا أن فرحه فيما بعد بنجاح تصنيع المتفجرات غطى كل حزن، وقد قال لي بعدها: «اسمع يا زاهر: اعلم أخي أن لكل شيء ثمناً، وأن السلعة التي نطلبها غالية ويجب أن يكون لدينا الاستعداد التام لأن ندفع فلذات أكبادنا في سبيل السلعة التي نطلب... لست حزينا أو نادما على فقد الجنين، فلقد وطنت نفسي أن أقدم روحي وأهلي وأبنائي جميعا في سبيل الله، وأعلم يا أخي أننا لن ننتصر بأقل من ذلك.

يرحمه الله... صدق الله فصدقه... ربح البيع يا يحيى.

- لم يقتصر عمل يحيى في البداية على صنع المتفجرات بل كان من المجاهدين الناشطين يشارك في معظم النشاطات والمهام، وفي إحدى المرات ذهب لمدينة الخليل لإحضار سلاح لنا مع المجاهد «نديم دوابشة» الذي كان مطارداً يحمل هوية مزورة (لم يكن يحيى مطارداً بعد) وأثناء مرورهم بالقدس أوقفتهم سيارة حرس حدود عسكرية وأخذوا الهويات لفحصها وبدأوا بتفتيش السيارة فسألوهم عن تصاريح لدخول القدس «ولم يكن بحوزتهم» فقال يحيى:

نحن ذاهبون لبيت لحم ولا يوجد معنا تصاريح، ذهب الضابط وأجرى اتصالاته وعاد بعد نصف ساعة ليقول لهما ستعتقلان شهراً لأنكما لا تحملان تصاريح لدخول القدس، وقد حاول نديم إقناع الضابط لكن دون جدوى، وفجأة مرت سيارة عربية مسرعة عند الحاجز فتركتهم الدورية العسكرية بعد أن أعطتهم هوياتهم ليلحقوا السيارة المسرعة وسلم الله يحيى ونديم من الاعتقال،ليكملا المشوار.

- كان يحيى قبل استشهاد أخويه علي عاصي وبشار العامودي عندهما في نابلس وقد خرج قبل أن يحاصر المنزل الذي يتواجدون فيه قبل أقل من خمس دقائق!! ولما حاصر مئات الجنود المنزل كان يحيى بين الأشجار في الليل المظلم يسير وهو يلتفت للخلف يرى كيف تحاصر قوات الاحتلال المنزل ثم تطلق الصواريخ وتفجره. كان يسير وعيناه تذرفان الدموع حزنا على فراق أخويه شهيدين دون أن يستطيع تقديم المساعدة لهما وظل يحيى يمشي ويمشي بين الأشجار، وظل يمشي ثلاثة أيام بلياليها حتى وصل إلى إحدى القرى الآمنة في منطقة سلفيت وذهب إلى بيت أحد إخوانه الذين يعرفونه عند الساعة الواحدة ليلاً فأواه وأطعمه، وقص يحيى عليه ما حدث وكانت المسافة التي قطعها يحيى أكثر من ٢٥ كم.

- بعد الحادث بفترة قرر يحيى الانتقام لاستشهاد أخويه، فبدأ بتصنيع المادة المتفجرة، وبعد الانتهاء منها وضعها تحت السرير الذي كان قد أعد لينام عليه في أحد المنازل، وقبل صلاة الفجر خرج يحيى من المنزل لأمر ما، وبعد دقائق معدودة من خروجه انفجرت العبوة وأحدثت أضراراً جسيمة بالمنزل حتى أن جزءاً من

الجدار قد هدم، وسلم الله يحيى ونجاه من أي أذى.

- بمقدار ما كان يحيى شديداً على أعداء الله اليهود، كان رقيقاً جداً لينا سمحا في جانب إخوانه وكان يعشق إخوانه المجاهدين والمطاردين عشقا لا يوصف ولقد كان بين الحين والحين يذهب لقبر أخويه علي وعدنان في قراوة ويجلس هناك ويجهش بالبكاء، لأنهما تركاه وحده وسبقاه إلى جنات النعيم، فيجدد العزم على المواصلة والثأر.

- كان يحيى - رحمه الله - شديد الحذر في تحركاته يعتمد على أمنه الشخصي مهما كانت درجة ثقته بمن حوله، فكان لا يأكل من طعام ما في أي منزل إلا آخر شخص بعد أن يأكل الجميع أمامه وكان لا يخبر أحداً أيا كان - حتى أقرب المقربين إليه شيئاً - عن وجهته القادمة أو حتى كم سيمكث في المكان الذي هو فيه، كان شديد الذكاء حتى إذا دخل قرية أو بلداً أو حيّاً يحفظ كل مداخله ومخارجه عن ظهر قلب لأول مرة ولو في منتصف الليل حين كانت تضيق به السبل، كان يتحرك في دائرة ضيقة جداً من النقاط التي يعرفها معرفة جيدة وإذا ما تعامل مع شخص لا يعرفه فإنه لا يثق به مطلقاً. ومن غريب القصص ما أعترف به أحد كبار العملاء من منطقة طولكرم حيث تم إخضاعه في أحد السجون فقال: كنت حديث عهد بارتباطي ولم يكن شباب حماس في القرية يشكّون فيّ حيث كنت نشيطاً جداً، كنت أشك أن أحد نشطاء القرية على علاقة مع مطاردين، وذات مرة وصلت سيارة غريبة فشككت أن من فيها أحد من المطاردين فذهبت إليه وعرضت عليه المساعدة فأخبرني أن عنده ضيوفاً يريد أن يجهز لهم مكاناً آمناً للمبيت فتيقنت

أنهم مطاردون فاستعددت لذلك، وأخذتهم إلى غرفة تحت مسجد القرية، ودخلنا هناك وجلست معهم قليلاً وقد علمت أن يحيى معهم وقد كان ينظر إلي نظرات غريبة وكنت أتجنب النظر إلى وجهه، ولما أردت الاستئذان (أنوي الذهاب لإبلاغ المخابرات) قال يحيى: هذا المكان غير ملائم ونريد تغييره فاضطررت للبقاء لمعرفة المكان الذي سيذهبون إليه واقترح زميلي مغارة حول القرية وطلب مني أن أبيت مع المطاردين تلك الليلة لأمر مهم فاستعددت لذلك وقلت في نفسي سأباغتهم أثناء النوم وأتركهم وأبلغ عنهم وكان الوقت بعد العشاء، فذهبنا لتلك المغارة وكنت أطلب منهم أن يناموا لأقوم على حراستهم وكان يحيى لا يرد علي إلا بالنظرات الغريبة! ثم تظاهرت بالنوم لأجعلهم يطمئنوا ويناموا فنام الجميع إلا يحيى فغلبني النوم ونمت وكنت كلما أفقت وجدته مستيقظاً فقلت في نفسي: إنه هو الذي يحرسني ولست أنا!! إذن لأترك الأمر حتى الفجر وبعدها أبلغ عنهم، ولما أفقت بعد الفجر وجدتهم قد رحلوا ولا أدري إلى أين؟!! وبعدها أبلغت المخابرات بما حدث فعاقبوني عقاباً شديداً لأن يحيى أفلت مني! واعتقلوا ذلك النشيط من قريتنا وحققوا معه لمساعدته المطاردين فلم يعترف وأفرجوا عنه ووضعوه تحت المراقبة لكن يحيى لم يعد بعدها!

- حدثني أحد مساعدي يحيى: أن يحيى اضطر للذهاب إلى إحدى القرى البعيدة سيراً على الأقدام (كان لا يتحرك بالسيارة إلا نادراً جداً) عندما حوصرت المنطقة التي يتواجد فيها، وكان الجو ماطراً والوقت ليلاً في فصل الشتاء، وصل يحيى منزل

ذلك الرجل بعد أن قطع ٤٨ ساعة سيراً على الأقدام دون أكل أو شرب في المطر والبرد، ودق الباب عليه، وفتح له الرجل الباب لكنه طلب منه أن ينتظر قليلاً عند الباب - رغم أنه رآه متعباً منهك القوى - وذهب الرجل ليستشير زوجته التي أخذت بالصراخ فسمع يحيى وهو على الباب صراخها، ثم عاد إليه الرجل معتذراً عن عدم قدرته على مساعدته، فدمعت عينا يحيى ومضى!! دون أن يتناول كسرة خبز أو شربة ماء!! وقال لي ذلك المجاهد: إن يحيى رفض أن يخبره عن اسم الرجل أو اسم القرية لكنه قال له: لقد ذكرت لك هذه القصة لتعرف يا أخي أن طريق الجهاد صعبة، وأنها ذات الشوكة حقاً، وعليك أن تتوقع أن يتخلى عنك أعز الناس وأقربهم في أصعب الأوقات، واجعل ثقتك بالله فحسب واعلم أنه لن ينساك ولن يخذلك، وهذه هي طريق الجهاد، وقد سلكتها وأنا أعرف تماماً تبعاتها، ورغم أنني اضطررت للمشي ٢٤ ساعة إضافية في المطر والبرد حتى وصلت قرية أخرى إلا أنني لست نادماً ولست غاضباً على ذلك الأخ، وإني وإن كنت لا أعذره فإني مسامحه.

هذه طريقتي التي وطنت نفسي عليها، وقد حسمت أمري، وغداً في الجنة يا أخي ستنسى كل تعب.

لله أنت ما أعظمك يا يحيى... وهنيئاً لك جوار ربك...

إن الذين رضوا بالحياة الدنيا من الآخرة، وقنعوا بالدون، واثّاقلوا إلى الأرض فهم وما اختاروا... وقد اخترت يا يحيى ذروة سنام الإسلام وأنت تعلم جيداً أنه لم يصلها كثيرون.

يرحمك الله رحمة واسعة... كنت مدرسة في الجهاد

ومدرسة في العطاء ومدرسة في البذل والتضحية ومدرسة في الإخلاص.

أكرمك الله ورفع درجاتك في عليين.

إخوان المهندس وتلاميذه يتحدثون عنه

❖ زاهر جبرين مؤلف هذا الكتاب من أبناء الكتلة الإسلامية في جامعة النجاح الوطنية من نظّم يحيى إلى صفوف الكتائب يتحدث عن يحيى:-

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ (الأحزاب٢٣).

عندما يجيء القلم يخط بمداده الجاف عن الرجال الذين مضوا إلى الفردوس الأعلى حيث الأنبياء والصديقون، فعليه ألا يتجرأ كثيراً لأنه سيظل صغيراً أمام عظمتهم...

لقد دخل يحيى كل قلب وتربع فوق النجوم، وطلّق الدنيا ثلاثا، وعشق الجهاد والشهادة، عرفت يحيى قبل مطاردته وكان من البذل والإخلاص، وقد تبرع في بداية العمل بعشرة آلاف دينار من ماله الخاص في سبيل الجهاد.

عرفته ضعيف الجسد والبنية لكنه كان يحمل في قلبه عزيمة أمة واندفاعة شعب وإصرار جيل بأكمله على الجهاد والمواصلة والمقاومة... كان قليل الكلام لدرجة أنك تتمنى أن تسمع صوته!! لكن صمته كان فكراً وذكاء وتخطيطاً. فلقد كان رحمه الله شديد الذكاء لدرجة العبقرية والإبداع.

عرفت يحيى ذلك المؤمن بقضاء الله وقدره الذي كان يتقبل أصعب المواقف بتسليم كامل وتام لله عز وجل، ثم إني عرفته شديد الحب لإخوانه، ولقد كان يبكي بكاءً مراً شديداً عندما يسقط الشهداء ويقول: يا رب من يأخذ الثأر لهم؟! من لدمهم يا رب؟!

حسبك يا يحيى أنك ظللت تطارد أعداء الله اليهود حتى بعد الشهادة وإني أعلم أنك كنت تنوي العودة للضفة قبل استشهادك لمواصلة الجهاد فأراد الله عز وجل أن يختارك ويصطفيك شهيداً في عليين، ويريحك من عناء الدنيا يرحمك الله رحمة واسعة ونسأل الله أن يجمعنا في جنات النعيم.... اللهم آمين.

أخوك وتلميذك - زاهر جبرين

❖ **عبد الناصر عيسى** (أمير الكتلة الإسلامية في جامعة النجاح) يتحدث عن يحيى:-

إن حادت الألباب كيف تقول   في ذا المقام فعذرها مقبول

الحديث عن يحيى ليس كأي حديث، ذلك أنه حديث الجهاد المجسم في رجل، والشهادة المجسدة في مجاهد.

سمعت عن يحيى كثيراً، وكنت في شوق شديد للقياه، لكني كنت أعلم أني بلقائي إياه سأصعد ذروة سنام الإسلام بغير ما عودة إلى الدنيا بكل ما فيها من متاع أو زينة! كنت أؤمن تماماً أن لقائي بيحيى يعني أن رجلي في طريق أول خطواتها إلى الموت، لذلك فقد قابلته حين قابلته في غزة وأنا أعرف ما أريد تماماً.

التقيت الكثير وعملت مع كثيرين بحكم موقعي في العمل الإسلامي الجامعي وغيرها، لكني ما رأيت الإخلاص يتمثل في رجل كما رأيته في يحيى كان شديد التواضع، أبعد ما يكون عن حب للظهور،كان بكليته لله، يتكلم برقة وبطء لكنك تلمس في كل حرف، بل مجرد نبرة صوته، حرقة عجيبة - ما رأيتها في أحد - عن الجهاد والشهادة كان مستعداً أن يعمل مع أي إنسان من أجل الجهاد، ويخدم أي إنسان حتى ولو كان أقل منه قدراً ومكانة من أجل الجهاد، وكان يجعل كل خبرته وذكائه وإمكاناته في خدمة أي مجاهد، ما التفت يوماً إلى من يقود؟! ومن يعطيني الأمر؟! ومن يوجه الأمور؟! ولمن ترجع الأمور؟!... كانت كلها أموراً لا تخطر له على بال؟! كان يريد الجهاد ومرضاة الله فحسب... لذلك... لإخلاصك الذي لا يوصف.. أكرمك الله يوم الشهادة أي إكرام، فخرج الناس عن بكرة أبيهم في وداعك... فاصطفيناك عندنا وجعلناك تعني كل الناس!! رفعت راية الجهاد في سبيلنا فرفعنا مقامك وقدرك...

الذي يبدو لي أن يحيى جسد الظاهرة القتالية الفريد، التي يعتبرها شعبنا وبكل فئاته - المثل والنموذج الأعلى، فخرج الناس كل الناس في وداعه وبكى شعبنا العزة والصمود والتحدي والتمرد والرجولة والبطولة، إذا بكوا يحيى يوم استشهد، بكوا الظاهرة القتالية الجهادية الفذة التي مثلها يحيى، حين بكوا المهندس! بكوا الحلم الجميل، والوعد الجميل والأمل الجميل، والصبح الجميل، بكوا كل معاني الرجولة الجمالية التي تسكن الوجود!

وفي هذا أبلغ رد على كل الذين يقولون إن شعبنا ضد خيار

المقاومة ويرفضه! لم يخرج الناس إلى الشوارع في وداعه -كما لم تشهد فلسطين من قبل - رشوات ودعوات أو إغراءات أو تهديدات... إنما أخرجهم -عفوا - حب يحيى الجهاد، يحيى الأمل، يحيى الثأر، يحيى الثورة، يحيى الانتصار، يحيى القتال، يحيى عياش المهندس..

فشعبنا رغم كل معادلة التركيع والتطويع، ينبض قلبه بدقات الجهاد، وتتدفق شرايينه بأغاني المعركة وأناشيد الحرية.

عليك سلام الله ورحماته وبركاته يا يحيى.

وإلى لقاء قريب بإذن الله حيث ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر... اللهم آمين.

أخوك وتلميذك - عبد الناصر عيسى.

❖ **حسن سلامة يتحدث عن يحيى**

يحيى مدرسة الجهاد والإخلاص، أحببته كما لم أحب أحداً من قبل، مثلما بكيته، عندما استشهد، كما لم أبك أحداً من قبل!

تعلمت منه الكثير الكثير - ماديا ومعنويا - فرغم أني تدربت في الخارج فقد وجدت عند يحيى ما لم أتعلمه خبرة وكفاءة ولمسات فنية رائعة.

رأيت فيه المجاهد المثل والقدوة وكنت أرى فيه نماذج الصحابة الذين نقرأ عنهم في الكتب إخلاصاً وبذلاً وتفانيا واستبسالا وفدائية.. إن تكلم فعن الجهاد، وإن صمت ففكره مع الجهاد، حتى مزاحه الخفيف وابتساماته القليلة كنت أشعر فيها روح الجهاد. كنت أمضي الوقت معه دون أن أشعر بدقائقه وساعاته، فقد كان يجعلك

تعيش في رحاب الآخرة خارج حدود الدنيا حين كان يتحدث عن الجهاد والمقاومة والتحقيق.

استشهد، وذهبنا لإحضاره (من حي) استشهد ونحن ولا نكاد نصدق الخبر، وأحضرناه وجلسنا حوله نبكي الثكالى، وكأننا لم نبك عزيزا من قبل ولم نبك شهيداً من قبل ولقد كنت أوصي كل استشهادي جهزته في عرس الثأر له أن يسلم لي عليه.

هناك مئات المهندسين، وهناك عشرات خبراء المتفجرات... لكن لدينا يحيى واحداً!! إنها مدرسة القرآن والجهاد، إنه الإخلاص والإقبال على الموت والحرص على المنية في سبيل الله.

وبعد.. فإن يحيى نموذج فريد للمجاهد الحق، رضي الله عنه وأرضاه وجمعنا به في مستقر رحمته... اللهم آمين.

أخوك وتلميذك - حسن سلامة.





وتستمر حكاية يحيى

....

ويستمر الجهاد

نهاية المهندس

«منذ أن استلمت وظيفتي كرئيس للشاباك كنت أذهب للنوم مع يحيى عياش واستيقظ معه في الصباح، التقليد الذي فرضته عليّ نفسي شهوراً ليست قليلة حيث تم الإعلان عن يحيى عياش مطلوباً أول منذ ١٩٩١ حيث بعد ذلك بأربع سنوات ونصف عندما قُتل تحمل عياش المسؤولية المباشرة عن قتل ١٥٤ إسرائيلياً وإصابة ٤٣٠، عياش من مواليد ١٩٦٦ من سكان قرية رافات من قضاء قلقيلية في الضفة الغربية حيث تعلّم المهندس في جامعة بيرزيت وهو من أدخل العمليات الاستشهادية إلى الساحة الفلسطينية وهذا سبب كونه بطلا قومياً للفلسطينيين إذ طبع بصماته ككبير المقاتلين ضد إسرائيل.

كانت العملية الأولى لعياش صباح يوم السبت نوفمبر ١٩٩٢ عندما كشفت سيارة مفخخة في حي رامات أفعال القريب من تل أبيب ولحسن الحظ لم تنفجر ولكن وقتها حاز عياش على لقب المهندس وبها تحوّل للمطلوب رقم واحد لجيش الدفاع والشاباك فكل جندي احتياط يتم تزويده بمحفظة بها صور المطلوبين كانت صورة عياش على رأسها حيث كان عياش مشتركاً بالعديد من العمليات وكان النجاح الأول باستخدام استشهادي في تفجير باص (٥) في شارع

دزنجوف في تل أبيب أكتوبر ١٩٩٤ هذه العمليات الصعبة جعلتني أتأمل بالذي يقف خلفها بعلاقة عميقة أنا لا أستطيع القول إنني كرهته، فأنا لا أذكر أني كرهت شخصاً ما بسبب العداء المهني الذي أعمل به وعملت شيئاً واحداً أنه ما لم نعتقل يحيى عياش فإنه سوف يقتل إسرائيليين ودمهم هو مسؤوليتي فكل يوم يربحه عياش هو يوم يدعم الإرهاب إذ كان له تواصل غريب في الحياة، وفي السنوات الثلاث ونصف التي كان عياش مطلوبا فيها حيث كان في الشاباك العديد من الأشخاص الذين يعالجون مشكلته حيث توصلوا إلى معرفة عياش فعلاً على حقيقته وكلما ضاقت الحلقة حول المهندس كلما انشغلت مجموعة من الشاباك بالمهندس.

ومن ناحية الشاباك كانت العملية معقدة جداً، مناطق الجنوب والضفة الغربية وأقسام العمليات والاستخبارات والتكنولوجيا والأقسام المختصة بالعرب وبين الجميع تنسيق مع جيش الدفاع وكان اتخاذ القرار بيد رئيس الشاباك إذ عندما تم تعييني كرئيس للشاباك عام ١٩٩٥ قررت إدارة العملية بشكل شخصي فواحد من الدروس التي تعلمتها بعد إلقاء القبض على التنظيم السري اليهودي العمل ضمن طاقم يجمع الصلاحيات المطلوبة داخله واشتراك كل العناصر المرتبطة به الأمر الذي يختصر حدّة العمل وكان الطاقم يجتمع كل أسبوع مرة حيث يجتمع رؤوساء الطواقم وأناس لهم علاقة بالعملية وأشير هنا إلى أن عملية مثل هذه ممكنة فقط في حالات نادرة، وبشكل عام لا يمكن لجهاز كبير إدارة عملية مشتركة ومن الأفضل عدم استخدام هذه الطريقة إلا بأحداث خاصة ونادرة وكما هو معروف أنه بهذه الطريقة

يتم إلغاء صلاحيات الرجال العاملين في الميدان الذين يتحملون المسؤولية عمّا يحدث.

لقد كان ليحيى عياش عائلة لها طفل واحد صغير وقد أحبهم كثيرا وقد تعلم عياش الهندسة وهذا معناه أنه بسهولة يستطيع أن يكون موفقاً في حياته باحترام ووضع اجتماعي ورفاهيه اقتصادية ولم يكن هذا البديل موجوداً عند الاستشهاديين الذين أرسلهم، فإن معظمهم فقراء غير متعلمين ولم يكن لهم مستقبل في أهلهم وكان حلمهم بالشهادة و٧٢ حورية في جنة عدن ولكنه تجاوز الحدود وأصبح مطلوباً، وبهذا قرر مصيره وهو يعلم هذا منذ البداية وهذه صعوبة ومرارة حياة المطارد إذ كل ليلة عليه تغيير مكانه والهرب، يمضي معظم الليالي في البيارات والأودية ليس في أسرة منعمة ومريحة وبصعوبة يرى أباه إذ لم يمكث في البيت وقد عرف بأن عودته ممنوعة للبيت إذ كانت قوتنا تنتظر هناك بشكل دائم وكانت مطاردته كالتي في الأفلام الخيالية.

لقد عرف رابين عن عياش كل شيء وعن الجهود لتعقبه منذ أن تم تعيينه كرئيس للحكومة ووزير للدفاع في يوليو ١٩٩٢ وكان مهتما بما يجري مع عياش إذ عرف بأن جهودنا كبيرة لإلقاء القبض عليه مع استيائه لعدم القبض عليه حتى هذه اللحظة وفي يونيو ١٩٩٥ انتقل عياش إلى غزة ومن هناك استمر في نشاطه بتوجيه الخلايا في الضفة الغربية التي نفذت عمليات مؤلمة وكان انتقاله إلى غزة قد صعّب عمل المخابرات لأن غزة كانت في يد السلطة ولهذا عملنا في خطّين، من جهة بذلنا جهودنا من أجل الكشف عن المهندس ومن جهة

أخرى وفي إطار التعاون الأمني مع السلطة أخبرناهم بأن عياش موجود في القطاع، ولم أفكر لحظة واحدة بأن عرفات سيسلم عياش لنا أو أي مطارد آخر وسبب هذا أن البند المتعلق بهذا الموضوع في الاتفاقيات إنما هو بند سياسي لا يمكن تطبيقه.

أما أنا فالذي يهمني أن يوقف عياش عملياته فهو العدو الأكثر خطورة في تاريخ العمليات ضد إسرائيل ولم يكن يهمني هل يعتقله عرفات أو ينفيه لليبيا أو ميامي المهم أن لا يمسّ عياش المتفجرات ولا يخطط لعمليات أخرى وهذا ما دفعنا لإعطاء معلومات عن مكان عياش المتوقع، هذا وقد حاولنا نصب شبكة استخبارات على أمل وقوع عياش فيها مع أن مثل هذا العمل يحتاج إلى وقت طويل لأن المناطق خارج سيطرتنا، فبعد انتقال عياش إلى غزة في يونية ٩٥ قتل في يونيو ٩٦ إذ كان طول الوقت متخفياً في غزة وسط مليون فلسطيني كانوا يفتخرون بتقديم المساعدة لعياش وهذا ما كان فعلاً مع الذين توجّه لهم عياش وكان للسنوات التي عاشها عياش في الضفة كمطارد أثر في قدرته الباهرة على الاختفاء حتى لا يوجد له مثيل وكان شديد الحذر في استخدام التلفونات وقد أحاط نفسه بأناس كان واحد منهم يعرف الطرق الضرورية لحاجة عياش ولذلك كان من الصعب جمع صورة استخبارية عنه، أمر واحد كان عنه معروف ذلك حبه الشديد جداً لأمه (أبوه كان يعمل داخل الخط الأخضر) وقد اعتقلنا أمه للتحقيق معها غير أنها لم تزودنا بأي معلومة ذات مغزى ذلك أنها لم تعرف عنه الكثير إذ كان عياش فطن بما فيه الكفاية ليعلم أن أمه ستكون نقطة ضعف من

جهتنا، وطوال محاولتي إلقاء القبض عليه أخذت نفسي «مثلاً» وسألت نفسي ما هي نقطة الضعف الكبيرة جداً عندي فكان جوابي وبشكل سريع زوجتي وأبنائي الثلاثة إذ كانت لدي فرصة كبيرة في المراهنة على رغبتي في رؤيتهم بأي ثمن لكن هذا إذ كانت المسافة قريبة، وهكذا عائلة عياش عاشت في بيت لاهيا في القطاع حيث حماس قوية وكانت العائلة تتمتع باحترام لأجل يحيى إذ هو الأسطورة والبطل الذي لا ينازع لكل الذين يؤيدون الجهاد الفلسطيني ومرة قلت لرابين إذا ما كتب كتاب البلماخ للنضال الفلسطيني فأقل شيء عشر صفحات ليحيى عياش وكان عياش أسطورة من جانبنا أيضاً ليس فقط بأوساط الشاباك بل في أوساط الشعب الإسرائيلي كله حيث اسم المهندس نطق به كل فم، فكل عملية تنسب إليه وكان رابين في كل مقابلة له يُسأل عن ماذا مع يحيى عياش فهو لم يغيّب عن العمل القومي الإسرائيلي الأمني.

عياش لم يكن فدائياً بسيطاً وليس خبيراً بسيطاً في تركيب العبوات الناسفة فهو إنسان منطقي وذكي مع أحاسيس صائبة، عياش تعلم جيداً الشيء الذي تعلمه كل من له صلة أو علاقة بالمخابرات إن كل خطأ في العمل السري يأتي عن طريق الاتصالات فكان بهذا منقطع النظير، تلميذه ورسوله في الضفة بعد أن هرب إلى غزة عبد الناصر عيسى تلقى تعليماته عن طريق الرسل بل سلسلة من الرسل من أجل ضمان مستقبل التعليمات التنفيذية بمعرفة اسم الرسول الأخير في السلسلة وليس أي إنسان آخر فبكل ما يتعلق بالاتصالات كان يتجلى بضبط نفس غير عادي وعرفنا بأن الوصول إليه بطرق عادية أمر

صعب جداً ولكن عرفنا بأن إنساناً هارباً طوال الوقت سيستنزف في نهاية المطاف ونقطة الانهيار آتية فالمسألة مسألة وقت فقط.

حاولنا تصفيته (مرات عدة) ولكن فشلنا بل في إحدى المرات تم إلقاء القبض عليه تقريباً لكنه هرب من بين أصابعنا، نعم لقد كانت عنده حاسة سادسة وقد نجح في الفرار من الفخ في شهر ديسمبر ٩٥ كان الشهر الحاسم وكان هذا بعد شهر من مقتل رابين واللجان تعمل والشاباك مستمر بعملية خاصة ضد العمليات وعلاج اتفاق أوسلو حيث كانت المعنويات منخفضة بالإضافة للحزن والشعور بالفشل فالشاباك تم تقديمه على أنه فاشل الأمر الذي تسبب بظلم الكثير ممن لم يكن لهم علاقة في الخلل المتعلق بقتل رابين على الرغم من هذا استمر العمل وبذل الجهود وفي نفس الشهر عقد لقاء بين عرفات وحماس في القاهرة من أجل الوصول إلى صيغة متفق عليها، رجال الجناح السياسي الذين يسكنون في المناطق أو غزة والذين يتعرضون للضغط من عرفات وإسرائيل كانوا يؤيدون حلا وسطا، الجهود فشلت واللقاء انتهى بالانفجار وعرفات أيقن ببقاء حماس كحركة معارضة فعالة وباستمرار العمليات التي تعرض سلطته للخطر، وخلال شهر ديسمبر ٩٥ اشتغلت على قضية المهندس مثل المهووسين بدون توقف والنقاشات بشأنه كانت تقام في غرفتي مرتين في الأسبوع، يوم الجمعة ٥ يونيو ١٩٩٦ كنت سأصل الساعة التاسعة صباحاً إلى وزارة الدفاع في تل أبيب من أجل نقاش على تحرير الأسرى الأمنيين عند رئيس الحكومة ورئيس الدفاع وعندما وصلت كان بيريز في نقاش مع رئيس الأركان وضباط كبار في الجيش وطلبنا

إخراج المستشار العسكري داني ياتوم وأبلغته بوجود انفجار في بيت لاهيا وأنه من الممكن أن يكون المصاب هو يحيى عياش وحالاً تم وقف الاجتماع وأوضحت الأمر لبيرس إذ عندما تقابلت مع بيريس وضعته في الصورة في المرة الأولى حتى الآن. كان ورئيس الحكومة وتفاجأت أنه كان رجل سر كامل لجميع الجمهور لتصفية المهندس، وقد تبيّن لي أن إسحاق رابين تعوّد أن يكون في صورة الموضوع وفي الغرفة تواجد شمعون بيريس ورئيس الأركان أمنون شاحاك ونائبه متان فيلنئي ورئيس المخابرات العسكرية يوجي يعلون والعديد من الضباط الكبار حيث كان توتر مهيب حيث مضت ساعة طويلة جداً مشدودة الأعصاب حتى بدأنا نتلقى المعلومات بإصابة شخص هناك غير أننا لم نعرف إن قتل أو أصيب فقط. في المساء تلقينا معلومات أكيدة أن عياش فعلاً قد قتل عندما سمعت هذه الكلمات شعرت بالارتياح الكبير، وعلى أساس أن الشاباك هو الذي صفّى المهندس ظهر هناك خلاف في الرأي حول المنطق والحكمة في هذه العملية وشكلها وفكرتها، حماس كما هو معروف أعلنت عن عمليات الانتقام وفعلاً بعد شهر ونصف بعد استشهاد المهندس تم تنفيذ سلسلة من العمليات الضخمة، حماس بذلت كل الجهد للتأكيد أن هذه العمليات كرد انتقامي على اغتيال عياش وأنه لو لم يمت لما كانت هذه العمليات.

ولكن حسب رأيي فإنه لا رابط بين هذه العمليات واستشهاد عياش إذ أن عرفات حاول ضم حماس إلى خيار المفاوضات لكنه فشل وأن حماس قد عارضت وبشدة اتفاق أوسلو، وعرف أنه بسبب إحباطه سدد ضربة لحماس ورجالها، وعندها استغل الجو السياسي

لهذا حسب القاعدة اللبنانية التي تقول «كلما ازداد الوضع سوءا كان هذا في مصلحة الحزب» فبعد الإصابات التي لحقت بالإسرائيليين والقتلى الذين فقدتهم عائلاتهم دفع عرفات الثمن إذ أُغلقت المناطق وكذلك الحدود وهذا صعّب وضعه ومركزه وقد توقفت العمليات السياسية وهذا ما تريده حماس لهذا بدا لي أن العمليات كانت ستنفّذ حتى لو لم يقتل عياش المهندس. وقد شاركتني الأجهزة الأمنية الرأي واستخدام الانتقام كان استخداماً سياسياً من قبل حماس، وبهذا تصل حماس إلى قلب كل من يؤيدها، أما أنا بشكل شخصي شعرت بالارتياح أن عياش قد مات ولكن في السنوات الأخيرة ظهرت أصابعه في كل عملية ومن المستبعد أن يتراجع عن مثل هذه الأشياء وأكثر من هذا أنه عند المساس بمطلوبين فإننا نمس حماس بقدرتها التنفيذية، صحيح أن المقابر مليئة بأناس لهم بديل ولكن مثل عياش فهذا يحتاج إلى زمن طويل لإيجاد مثله، والمغزى من العمل ضد يحيى هو ردع ورسالة للآخرين بأن يد الشاباك ستصل إليهم ولن يكون أي فدائي في مأمن كائناً من كان، وهذا لا يعني أنني أخدع نفسي، إن الرسالة سوف تجعل المطلوب من حماس أن تخاف وتتوقف عن تنفيذ العمليات ولكن عندما يعلم أنه غير آمن يزيد هذا من كاهل العناء عليه، إذ بعد موت عياش ومن بعده الأخوين عادل وعماد عوض الله ومحيي الدين الشريف غادر الفدائيون من حماس بيوتهم وذلك لخوفهم من وصول الشاباك إليهم وخلق الشعور عندهم بأنه إما أن يتوقفوا أو أن يقتلوا، لقد كان لقتل عياش كبير الفدائيين نتائج ممتازة جداً على سمعة الشاباك إذ بعد ذبحنا

باغتيال رابين بدون رحمة إذ المعنويات في الحضيض إن كان جميع عمال الشاباك من رجال التنظيف إلى القياديين بذلوا حياتهم لعملهم بفخر ولم يكن لهم في الفشل الذي أدى إلى مقتل رابين وبعد موت عياش عاد الشاباك إلى سابق عهده وجعلهم يؤمنون بالشاباك أنه قوة مهمة ودقيقة، أما أنا بشكل خاص فقد تعهدت له بأن أعيد للشاباك الثقة بنفسه إذ من أجل ذلك بقيت في وظيفتي، فقط وقتها شعرت بالثقة بنفسي وأنني أستطيع العودة إلى شمعون بيرس وأقول له بأني ذاهب بعد يوم من موت عياش بخروج السبت وانتهائه يونيو ١٩٩٦ وبعد شهرين من الاغتيال قلت لزوجتي سري إنه في يوم الأحد في الصباح سوف أطلب الاستقالة أطلب الاستقالة الحقيقية وهذا ما كان.

١٤/٥/٢٠٠٢



الخاتمة

بكلمات القساميين

الحمد لله الذي لم يجعل خيراً من الخير إلا ثوابه....
ثم إن الحمد لله الذي لم يجعل شراً من الشر إلا جزاؤه، والصلاة والسلام على حبيبنا محمد ﷺ قائد مسيرتنا وقدوتنا ومعلمنا وعلى آله وصحبه ومن والاه وسار على نهجه واقتفى خطاه إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

لا يستطيع مخلوق على وجه الأرض أن يزيل الحقيقة أو أن يغطي وجهها وإن قذفها بلوثة باطلة. لذا فإن الحق يعكسه التاريخ الناصع في صورته المشرقة.

لقد تقزمت في نفسي معاني الكتابة منذ زمن طويل وتصاغرت عندي لغة المداد بعدما عرفت لغة الدماء وشاء الله لي أن أخط بها بعض السطور، فعرفت أنها اللغة الوحيدة التي لا يتسلل إليها لص النفاق، بل هي السيل الذي يقذف زبد الزيف ويترك النفوس في ثوبها الحقيقي ممحصة خالصة، ولذا أستسمح القارئ عذراً إن أظهرت لغة الدماء في كتابتي أثر الجراح، ويعلم ربي أنني لم تأخذني الجرأة على الإدلاء بدلوي في هذه الصفحات إلا من باب

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ (التوبة١٢٠).

أسأله تعالى أن يجعل عملنا خالصا لوجهه.

يعتريني بحق شعور بالحياء أن أخط كلاماً رسمه العظماء بدمائهم هؤلاء الناس الذين انبعثوا قدراً جديداً يغير وجه التاريخ العبوس، إنهم أناس من طراز آخر يعرف أحدهم كيف يصنع الحياة، حين تتسامى نظرات عينيه عن أوهام الأرض وتشخص إلى العالم العلوي فيتعالى أحدهم كالغرس الباسق في التماس الدفء والضوء، تدفعه إلى أعلى قوى كبرى تثبت فؤاده وتهديه إلى ذات الشوكة.

فيهجر القيعان مرتقياً بروح شاهقة نحو ذروة السنام، يهجر هوى النفس وطبيعة الصلصال وخصائص الحمأ المسنون ووسوسة الشيطان ليكاشف فلسفة خيار الدم مكاشفة لا يعرفها إلا من أكلت قساوة قلبه رقائق الإيمان.

حقا لم تنضج روح الجهاد في شرايين حر حتى صاغت منه ناموسا جديداً من نواميس الكون، تجعله يسير بين أترابه وكأنه أمثلهم طريقة وأشكلهم سليقة وكأنما ولد كبيرا يصنع تاريخ الأيام بأنامله قبل أن تدور وهي الدهر بمعينها فيزداد قدراً كما ازداد عمرا، وقد يقدر له أن يربو عمره ليبعد الموت من قاموس حياته.



فيهب الحياة إلى الحياة وينسج للكون لحنا آخر ومعادلة تعلو في ضمير الزمن وترفع صاحبها الذي أيقن أن في دماء

العظماء كيمياء قادرة على تحويل العناصر.

إنها روح الجهاد وجهاد الروح يمتزجان في لحن واحد ليتسامى فوق بطاح الأرض ويعلو حتى رجيعه في العالم العلوي تعبيراً جديدا عن الحياة أو أقل فقهاً من الدنيا يقزم كل معاني الأرض الهابطة يخلع من النفس علائقها وأوحالها ليفجر فيها براكين الانعتاق ورخص الذيلولة لقوى الأرض، وأن بلاغة الدليل وقوة البيان يصنعها السنان لا الضجيج ولا الألحان ولا عجب في ذلك، فهذه اللغة الخاصة بالعظماء الذين يقدمون للكلمات قلوبا تنبض بدمها لتحيا وترتفع، ودليلهم على صحة أفكارهم هي الأرواح والأجساد التي في الطريق الأقصر للارتفاع في ضمائر الناس.

بحثت في كل قواميس الروابط والأوشاج فلم أجد أصدق وداً ولا أعذب ألفة من أخوة الجهاد! إذ عجزت كل المعاجم عن وصف ذوبان الأدران والأخلاط في قوة بيعة الموت حين تلتقي سواعد الرجال المتوضئة، وما اهتموا بأهل ولا مال ولكنها مواقف تنبئك عمن راحوا وراحات أيديهم ما شئت، وألا يأخذوا لأنفسهم شيئاً إلا غدوة أو روحة في سبيل الله، لله در تلك العصبة كيف يتسامى أحدهم عن المال والأهل والولد ليقع على الموت قبل أن يقع الموت عليه ونداؤه الخالد هو ذاك اللحن الأول: «**اللهم خذ لنفسك منا اليوم حتى ترضى**» هكذا عرفتهم كما وصفهم البر الراشد بقميص أحدهم زر واحد لا عشرين زرا، تحفز عجيب لا يطيقه أبداً إلا طلاب المدرسة الربانية ولا يفهمه حقا إلا من أوغل في سوح الجهاد. الله وحده الذي كان يعلم تلك المعاني التي جاشت

بها نفس ابن المبارك جيشان الماء العذب وقد أصاب الآخرين الحسد فساقتها إلى الفضيل بن عياض شعرا:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك بالعبادة تلعب

من كان يخضب جيده بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضب

مرت أمام عينيّ تلك الأبيات مرّات لكنها انتصبت في نفسي شاهقة كالجبال ليلة أن توضأتُ وخرجتُ للقتال، لا أدري كيف أصف تلك المشاعر، فالوضوء من نوع آخر والصلاة كأنها معراج إلى السماء والدعاء له حيوية لم أعهدها من قبل ولا غرابة في ذلك إنه الجهاد، والتجهّز للقاء لحظات يجب أن تكون فيها بأجمل الصور متخففاً من تلك الأحمال الثقيلة التي ألصقتها بك وحول الدنيا وعوارضها، قد تكون المرة الأولى منذ الميلاد حين تأتي على الإنسان لحظات يشعر من خلالها أنه متصل بقوّة عجيبة بجوانحه وجوارحه، تحلّق روحه في عالمها تحليقاً يزلزل أركان الباطل أياً كانت صوره ومواقعه، إن أجمل ما تعلمته في رحلة ذات الشوكة - أن الجهاد قبّة منتصبة على رأس تلك الذروة العالية هو على رفعة شأنه وعلو ذروة السنام وقد لا تبلغها، ولعمر الحق هذا ما تراءى لي بعيون باصرة تنسخ لغة القيل كما تنسخ الشمس الظل فلقد رأيت الناس يجيدون الصلاة ورأيتهم يطيقون الصوم، وأبصرتهم يؤدون الصدقات، وعهدتهم يلتزمون الجماعة، أما إذا دقت ساعة النفير وطلبت البيعة على الموت، عندها يتنزل في نفسك وحي الوصف الإلهي لذروة السنام، وتوقن أن من يبلغونه هم قلة من الناس، وهؤلاء هم العظماء فقط الذين يستحقون أن يتربعوا على عرش ذات الشوكة ليثبتوا للبشر

في الحق قبولا بالأذى لأنه مصلح عالمي يرتفع فوق مشاكل الزمان والمكان ليواجه تبعات الزمان كله في كل مكان ولا يحسبون أبداً ظلم الظروف الراهنة أو الأحداث أو الإساءة البدنية إلا بمقدار نسبتها إلى مسافة الزمان كله ومساحة الكون كله والإنسانية قاطبة، وعندما يكون العظم مسطرا بلغة الدم تلتقي الدنيا والآخرة وتكون وجوه العذاب والإسترهاب أسبابا للتعبد ونيل الشهادة.

هؤلاء وحدهم الآحاد العظماء الذين ينبرون من صف طويل يوجد فيه ويزين لهم الشيطان أبوابا من الحق فيجعلونها في غير محلها ويستحلونها في غير محلها، ومع كون الدعوة شاقة الطريق ثقيلة التبعات، والجهاد لاذعة شوكته، مؤلمة مسيرته تبدأ من نداءات مصلحة أن يكونوا عظماء، تبدأ هذه النداءات ترتفع بوقف الجهاد فترفع عقيرتها على أرضية قد زينها الشيطان لهم وأجلب عليهم فيها بخيله ورجله ورماهم بسهم، ولعمر الحق إن الوقفة الصادقة مع النفس، تغربل زيف النداء الدخيل وترجع عن الحيرة وتعيد الجادة مهما كانت فداحة الثمن ومن آمن بأصل المسألة ولانت له فروعها حين يربط نفسه بالآخرة مباشرة ويركل مصالح الدنيا جانبا وتقلل من الترخيص في الأمور واستعمال التقية في غير محلها وكما قالها ابن حنبل «رحمه الله»: «**إذا أخذ أهل الحق بالرخصة والجاهل يجهل فمتى يظهر الحق**» عجباً لمن تحقق له ضرر أمر ثم ينساه ويتحقق من سوء حال ثم يتغشاه ويخشى الناس والله أحق أن يخشاه، ألم يقرأ قصص أصحاب الأخدود حين ترددت المرأة أن تقفز في الأخدود فناداها رضيعها يا أماه أقبلي

فإنك على حق ولو كان لأحد أحقية بالرخصة في ذلك المكان لكانت هي لكنها كلمة حق لا يمكن لصاحبها أن يتوارى إذا قرعت أجراس الملاقاة، أقولها والشيء بالشيء يذكر أن صولة الناس في زمن الرغد لهي للحليم وللذميم لا تغنيك عن حقيقة النفوس المخلصة والقلوب المهاجرة، ولكن إذا بلغت صحراء المحنة ودوت فيها صيحة النفير، ففي ذلك المقام يكون الامتحان الحق الذي يسفر عن وجوه الناس إسفار الصبح عن خيالات الأشياء فهناك حيث يقل التعداد ويتنادى أبناء الأم فيتذكرون ويتنكرون ويصبح جليس الأمس خصيم اليوم، هناك فقط يكشف مخلص الأيام من عصبة الحق القليل، حين تشخص أمام الدعوة أبواب يكون ولوجها على الحر الشديد من أن يموت في اليوم ألف مرة بألف نفس له، فاعلم أخي المسلم اعلم يقينا أنك إن كنت حينها من عصبة الحق المجاهدة فأنت في نفسك القليلة أكبر مما أقلت البحار ووتدت عليها الجبال؛ لأن أشد ما في إنقاذ الحق الصبر عليه وأفضل ما في الحق التيقن من بقائه فلمن يا ترى يكون الثبات؟!

يقول الناس من آثار الصبا ما يدخل التبر مع الشيخ الهرم أما نحن فآثار الصبا قد أشاختنا وأكبرتنا ألف عام. أبداً ما حييت حتى أخلع الأسلاب وأوسد في التراب سأذكر باكورة ذلك اليوم من أيار عام ١٩٩٢م حيث خرجت إلى الجامعة مراهقاً في سن لم أتجاوز التسعة عشر ربيعاً فرجعت وأظن نفسي قد بلغت الكبر عتياً، قد يستغرب من لا يعرف أثر الموقف على النفس، لكنها الحقيقة المسلمة لاشيّة فيها، هناك شجرة سرو تحتها كان اللقاء مع ذلك العالم، لقاء

مختلف غريب، نظرت إلى الرجل ناهز السادسة والعشرين من عمره ترتسم على وجهه ملامح قائد ملهم، بدأ الكلام معي واستشعرت من نبرات صوته وطيف حديثه أنه يحمل كلاماً أكبر من عمر الأشخاص، وأوسع من هذه الساحة الصغيرة وأعمق من جذور شجرة السرو التي تُظللنا، لا بل يعبّر عن عمر أمّة وحياة شعب حينها وقع في نفسي أن هذا الرجل من صنّاع الحياة فليس لي إلا أن أطرق السمع إلى كل كلمة يلقيها علي، وبالفعل كان كلامه يتحدر كوابلٍ صيّبٍ أصاب أرضاً عطشى لطالما اشتاقت لأوائل المطر، كلامه غاب طويلاً من قاموس الناس الذين اعتادوا لغة الشعار ولغة التباكي، لا أخفي أنه كان بدءاً جديداً لم أعهده، بيد أن الحق له بدعاً في النفس قبولاً وعذوبة، ومن يومها وضعت قدمي على الطريق الواجبة بصحبة ذلك الصالح ورجعت إلى بيتي وأشعر أني قد ربحت النعومة والطفولة وخلعت أثواب الرخاء وتراءت إليّ أحمال ثقال على كواهل فتية وشعرت أن حياتي قد تزلزلت وتغير كل شيء فيها، وسرعان ما دخلت ساحة الامتحان الحقيقي، وليس من العيب أن أقول أن البداية قد داخلها نوع من الرجفة والخوف إلا أن كل هذه الحواجز سرعان ما تحولت إلى قوة دافعة والمسيرة شهدتها الملائكة وتنزلت علينا منها البركات وأيّدنا الله بتوفيقه، فطبيعي إذن أن يكون في البدايات العظيمة نوع من الصعوبة فكيف ببداية طريق الدم والدموع، وإلا فما عبرة قصة طالوت وما عبرة قول الحق ﴿**يجادلونك**﴾. ويأبى الله تعالى إلا أن يغلب بيان الحق منطق المجادلة وتسير سفينتنا مجريها ومرساها باسم الله مجريه، فيجتمع من فوقه

سحاب وترى الودق يخرج بهيجاً فترى زرعا مستويا على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ليعيد للأمة أصالتها وينفض عنها غبار الزمن - الإخلاد إلى الأرض، إذ قد تبدأ الشرارة صغيرة لكنها تكبر وتتأجج لتحيل تاريخ الأمة المنكوس إلى سحائب من دماء تغسل عار الزمن الغابر وتبدد أحلام القوم، كل أسلحة الأرض وكل قواها تقف حائرة أمام عصبة تقبل على الموت وهي أشغف به من زهرة الحياة الدنيا، سر عجيب هُمّ في أعين الناس، فلغتهم التي يتحدثون بها تخرس أمامها صواريخ الأرض وطائراتها، إذ كيف يعقل أن يحال بين هذا الموشح بالمهابة وبين كبرياء وعظمة الشهادة وهو النابت من زرع الله وإن لما زرعت يد الله من حاصد. وأن تعجب فعجب أن ترى الأطفال يحنون إلى الشهادة ويتلهفون إليها حتى متيمين بحبها وعلى شفتي كل منهم سؤال كبير منهم بقلبه وإن لم يكن للسانه أن ينطقه بعد، لكن سمته الصدوق يقول ما الحياة إنها تافهة في جنب جنة عرضها السماوات والأرض.

حتمية إذن أن تنبجس المعجزة من هذا الجيل الفاتح فترى أحدهم إذا ما سمع يا خيل الله اركبي لبى إليك قبل أن يرتد إليك رجيع صوتك وإذا ما تكسرت النصال على النصال كانت الأرواح إلى الجنة أقرب منها إلى الأجساد، لوحة ترتسم في خيال الدهر لتصنع التمايز البعيد بين إرادة صنعتها عقيدة وبين حركة ألهبتها إرادة، ولا غرو فهو النموذج الذي صنع على عين الله ورعته العناية الربانية، تنظر إلى أحدهم كأنه الجبل العالي تراه العين كله أو بعضه وتسمع به آذان الذين لم يروه ولقد تراه العيون غنياً وهو فقير وتسمع به الأنفس جهير الصوت

وهو سكيت بل هو يخدم البشرية بمجرد وجوده على الأرض حتى إذا قضى نحبه ولدت لفكرته حياة جديدة ولطالما انتصر البطل بعد موته، لينفخ في رماد الكون، عاديا في يوميات بعض الناس، بيد أن الحقيقة التي لا تخفى إنها ضريبة الدعوة من لدنّ آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ضريبة يسدد حسابها العظماء وهم يستظهرون طريقاً طويلا تعب فيه آدم عليه السلام وناح فيه نوح عليه السلام وألقي في النار إبراهيم عليه السلام واستسلم للذبح إسماعيل عليه السلام وذهب فيه بصر يعقوب عليه السلام وألقي في الجبّ يوسف عليه السلام ولبث في السجن بضع سنين وقاسى الضر أيوب عليه السلام ونادى «ذو النون» عليه السلام في الظلمات وهام على وجهه موسى عليه السلام، وزد على ذلك محمداً صلى الله عليه وسلم فهل تكون العودة إلى وطننا الأصيل بسيطة، هل تكون العودة إلى الجنّة سهلة.

وتمضي الأيام ويدور الدهر وكأن الله تعالى تأذّن بالبعث وقد اصطفى هذه العصبة لتكون أداة السوم، فتدور رحى جهادنا فوق حب بيعهم لتجعل من الجهاد محراباً يؤمّه حفاظ براءة والأنفال ولتصبح هذه البذرة الأولى التي تنبت بواد غير ذي زرع تهوى للأفئدة الطالبين من كل فج عميق حتى غداً هؤلاء من الجهاد كالماء من النبت وغدوا منه كالحي من الميت.

وما أغبن أن يحبس الماء من النبت ذلك مكي لا يزور البيت، هي هكذا متلازمة مترابطة لا حياة للأمة إلا بالجهاد ولا حياة للجهاد إلا بالدماء وقلة من الناس من تطيق الثمن... إنهم الرجال والرجل فقط لا يأخذ غير معاينة؟ وقالب لا يتحمل غير مقاييسه تماماً كالسيف إذا انثمل لم يعد صلتاً وكالجواد إذا نجل لم يعد كريما...

فسمتهم الإقدام دوما ولا يعرفون عن الحق أحجاما، لا يستطيع أن يرى السوس يأتي على خضراء أمّته وهو يحدق بنواظير الصمت... وهو نفسه الذي يخدعه الهيل والهيلمان والتزييف والتدليس ومحاولة تغيير وجه الحقيقة... لا يعرف أبداً سياسة إن لم يكن ما نريد فأراد ما يكون ولا يفهم لغة الانحناء لأن فقرات ظهره لا يحنيها إلا مفتاح واحد هو اللّه أكبر..

فكيف إذن تكون راحة ضمير لهؤلاء والقوم يعيثون في كل ساح ويشذون بكل أفق يأكلون الأرض منهم ويبتلعون المقدسات، ويهودون الناس ويبكون الحجر وينبشون القبور، وهم كذلك خبثاء يسحرون أعين الناس ويأتون بسحر عظيم يسترهبهم ويظللهم بالأمان والسلام ورغد الحياة الناعمة الرقيقة، واعتاد التاريخ أن يكون لهم في كل زمن ابن «أبيّ» وزمرة ليتولى كبر كل إفك ويهول مكرهم،

وحين يصاحب ذلك، عدم مخافة العدو للّه وعدم إقامته وزناً لأي محنة إنسانية أو أخلاقية ترى أساطير التنكيل والترويع والبشاعة شاخصة في كل واد، وترى مآسي الوطن المقهور ترتسم على وجوه المشردين والمضيعين، والنكرات هناك تتحفز بين الملهاة والمأساة للوثوب لتأخذ دورها الطليعي في الخيانة والتردي، كل ذلك يجتمع في نفس الغيور ويعمل فيها جروحاً تنأى وتتعب عبر الأيام شربتها أمهاتنا وأخواتنا وأطفالنا وشيوخنا وكونهم نارها.



إن آثار هذا الوبال والنكال كافية لأن تجعل من كل ذرة في هذه الأرض لفتة على جيل المسخ وبطانة العجل فما بال

البشر إذن؟ ما بال من شربوا كؤوس الظلم ألوانا كألوان قوس قزح؟ فليس بِدعاً إذن أن يصبح الجهاد هو لغة التفاهم اليومي مع الأشرار وأن يصبح الكيل بالحديد والنار هو لغة الحوار إذا كان سلام القوى جرب فهل تكون حربنا للقوم سلاماً؟ لا أستطيع أن أتصور أبداً أن يطفئ إمرؤ نار ثأره بيده وأن يصافح قاتله وأن يضاحك ويشارب ويؤاكل مجرماً أوجعه.

فهل يرضى الحر بالدنيئة وقد طغى الحلو على المر وقدم الرقيق على الحر وبيع الدر بالخزف والخزر بالخشن؟ فعلى ماذا يلوي من ينادي بالوقوف وفي أي واد يقيم؟ وفي أي نية يهيم. يا حسرتي على ما فرّط المفرطون ويا حسرتي على من نادى بالدون.

وهل بقي في القدس منتزع أم بقي من صبر بين الأضلع وسيوف القوم شرع والقدس هي هي القربان!! لهف نفسي على من عرف ولم يلزم فكان كما قال الشاعر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ　　　والماء فوق ظهورها محمول

ولهف قلبي على من لم يعرف ولم يلزم فكان كما قال الشاعر:

لكل داء دواء يستطب به　　　إلا الحماقة أعيت من يداويها

ما أعجبتني قط عريضة　　　ولو قام في تصديقها ألف شاهد

قد يكون العامة بسطاء لكن ضمير الحقيقة حي فيهم وإن تأخر فهمه، لن يستمطر الناس بعارض غير ممطر ولن تستضيء الشموع بالشموع، أبداً لا نتبع من شد أزره بضعاف واستسمن غنما عجافاً، فلا تنفع المنافقة في الحق زلفة الضلال ولا يغني رشد الكلام عن غي الأفعال فنحن أناس لا نصوم حتى نميز الخيط الأبيض من الخيط

الأسود، ولا نصلي حتى نعرف موقع الشمس من السماء ما كان لنا أبداً أن نشيح وجوهنا تلقاء سراب الآمال عن حزن تحمل عذبا زلالا، فلقد حدا بنا حادي النفير... الله لم يزين الجنة لأمة من قبل كما زينت وحليت لهذه الأمة، أليس من العيب ألا يكون لها عشاق في كل حين؟ أليس من الغبن ألا يكون لعصبة الجهاد حواريون ينافحون عن حمى الحق أم أن الناس قد أثقلتهم كثرة الأسى وأعجبهم التعذر.؟!

في صدري كتل وأكوام من الكلام لكني لا أحب كثرة الكلام مع قلة العمل وها أنا اليوم وبعد أن استدار الزمان لي أنا أنادي من بطن هذا الموت؟ أنادي أحبائي ممن جمعتني بهم دعوة الحق، أنادي من عرفتهم عنواناً للطهر ورمزاً للسخاء والتضحية، أنادي من عرفتهم بقلبي قبل أن تعرفهم عيناي أناديهم من بطن هذا الحوت من بين صحاب ارتسمت على وجوههم تضاريس هذا الوطن المذبوح بسهوله ووديانه وجباله فما أعياهم برد القيد وما لانت لهم قناة بل أقسموا لئن أعادهم الله هاتيك الديار أن يعيدوا سيرتها الأولى، أناديكم أحبتي أبناء الأخوان أبناء البيعة نداء يمض أذان من نادوا من وراء الحجرات.

كما يجب أن يسمعها من قاسوا التضحيات بالأضرار البدنية والمادية وبدأوا يرفعون شعارات ضرورات المرحلة ومتطلبات الواقع ونسوا أن ثمن العزة والكرامة اليوم سيكون ثمناً للذل والاستكانة غداً إن لم يدفع.



تستطيع أن تراعي ضرورات المرحلة، ومتطلبات الواقع عندما لا تكون أنت الثمن وعندما لا تكون القربان، وحينما

يكون خصمك صاحب مبدأ وليس عدوا ملكه الجبن عليك، ثم يحاول ذبحك ببطانة قد استعربت ألفاظها و الحكم، وعار إذا ما فرضت المعركة أن يدخل الإرجاف إلى القلوب، بإمكانك أن تختار كيف ستواجه وهل تموت منتصب الصدر كرارا أم تموت مستدير الظهر فراراً؟ وكلا الحالتين موت، ليس بإمكانك أن تختار متى ستموت لكن بإمكانك أن تموت موت الذباب في المستنقعات أو موت الشياه أو مسالخ القربان وبإمكانك أن تموت واقفاً كالشجر، والنصر هو النصر إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة، لكن لنتذكر أن التاريخ يدون وميزانه لا يرحم لأنه قيم تماماً كالعدالة تصل وإن كانت عرجاء، تشهد على من كانت راحة ضميرهم أحب إليهم من راحة أجسادهم، إلى كل المخلصين، إلى كل من في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان إلى أبناء دعوتي الشرفاء أقول: إن الله يبتلي عباده المتكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم، فلا تمنعكم قساوة الأيام من تلبية نداء الواجب، لا تفكوا لجام خيل الله أبداً، أنتم رأس المال ورمز الأمة وبدرها الطالع، وجهادكم هو الطريق فحذار من الالتفات حذار من الإخلاد إلى الأرض وصدق والله من قال: «إنّا أحرص على الموت منهم على الحياة». وإن قاتلونا بتوراة محرفة قاتلناهم بقرآن محكم، وإذا جاؤونا تحت لواء موسى جئناهم تحت لواء موسى وعيسى ومحمد وإذا حاربونا من أجل الهيكل حاربناهم من أجل أقصانا الحبيب وإن قال قائلهم لجنده أنتم شعب الله المختار قلنا لجندنا أنتم خير أمة أخرجت للناس، نعم إننا المتفوقون في المعادلة وحجتنا أقوم قيلا وأوضح دليلا وأهدى سبيلا،

أخي ابن حماس إن الحياة هي الحياة لكن العزائم متباينة وقد أبدع من قال:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم — وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها — وتصغر في عين العظيم العظائم

ماذا تفعل بعمر إن طال مئة عام، منها خمسة عشر عاماً صبوةً وجهلاً وثلاثون عاماً بعد السبعين ضعفاً وشيبة، والباقي خمسة وخمسون نصفها نوم وثلثها في طلب الرزق وأكثر باقيها أكل وشرب.

تذكر أخي أنه لا انفكاك لنا من هذا الطريق إذا ما استبدلنا الله. ودعوة الله سائرة، إن لم تكن بنا فبغيرنا، فشرفٌ لنا أن نكون من جندها، ولا بد من الصبر على شوكة الحق مهما كانت لذعتها فلطالما ذهبت شوكة الطاعة وبقي ثوابها ولطالما ذهبت لذة المعصية وبقي عقابها، لا انفكاك لنا من هذا القدر، السالك معنا بالليل والنهار فلنحرص ألا نشرب كدر الناس بصفونا، ولا نلتفت إلى الذين أخلدوا على الأرض واستهوتهم ضالة، إن كست أو كست وإن حلت أو حلت، فإننا إن أردنا أن نوجد أعذاراً لوقف الجهاد فسنجد أعذاراً إلى يوم القيامة، لكنها العاقبة في واحدة عقرت الناقة لكنها أمّة هي التي ذاقت كأس التهلكة وليس بعيداً على يد تعقر ناقة الجهاد أن يعم بلاؤها أمّة بأسرها وما زال وأيم الله إلا نداءً دخيلاً أرادوا له أن يعكّر صفو مسيرتنا ليضطرب بهم كلام من هنا وتصريح من هناك، وكلها تحول بغير حساب وقشرها ما فيه لباب، فكم إنسان مجبر على مواطن السوء ولو أنه إذا

لم يطلق الصبر شوكة التيار، وإنسان مجبر على مواطن السوء ولو أنه إذا لم يطق الصبر على شوكة الحق اعتزل وسكت لكفى نفسه الناس وكفى الناس نفسه، وأما أن تجاري أدعياء السوء مستبداً الرخصة صغيرة ثم تتسع لتغطي مساحة الزمن كله، أين فطنة من تذكر ضيق الفخ فهان عليه هجران اللحية، ألم يعلم أن أدعياء السكوت أن أول الحجامة، ألم يستيقنوا أن المعركة اليوم في خندق الجهاد وستكون غداً في الخندق الأخير وأن القوم سينازعوننا الحبل عروة عروة ولو استطاعوا أن يعروا هذه الدعوة من ثياب الإسلام قطعة قطعة لما تلبثوا به إلا يسيرا.

إلى كل القابضين على الجمر، إلى كل من امتطوا ذات الصهيل إلى كل من نفض فحاججهم هموم المسلمين فباتوا يقلبون الطرف في سبيل الله أقول امض أخي فداك أبي وأمي فموعدنا على الحوض بصحبة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، ولأن تكون شعرة في ذيل الحق خير من أن تكون رأساً في الباطل، فأنت المارد في زمن تقزم العمالقة، وأنت الكم الضخم في زمن كثرت فيه الأصفار في هذا العالم، فاصبر إن وعد الله حق: ﴿ **إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾ (الأعراف ١٢٨) لكن الله لا يعجل لعجلة أحد، أوان وعده الحق ولن يخلف الله وعده: ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** (٥) **وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ**﴾ (القصص ٥-٦)



ختاماً تبقى السطور عاجزة عن بث ماضي الصدور ويغالبني الدمع والأسى وأنا أتذكر الشهداء الذين أعطيتهم

راحة يدي فسبقوني إلى العلياء وحجبني هذا السجن الظالم أن أبر لهم ببيعتي، وحقا فإنه إن تألمنا فلا يؤلمنا إلا ما آلم أبا محجن، أن تردى الخيل بالقنا ولا يزال وثاقه مشدوداً عليه ثم لا أدري هل سيكون مصير أسرانا كمصير أسرى الفصائل أن يصبحوا لحنا للتغني؟ ثم ينسوا غيابة الجب ليعدوا دقائق السنين وبعد عشرين عاماً ينظر أحدهم إلى نفسه بالمرآة لا يعرفها بل لا يعرف أهلا ولا أبناء هل -يا ترى -هذا السجين سيعرف بيته إن أفرج عنه بعد سني السجن الطوال «إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد».

أخوكم موسى دودين

❖ «إن الجهاد بتعاليمه الإسلامية العظيمة جعل بحوافزه المادية والمعنوية المسلم مطيعاً لا يعصي، صابراً لا يتخاذل، مرابطاً لا يفرط، شجاعاً لا يجبن.

مقداماً لا يتردد، مقبلا غير مدبر، ثابتاً لا يتزعزع، مجاهداً لا يلين، مؤمناً بمثل عليا، مضحياً من أجل دينه وأرضه وشرفه بالنفس والمال، يخوض غمار حرب العدالة لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، لتكون كلمة الله هي العليا، مدافعاً عن الأرض والإنسان، وحرية انتشار الدعوة، وصيانتها، مدافعاً عن المسلمين في كل مكان...

هذا هو القسامي ابن الإسلام لا يخاف الموت ولا يخشى الفقر، ولا يحرص على وظيفة ولا يعشق مرتبه ولا يهاب قوة في الأرض، وإن سالم لا يستسلم، ولا تضعف عزيمته الأراجيف

والإشاعات، لا يستكين للاحتلال، يقاوم الغزو الذي يتنافى مع دينه، لا يقنط من رحمة الله.

والمطارد الحق يقظ أشد ما تكون اليقظة، حذر أعظم ما يكون الحذر، يتأهب لعدوه وينقض عليه، يتقرب إلى الله بمراغمة عدوه، ويعد العدة قبل كل جولة ولا يستهين بقدرات الخصم، يكر ويفر، حربه خاطفة، ذو وعي أمني شامل، يفهم القواعد، ويدرس ويخطط وينفذ ويجاهد في الليل والنهار في سبيل الله.

يطبق إستراتيجية التصادم في التثقيف الأمني والتسلح الثوري: فتوازن الرعب هو العنف المضاد حسب متطلبات الوضع القائم، عندما ينتهج العدو سياسة التعسف ليطغى، شعاره الحديد والدم والنار، وفي حالة الهدوء والتقاط الأنفاس يكون شعار «الصف الأبي» أو المقاومة السلبية والإشعار بالقوة وفي هذه الفترة يضغط نحو التخطيط والتجنيد والتعبئة والاستعداد الدائم واليقظة المستمرة وألا يغمض لنا جفن لأن الخصم لا ينام.

فاستمرار الجهاد هو الطريق الوحيد للقدس.. و١٠٠ استشهادي يخرجون الاحتلال من الضفة والقطاع إلى حدود عام ٦٧ فليجند الشعب مع كتائب الاستشهاديين وليحمل كل منا حقيبته الحمراء وينتظر الإشارة الخضراء لأن عدونا لا يعرف سوى شريعة الغاب ولا يفهم إلا لغة القوة.

حماس ثورة واقعية تتكلم من فوهات البنادق وتكتب بدم الشهداء وبشبابها العاشق للشهادة وتصنع المعجزات.

إن الحرب مع العدو الصهيوني هي حرب امتحان لقوى

الأمة الفكرية والتنظيمية والاجتماعية.. هي حرب وصراع حضارات ولا وقت للراحة والدعة وإذا وقعنا في الأسر فلا يجب أن تكون حريتنا موهوبة من عدونا، بل منتزعة منه رغم أنفه فتلك هي الحرية الحقيقية...

وابق أخي يا ابن حماس على عهدك مع ربك ماضياً على درب ذات الشوكة يصدق فيك قول القائل:

قسماتك القسام والأحزان صورتك الجميلة

قسماتك البارود والعرق المطهر والدخان

كمارد يعلو منتفض القبيلة.

ويبقى الجهاد أجمل أنشودة يطرب لها سمع الوطن فلا نامت أعين الجبناء.

أخوكم حسن سلامة



«في بداية التسعينيات وللمرة الأولى بدت ظاهرة الفدائيين الاستشهاديين، وكانت هذه بداية العمليات الخطيرة جداً بالتنظيمات المتعصبة وكان الهدف وقف العملية السلمية بطريقة أو بأخرى، وكان لهذا عشرون عملية استشهادية على الأقل بعد عامين من أوسلو وكان أول من استخدم هذه العمليات هم حماس القطاع (غزة) وتلاهم الجهاد الإسلامي، وتصاعدت وتيرة العمليات بعد مجزرة الحرم الإبراهيمي التي نفذها بروخ غولدشتاين في مغارة إبراهيم عام ١٩٩٤ وعندما تطورت العمليات الاستشهادية لتأخذ شكلاً خطيراً كتب قسم البحوث في الشاباك وثائق وآراء بعث بها إلى رئيس الحكومة إسحاق رابين وإلى عناوين أخرى في المستوى السياسي كتب فيها «إن العمليات الاستشهادية الإسلامية هي تهديد استراتيجي على دولة إسرائيل» وهي تهديد على قيامها حيث إنها أنتجت واقعاً جديداً إذ هي مست بأمن مواطني إسرائيل وهددت العملية السلمية والاستقرار في المنطقة كلها، وأكد الباحثون أن لهذه الظاهرة تأثيرات على مجالات أخرى إذ تم المس بالمعنويات القومية بشكل رادع وتشوش أنظمة الحياة والتسبب بأضرار مباشرة بالاقتصاد وأخرى غير مباشرة، وقد قيل في إحدى الوثائق إن سلسلة العمليات الصعبة قد تؤدي إلى وضع جديد عمليا «حالة طوارئ»، والتعامل مع هذه الظاهرة يوجب تغيير قوة الردع وطرق ووسائل اللعبة

القديمة وكذلك تم التأكيد على أن الحرب ضد العمل الفدائي توجب عمليات متواصلة ومستمرة في أماكن وأزمنة مختلفة من خلال تنسيق للطرق المستخدمة، والوسائل والإمكانات ضد الإرهاب، وقد توقعت ذات البحوث أنه بخروجنا من بعض المناطق وتسليمها للفلسطينيين فإن هذا يضعف أجهزة الأمن الإسرائيلي لما في ذلك من صعوبة المساس بالبنية التحتية للفدائيين إلا بالسيطرة على المناطق المتواجدين فيها، وتوقع باحثون أن بإمكان السلطة بأجهزتها المساس بالإرهاب الإسلامي بشكل حقيقي، غير أنها غير مصممة على ذلك، وتوقع ذات البحث بأن إسرائيل والعناصر الدولية تستطيع الضغط على السلطة وتهديدها لكي يحركوا عرفات لمحاربة الإرهاب الإسلامي بشكل قوي ومستمر، أما الاتفاقيات بين السلطة وبين عناصر الإرهاب فهي ليست ضمانة لوقف الإرهاب، ويسبب الخلط بين الفلسطينيين والإسرائيليين تصعب محاربة الإرهاب، بلغة أخرى لا بد من فصل الجانبين كما وضح رابين، ونذكر هنا بأن الإرهاب عندنا مدعوم من جهات خارجية وهذا يتطلب تنسيقاً دولياً مع الأخذ بعين الاعتبار أن ضربات قاسية ضد مراكز الإرهاب يمكن أن تجلب ردات فعل حادة وخاصة في الخارج ومن أهم الأمور في محاربة الإرهاب هو المعلومات الاستخباراتية وذلك من أجل التصفيات وتحديد الأهداف من أجل علاجها بشكل عملي، والمبادرة وتحديد إمكانية هجوم محدد، ولأجل هذه الأهداف وضعت البحوث وفيما يتعلق بالقدس تم التعامل بشكل مخصوص وجدي في مراقبة الشرطة على المداخل وكل مكان وتنشيط العمل الاستخباري، ومنع قيام

بنية تحتية لحماس في المدينة وفي جميع الدولة، وفي هذا الإطار ثم اقتراح سلسلة من الخطوات العملية ومنها إغلاق مؤسسات، ومكاتب، وجرائد، ومصادرة أدوات وأملاك وتنفيذ اعتقالات وتحقيقات محددة ومنع التحريض ومعالجة خطباء محرضين والتصعيب على الاتصالات بين عناصر إسلامية في القدس وأخرى في أوساط عرب إسرائيل، وقد كانت النشاطات منذ زمن في الاورينت هاوس هدفاً لاهتمام الشاباك والأجهزة الأمنية، وللحقيقة إن فيصل الحسيني وقف على رأس النشاطات وهناك نشاطات لمركز الدراسات الفلسطينية، ولقد أصبح الأورينت هاوس يمثل سفارة للسلطة في القدس وبعد هذه المعلومات التي تلقيناها عن النشاطات هناك تم إصدار أوامر منع نشاطات مخططة في الأورينت هاوس بعد وصول معلومات عنها قبل حدوثها.

لقد كان اختراق التنظيمات الإسلامية بعملاء أمر في غاية الصعوبة بل إن تحصيل معلومات عن عمليات استشهادية قبل حدوثها كان أمراً غير ممكن، إذ لم نكن نقدر على أخذ شاب عادي وقلبه إلى شاب إسلامي متميز يربي اللحية ويحرص على الصلاة في المسجد وجعله يخترق إحدى هذه الحركات، وبناء شخصية كهذه كعميل محتمل والنظر إليها على أنها أمنية هي عملية طويلة قد تأخذ سنوات، زيادة على ذلك توقع أن العميل قد يتأثر بالمحيط حوله وهكذا يتوب مرة أخرى وقد ينقلب بنفسه علينا، وكذلك لم يكن لدينا الوقت لهذا فقد كان علينا الحصول على نتائج سريعة، لهذا وجهنا كل الجهود لتشغيل أناس قريبين للتنظيمات الإسلامية وهناك من هم مستعدون للعمل مقابل

النقود أو لأجل دوافع أخرى وبمساعدة هؤلاء والمعلومات الاستخباراتية منهم نجحنا في منع وإحباط نشاطات وتجهيزات إرهابية هائلة جداً. غير أنه أحبطنا من بعض العملاء وليس هذا فحسب بل بعض من استأجرنا خانونا وأعطونا معلومات مغلوطة ومنهم من أخبروا رجال التنظيمات بتجنيدنا لهم وطلبوا الانضمام إليهم للعمل ضدنا ولكن على الرغم من كل هذا فقد نجحنا في ضرب التنظيمات بشكل قاس وكان أغلب هذا النجاح في فترتي وأذكر هنا بأن قدرة هذه التنظيمات على النهوض بدعم عربي قدرة عالية حتى لو اعتقلنا معظم النشطاء فلم يكن من الصعوبة على التنظيم تشكيل نواة تدير الاستشهاديين، وعلى خلاف ما نعرف لم يكن العنصر الديني هو الدافع الوحيد للاستشهاديين بل إن الانتفاضة أشعلت في قلوب الكثيرين رغبة الانتقام من إسرائيل وذلك لأسباب كثيرة منها الاعتقالات في ظروف صعبة، فقدان العائلة صديق أو قريب في إحدى المعارك ومعاملة الجيش السيئة خاصة التفتيش المهين وأمور أخرى، ويكفي تعامل سيئ مع أم شاب لسبب تافه فهذا يفجر في نفسه نار الانتقام.

إذا أخذنا العنصر الديني والرغبة في الانتقام وأضف الضائقة الاقتصادية والوعد بالجنة والحور العين ووعد التنظيم بالاهتمام بعائلته، فبهذا تكون أرضية جاهزة للحصول على عدد ليس بقليل من الاستشهاديين، ولقد كان أفضل الاستشهاديين بالنسبة لحماس والجهاد شباب غير متزوجين من عائلات فقيرة أصحاب عقيدة عميقة، فهم الذين يطيعون الأب الروحي بعيون مغلقة مع

استعداد مطلق للتنفيذ مع شجاعة عالية.

ومع الفحص وجدنا أن معظم الاستشهاديين من أبناء ١٨ سنة حتى ٢٤ سنة وأصحاب ثقافة معهدية أو فوق، وفي القطاع وجنين وقلقيلية ورام الله، كان هناك احترام لحماس، فجميعهم كانت لهم علاقة مع حماس والجهاد وعلى الأقل علاقة صداقة مع ناشطين من هذه التنظيمات ولهذا دوافع دينية وقومية فالجميع أرادوا موتا مقدساً ضد إسرائيل، وجزء أراد الانتقام لنفسه لما حل به أو بعائلته أو بالمقدسات الإسلامية وفي معظم حالات الاستشهاديين شمل التجهيز كتابة الوصية وتصوير فيديو (بآخر حديث) للاستشهادي وسداد الديون وتوزيع الحلوى للأقرباء والأصدقاء والتوجيهات التقنية بسيطة وليس فيها أي تعقيد وكان لجملة هذه التصرفات دور في مساعدة الشاباك لكشف ولو جزء من الاستشهاديين قبل تنفيذ المهمة وبالنسبة للتوجيهات التقنية للاستشهادي فهي أساسية وبسيطة والمطلوب من الاستشهادي الذي يربط على نفسه حزاما ناسفا بشكل أساسي هو الوصول للهدف دون إثارة الشبهة والضغط على الزر في الوقت المناسب، وتعليمات استشهادي مع سيارة مفخخة أكثر دقة فهي لا تشمل كيفية تشغيل العبوة بل يتعلمون قيادة السيارات خاصة المفخخة، ومسيرة تأهيل الاستشهادي هذه تتم في سرية تامة من أجل منع تسريب أي معلومة، فقد تميزت حركة حماس بهذا الموضوع والذين يحضرون المتفجرات لا يعلمون شيئاً، حتى رجل الدين يؤتى به قبل يوم أو يومين للاستفادة منه وتأثيره، نذكر بأن قلة المعلومات الاستخباراتية ذات الصلة صعبت

بشكل كبير القبض على المخربين قبل خروجهم، وقد ساعد من ألقينا القبض عليهم من الاستشهاديين في مساعدة المخابرات بمعنى أن لا مستحيل لكشفهم، فمرة اعتقلنا من نابلس ناشطا في الإرهاب وأخذناه إلى ماكنة فحص الكذب لكي نفحص إذا ما كان على علاقة بالإرهاب والعمليات أم لا وقد نفى كل التهم وأكدت الماكنة ذلك وبعد ذلك نفذ عملية قاتلة في القدس.

لقد منعنا الكثير من العمليات غير أن وسائل الإعلام لم تخبر بذلك وقد عملنا بتنسيق كامل مع الجيش ومع الشرطة وحرس الحدود غير أن المسؤولية عن كشف المخربين وإفشال عمليات ألقيت على كاهل الشاباك.

السخرية الكبيرة هي أن الجهود الكبيرة والنجاحات في منع الكثير من العمليات تذهب أدراج الرياح في حال وقوع عملية مدنية مزدحمة، وفي مثل هذا الحال يظهر الشعور بالفشل فتعقد جلسة لأخذ الدروس والعبر وتعرف أين أخطأت وكم وكيف كان بإمكانك إحباط العملية، ومثل هذا الحال قد يفيد في المستقبل غير أن الإحباط سيبقى، وفي الانتفاضة كشف الشاباك خلال شهور عشرات النشاطات التخريبية التي من شأنها المساهمة في نجاح عمليات تجر المآسي.

ونذكر بأن الاعتقالات الواسعة والتحقيقات وأخذ الدروس والعبر ليس لها أن تمنع عمليات ذات طابع فردي في تنفيذها الأمر الذي يلقي بغمامة ضخمة على كل الجهود الجبارة التي يتم استثمارها.

صحيفة معاريف

الكاتب: موشي زوندر ونوف زئيفي



القصة الكاملة

«وهكذا تم تصفية المهندس»

خلال متابعة برنامج «محادثة ولجنة» التلفزيوني خرق جدعون عزرا نائب رئيس الشاباك السابق جدار الصمت المتعلق باغتيال المهندس يحيى عياش وذلك في أعقاب العملية الاستشهادية المزدوجة التي نفذتها حماس في سوق محني يهودا في القدس في ١٩٩٧/٧/٣١.

فقد أكد عرزا للمرة الأولى منذ عملية الاغتيال مسؤولية الشاباك عن تصفية المهندس يحيى عياش حيث لم تكن إسرائيل قد اعترفت رسميا بذلك واكتفت بالإشارة إلى مسؤولية الرجل عن عمليات استشهادية مخيفة لم تشهد إسرائيل مثلها من قبل.

وفي سياق حديثه أشار جدعون عيزرا إلى أن رئيس الشاباك كرمي جيلون استطاع أن يصفي يحيى عياش حيث وضع الخطة لذلك وتم الاغتيال بواسطة هاتف نقال في حين أشار إلى محيي الدين الشريف الذي لا يزال يتجول بحريته وهو مطلوب مركزي تتعقبه إسرائيل بعد يحيى عياش.



خلال شهر مايو أيار ١٩٩٣ برز اسم يحيى عياش كأحد أخطر المطلوبين لإسرائيل في أعقاب اكتشاف مسئوليته عن

السيارة المفخخة التي تم ضبطها في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٩٢ في رامات أفعال، وتفجير سيارة مفخخة في عملية استشهادية في غور الأردن - استراحة محولا.

وفي إبريل نيسان ١٩٩٣ أطلق رئيس الحكومة إسحاق رابين لقب المهندس على يحيى عياش خلال خطاب له إقراراً بدقته المطلقة في تركيب العبوات الناسفة.

وفي نهاية أكتوبر ١٩٩٤ وبعد عملية استشهادية في خط ٥ بتل أبيب قرر (الكابينت) - المجلس الوزاري المصغر - تصفية قيادة حماس واتخذ قرار تصفية يحيى عياش حسب مجلة (اوبزيرفر) البريطانية، وبالفعل فبعد أكثر من سنة من هذا الاجتماع في صبيحة يوم الجمعة ٥ يناير ١٩٩٦ تم اغتيال المهندس يحيى عياش في عملية معقدة بل الأكثر تعقيداً في تاريخ الشاباك وخلال الصفحات القادمة سوف سيتم ذكر التفصيلات من مصادر مختلفة وذات علاقة اعتبر يحيى عياش أخطر المقاومين وأشرسهم الذين واجههم الشاباك في تاريخه وتحديداً في سنوات ٩٤-٩٥ فقد كان مسؤولا عن مقتل ما يزيد عن سبعين إسرائيلياً وما يربو على الـ ٢٤٠ جريحا، ومن بين العمليات الصعبة التي نفذها.

❖ **عملية العفولة:** ٦ إبريل/نيسان ١٩٩٤ مقتل ثمانية وجرح العشرات.

❖ **عملية الخضيرة -المحطة المركزية:** ٣ إبريل/ نيسان ١٩٩٤ مقتل خمسة وجرح العشرات.



❖ **عملية الدزنجوف - تل أبيب:** ١٩/ أكتوبر / تشرين الأول ١٩٩٤ مقتل واحد وعشرين وجرح العشرات.

❖ **عملية بيت ليد:** ٢٢ يناير/ كانون الثاني ١٩٩٥ مقتل خمسة أشخاص وجرح العشرات.

وغير ذلك من العمليات....

التخفي:

المهندس الذي تحرك بذكاء وتحت ستار أمني أخفاه عن الأنظار في منطقة شمال الضفة الغربية نجا أكثر من مرة من الاعتقال أو التصفية حيث كانت قوات الأمن تصل إلى فراشه أحياناً لتجده فارغاً ويتضح أنه تمكن من الفرار قبل لحظات قليلة... ولكن بعد عملية خط (٥) في الدزنجوف - تل أبيب والتي كانت الأكثر دموية شنت قوات الأمن حملة واسعة النطاق للعثور عليه وحيث شعر المهندس أن النار تقترب منه واشتد الضغط الأمني عليه تمكن من ترك الضفة الغربية وانتقل إلى غزة.

تنقل يحيى عياش بين بيوت غزة مستعيناً بنشطاء حركة حماس الذين آووه في منازلهم إلى أن اتصل المهندس بزميله في الدراسة أثناء وجوده في جامعة بير زيت سابقاً أسامة كمال حماد الذي يعتبر صديقاً لعياش ومن ناشطي حماس المعروفين واتفق معه على توفير مكان آمن يقيم فيه وبالفعل انتقل المهندس يحيى عياش ليقيم عن صديقه أسامة حماد في حي من أحياء بيت لاهيا على مقربة من أحد مراكز الشرطة الفلسطينية وقد اعتنى أسامة بصديقه القديم يحيى واعترف أنه شرف عظيم له أن يقوم على خدمة المطارد رقم (١) الذي يثق به.

كمال حماد:

كمال حماد هو خال أسامة حماد وهو مقاول معروف في قطاع غزة وداخل إسرائيل ويبلغ من العمر ٤٥ عاماً، كان معروفا بعمالته لإسرائيل أيام الحكم العسكري الإسرائيلي إلى جانب صلاته القوية مع رموز قادة فلسطينيين.

كمال حماد الذي كان يتجول تحت حراسة اثنين من المسلحين ويحضر لخوض انتخابات المجلس التشريعي إلا أنه عدل عن ذلك فيما بعد تمكن من تحرير ابن أخته أسامة من سجن السلطة في منتصف ١٩٩٥ عن طريق صديقه الحميم موسى عرفات رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية في السلطة والمسؤول المباشر عن ملف حركة حماس.

بعد خروج أسامة من السجن وظفه خاله كمال حماد في مكتبه في القطاع وقربه منه.. وكان أسامة يقيم مع أمه شقيقة كمال حماد في بيت رقم ٢ في شارع الشهيد الكحلوت في بيت لاهيا، ولم يكن عياش الذي يقيم في نفس البيت يخرج من البيت إلا متخفياً.

كمال حماد أعطى ابن أخته (أسامة) هاتفاً خلوياً في إطار عمله معه في المقاولات والبناء لاستخدامه في العمل على حساب كمال حماد نفسه وبعد شهرين تعطل... وهكذا بدأت قصة تصفية المهندس يحيى عياش..

اعتاد يحيى عياش أن يتصل بأهله من خلال جهاز أسامة حماد وأعطى والده (عبد اللطيف عياش) رقم الجهاز وهو (٠٥٠٥٠٧٤٩٧) في حين كانت زوجته (هيام) وابنه (يحيى) وأمه يترددون عليه في زيارات عائلية في نفس الفترة.

الرسول المخدوع:

هكذا أطلق رجال الاستخبارات الإسرائيلية هذا اللقب على (كمال حماد) الذي كان حسب الإعلان الإسرائيلي لا يعرف أن التلفون الذي وافق على نقله من الشاباك إلى المهندس قد زرعت في سماعته عبوة بوزن ٥٠ غم، كان الاعتقاد أن الشاباك يمكنه زرع جهاز تنصت دقيق وليس عبوة ناسفة لذلك فإن قاموس الاستخبارات الإسرائيلي يسمي من ينفذ مهمته وهو لا يعرف تفاصيلها رسولا مخدوعاً.

والدة أسامة حماد (زينب حماد) تبلغ من العمر ٤٧ عاماً والأخت الكبرى لكمال حماد تحدثت قبل أسبوعين فقط مجيبة على تساؤلات مهمة.....

س: أين عرف أسامة يحيى عياش «المهندس»؟

- تعرف عليه خلال الدراسة في جامعة بير زيت حيث كان أسامة متديناً ويهتم بالتحصيل العلمي وبعيد عن النشاط السياسي وعلاقته بيحيى علاقة زمالة وصداقة من خلال الدراسة وعلى هذا الأساس استقبل أسامة صديقه يحيى ليسكن عنده مثل كل صديق.

س: كم من الوقت مكث المهندس عندكم؟

- ستة شهور تقريباً منذ شهور يونيو ١٩٩٥.

س: هو ببساطة وصل إليكم في أحد الأيام وطرق الباب؟



- نعم... وقد تفاجأ أسامة إذ كان يعتقد أن يحيى عياش في السودان وقد سأله عن ذلك.

س: ألم تشعروا بالخطر من وجوده؟

- أبداً... حيث لم يمارس من البيت أي عمل وكان يدخل ويخرج بشكل طبيعي جداً ويقابل زوجته وأولاده.

س: هل كانت له غرفة خاصة به؟

- نعم... وكان يجلس عندنا ثم يصعد إلى غرفته.

س: ألم يسأل الجيران عن هذا الضيف الغريب؟

- بيتنا معروف بالمحافظة والتقاليد وهو كان كإبن للعائلة ومسألة التخفي هو حر بذلك ولم يسألنا أحد.

س: ألم تخافوا من ضيافة الإسرائيليين أو السلطة؟

- لا... قال لي أسامة أن يحيى لا يحمل هوية مزورة ولم يكن معه أدوات للتخفي.. فقط ما أعلمه أنه كان يحمل مسدساً حتى الأولاد في البيت لم يعرفوا أنه يحيى وكانوا ينادونه باسم حسن (أ. أحمد) في حين كان أسامة يكني نفسه بعبد الله وحين يتحدث مع والد يحيى عياش يعرف نفسه عبد الله خشية أن يعرف اليهود عنه.

س: هل تتذكرين ردة فعل عياش عند اغتيال رابين؟

- كان يحيى مسروراً لأن رابين كان قد أعلن أنه يسعى لقتله.

س: لم تعرفوا في نفس الوقت أنه يوجد خلف المهندس مطاردة؟

- من يعرف من الناس أن المهندس عندنا!.



س: هل يعني أنكم لم تتخيلوا أن يحدث شيء مثلا بواسطة البلفون؟

- البلفون لم نأخذه من اليهود، أخي كمال حماد هو الذي شغل أسامة وأعطاه نقودا لشراء البلفون وقد اشتراه من شركة نبيل للبلفونات في غزة.

س: إذا كيف عرف كمال حماد أن يحيى عياش موجود هنا؟

- التلفون عندنا كان تحت المراقبة والتلفون هو الذي كشف عن مكان وجود يحيى.

س: ما هو اليوم الذي اشترى فيه أسامة البلفون؟ وهل أعطاه لأحد؟

- أخي كمال أخذه من أسامة مرتين، مرة كنا نسمع فيه تشويش فأخذه كمال للإصلاح ومرة أخرى أخذته زوجته سامية. أذكر أنني قلت لأسامة خالك أخذ البلفون وكان ذلك في ديسمبر أسبوعين تقريباً قبل استشهاد المهندس.

في نفس اليوم الذي استشهد فيه يحيى كان والده يريد أن يتصل بابنه ويبارك له بالمولود الجديد حيث أخذ موعداً في يوم الجمعة ٥ يناير في الساعة الثامنة صباحاً.

ولكن في هذه الفترة بدأ التلفون البيتي يظهر فيه مشاكل وتعطيلات حيث كنت أرفع السماعة ولا أسمع ما يقال لي، ولم نكن نعلم أن التلفون تحت التنصت الإسرائيلي واعتقدنا أن الأمر هو مجرد خطأ فني، استمر هذا الأمر أكثر من شهر حيث كانت توجد صعوبات في يوم الحادث نفسه اتصل كمال في الساعة السابعة والنصف صباحاً وردت عليه زوجة أسامة وكان التلفون يعمل بشكل طبيعي وسألها عن زوجها فأجابته أنّه ما زال

نائماً... فطلب منها أن تفتح البلفون لأن مكالمة مهمة سوف تأتيه بخصوص العمل وبالفعل فتح أسامة البلفون وبعد قليل اتصل أبو يحيى عياش على التلفون العادي وردّت عليه زوجة أسامة فسألها عن (عبد الله) وهو أسامة ولم تكمل المكالمة لأن التلفون انقطع.... وبعد وقت قصير اتصل أبو يحيى على البلفون ورد عليه أسامة فطلب أن يتحدث إلى يحيى فقام أسامة بنقل البلفون إلى يحيى في غرفته على سريره وقال له أبوك على الخط وأعطاه الجهاز وغادر الغرفة كي يأخذ راحته في الحديث.

أسامة قال لي إن أبا يحيى استطاع أن يسأله كيف حاله وكيف حال زوجته والمولود الجديد وعندها انفجر الهاتف... ولم تكن زوجة يحيى موجودة معه في البيت في ذلك اليوم.

تقول هيام عياش زوجة المهندس أن زوجها وصل إلى البيت الذي كان يتخفى فيه في الساعة ٤:٣٠ صباحاً بعد أن أنهى العمل الليلي حيث صلى الفجر وذهب للنوم حتى الساعة الثامنة حيث استيقظ وتناول الإفطار وبعد وقت قصير جاءت المكالمة القاتلة وقالت: إنها كانت تسكن مع ابنها براء والمولود الجديد الذي ولد قبل أسبوع ونصف لاستشهاد أبيه يحيى في بيت مستقل على بعد أمتار من البيت الذي يقيم فيه المهندس وكان يحيى يتردد كل يوم تقريباً على بيت زوجته في أوقات مختلفة ويدخل متخفياً بزي امرأة ولم يكن يحدد لزوجته موعد حضوره بالضبط.

يقول عبد اللطيف عياش (والد يحيى):

اتصلت بيحيى في نفس يوم استشهاده في الساعة الثامنة والنصف صباحاً على الهاتف العادي للبيت الذي كان يقيم فيه ولكن الخط كان مشغولاً طول الوقت، فوراً اتصلت على بلفون أسامة صاحب البيت، والكثير من الناس حذرونا من خطورة التكلم على البلفون لأنه مراقب ويمكن لليهود أن يتنصّتوا عليه وأنه أخطر من الهاتف العادي.....

قلت ليحيى إنني حاولت أن أكلمك على الهاتف العادي لكنه كان مشغولا طول الوقت، ولا يجب أن نتحدث على الهاتف الخلوي بعد الآن.... من الجهة الأخرى سمعت كلمات يحيى الأخيرة كيف حالك يا أبي؟ وقطعت المكالمة.....

لم يشك أبو يحيى في الأمر وعاود الاتصال مرة أخرى إلا أن البلفون كان مغلقاً فاتصل مرة أخرى على بلفون أسامة الذي طمأن أبو يحيى وقال إن المكالمة قطعت بسبب إشكال بسيط وطلب منه أن يتصل في وقت آخر.

حسب تحقيقات أجهزة الأمن الفلسطينية فقد أقامت إسرائيل غرفة عمليات قيادية عسكرية في مستوطنة إيلي سناي شمال قطاع غزة في الساعة السابعة صباحاً قبيل استشهاد المهندس، وفي سماء غزة كانت تحلق طائرة صغيرة مهمتها إرسال الإشعاع القاتل إلى بلفون المهندس.



الشاباك كان يعيش أزمة ثقة بعد اغتيال رابين وأراد كارم يجيلون رئيس الشاباك أن يعيد قليلاً من الثقة بالشاباك.

عودة إلى زينب حماد:

س: هل شاهدت شيئاً ما في السماء صباح الاغتيال؟

- نعم، كانت طائرة تحوم في السماء في نفس منطقة البيت وهذا لم يلفت النظر ولم يخف المهندس الذي لم يخف يوماً من اليهود أو غيرهم.

س: هل سمعت الانفجار؟

- نعم، سمعت الانفجار وتمنيت أن ينهار المنزل ونقتل جميعاً معه... وهو كان يتمنى أن يأخذ معه يهوداً في استشهاده.

س: هل دخلت داخل الغرفة بعد الانفجار؟

- بالطبع، كان الدم يملأ المكان ويحيى يجلس على السرير ومخه قد تفجر وتطاير على الجدران وعلى وجه أسامة.... أما جسمه فقد بقي كاملاً.... وفقط إصبعيه الذين كان يمسك الهاتف بهما قد قطعا وكذلك الأذن اليمنى والمخ قد تفجر.

س: أين كنت عندما تم قتله؟

- في البيت تحت، صعدت إلى الأعلى وأردت أن أنظف ولكن لم أستطع وكنت غير قادرة على ذلك.

س: وبعدها وصل إلى هنا رجال حماس؟

- نعم، هم جاؤوا وأخذوا الجثة وأرادوا أن يخفوها ولكن لم يعرفوا أين يضعوها وأرادوا وضعها في الثلاجة لمدة أسبوع.

س: من نظف كل شيء؟ هل هم رجال حماس؟

- لا نحن الذين نظفنا المكان وأردنا أن لا يعلم أحد

ما جرى... حين حضر رجال السلطة الفلسطينية تجولوا في البيت وفحصوا، كنا نحن قد نظفنا كل شيء من أجل أن لا يبقى علامات. حتى الساعة الثالثة مساءً لم يعرف أحد حقيقة ما جرى لكن اليهود أعلنوا عن مقتل يحيى عياش في شمال قطاع غزة في أحد البيوت.

يعني من الساعة التاسعة والنصف صباحاً حتى الساعة الثالثة مساء لم يعلم أحد حتى السلطة الفلسطينية عرفوا فقط بعد الإعلان الإسرائيلي.

في الساعة الرابعة ذهب رجال حماس إلى محمد دحلان رئيس الأمن الوقائي في القطاع حيث اصطحبوه إلى البيت وجلسوا مع أسامة ثم خرجوا معاً ومعهم أسامة وكان معهم أيضاً محمد ضيف.

س: هل طلبهم دحلان أم جاؤوا إليه هم؟

- خلاص... منذ أن أعلن اليهود عن جريمتهم الكل عرف بالأمر... وماذا يمكن للسلطة أن تفعل... اليهود هم الذين دلّوهم على مكان تنفيذ عمليتهم.

التضليل:

حسب المصادر الفلسطينية فإن حماس أرادت أن تخفي جثمان المهندس فأخفت خبر استشهاده في سعي منها لجعل قصة عياش أسطورة غامضة ولكن الضغط من قبل السلطة وإعلان

إسرائيل جعل حماس تكشف عن الجثة لأجهزة الأمن الفلسطينية.

وبعد عملية التصفية تم إحضار أسامة لكي يدلي بشهادته كشاهد عيان لجريمة الاغتيال أمام اللجنة المشتركة بين السلطة وحماس برئاسة محمد دحلان، من جهة أخرى صرح إبراهيم غوشة عضو المكتب السياسي لحماس من عمان أن هناك عملاء لإسرائيل خلف العملية.

الانفجار الذي أودى بحياة المهندس لم يسمع خارج البيت واستمرت الحياة طبيعية خارج المنزل في الحي... قام أسامة الذي كان تحت الصدمة بتغطية رأس الشهيد بالكوفية الحمراء (رمز الشهيد) التي أصبحت جزءاً من رمزية المهندس... ويقول أسامة «اتصلت بأصدقائي في كتائب الشهيد عز الدين القسام وأخبرتهم بما حدث، وقلت لهم كل شيء عن خالي كمال».

تقريباً ساعتين تُركت جثة يحيى عياش على الأرض حتى وصل إلى البيت رجال وقادة كتائب عز الدين القسام.. ففي حوالي الساعة الحادية عشر: صباحاً وصل عبد الفتاح السطري ومحمد ضيف.

حسب مصادر فلسطينية وجد في الغرفة مسدس المهندس الخاص الذي كان قد سُرق من مستوطنة في الضفة، وعدة كتب بالعربية والعبرية وملابس المهندس وملابس نسائية، رجال حماس سارعوا بنقل الجثة ودفنها.

كان المهندس بطلاً قومياً له شعبية واسعة جداً بعد نجاحه في تنفيذ سلسلة من العمليات التفجيرية وكلما نجح في عملية ازدادت شعبيته إضافة إلى قدرته على التخفي والإفلات

من الشاباك في مرات عديدة وكان يكنى بين الشعب بكنى عديدة مثل: صلاح الدين وعز الدين القسام والمخ وأبو الجلدة الجديدة وكارلوس... وفي المساجد كانوا يتحدثون عن كراماته وصفاته وشجاعته.

الإعلان:

كانت السلطة الفلسطينية لا تعلم شيئاً عن حقيقة ما جرى عندما أعلنت إسرائيل عبر وسائل إعلامها في ساعات المساء عن اغتيال المهندس، فشرعت قوى الأمن الفلسطينية بالبحث عن المنزل الذي تقول إسرائيل إن المهندس قد قتل فيه.. وعندما وصلوا إلى العنوان الصحيح تصرف أسامة بشكل طبيعي وفتح للشرطة الباب وأرشدهم إلى غرف البيت للتفتيش.. لم يتم العثور على أي أثر للانفجار في الغرفة.. وبعد وقت انتبه أحد الضباط إلى نقطة دم على الجدار وخلال التفتيش الواسع بعد ذلك عثروا على نقاط دم أخرى على الأثاث وعلى الحيطان وتم العثور على قطعة تدل على الانفجار الذي تبين أنه وقع قبل عدة ساعات.

اعتقل أسامة على الفور أعطى شهادة مفصلة... طلبت السلطة من حماس إخراج الجثة وتسليمها وبالفعل تم نقل الجثة إلى مستشفى الشفاء في غزة وقام دحلان ومحمد ضيف يتشخيص الجثة وتم إرسالها إلى التشريح.

أسامة حماد أدلى للصحافة بكل شيء عن الحادث ووجه أصابع الاتهام لخاله كمال وقبل المحققون من الشرطة وحماس شهادته وبرأوه من أي اتهام.

أوضحت زينب حماد والدة أسامة أن أسامة تم اعتقاله في ١٧ مارس ١٩٩٦ لدى إسرائيل بعد سلسلة من العمليات.. أما الآن فهو معتقل لدى (موسى عرفات) المسؤول الأمني في السلطة في سجن غزة المركزي وكذلك اعتقلت معه أخته بنتي كريمة ٢١ عاماً المتزوجة ولها ولد وهي غير مستقرة نفسياً... وأرادوا من اعتقالها كسر أسامة وحتى اليوم لا زالوا معتقلين.

المفاجأة:

في صبيحة ٥ يناير ١٩٩٦ كان (كمال حماد) في يافا.. قبل تصفية المهندس يحيى عياش بساعتين كان في مواقع البناء التي يشرف عليها هناك فقد شوهد في الساعة الحادية عشرة قبل الظهر في شارع رقم (٥) حيث كان يمارس عمله كالمعتاد ولم يعلم شيئاً عما جرى في بيت أخته في غزة وبعد سماعه الخبر على الراديو في ساعات المساء أسرع للخروج من يافا. كمال حماد كان قد خطط لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية حيث يوجد ابنه أيمن ابن ١٩ عاماً الذي كان لديه مشاكل مالية ودراسية وأراد أبوه أن يتابع أمور ابنه.. وفي لحظة سماعه خبر الانفجار في بيت لاهيا أسرع كمال حماد بالاتصال بزوجته سامية وطلب منها مغادرة القطاع فوراً والسفر إليه في تل أبيب ومن هناك سافر معها إلى أمريكا على متن الطائرة الأولى وحتى قبل أن يتحدث أحد عن صلة كمال حماد بعملية الاغتيال.

الصديق الحميم لكمال حماد في غزة المسؤول الأمني

في السلطة (موسى عرفات) لم يكن يعرف كيف يتصرف فقد تلقى ضربة قاسية ووضعه اهتز جداً في القطاع... في نفس الوقت فقد اعتقلت السلطة خمسة من العائلة منهم شقيقه محمود وأحد أصهاره وأخ زوجته الثانية (عبلة) وابن أخيه أكرم حماد.. وفيما بعد أطلق سراح (محمود) الذي ثبت عدم صلته بموضوع المهندس وأنه لا يعرف شيئاً... وبعدها أخذ العائلة (زوجتين +١٢ ولد) وانتقل إلى يافا للعيش في بيت بناه كمال حماد وهناك بعد تعرضهم لملاحقة الأهالي في الحي الذين هددوهم بالقتل.

خمسة أيام بعد استشهاد المهندس داهمت قوات الأمن الفلسطينية فيلا كمال حماد في شارع ناصر في غزة أمام أعين المئات الذين هتفوا بالانتقام وتم نقل أفراد العائلة تحت حراسة الشرطة المشددة وتم تفتيش البيت ومصادرة وثائق وفي النهاية سمح لزوجته (فاطمة) (إحدى زوجاته الثلاث) أن تسكن في البيت بعد أن قررت البقاء في القطاع وعدم اللحاق بزوجها الهارب، أما زوجته الثانية (عبلة) فقد تركت القطاع مع أولادها الستة بعد تعرضهم يومياً للإهانة من الناس وهي الآن تسكن في إسرائيل وعملياً هي مفصولة عن زوجها الذي يعيش مع زوجته الشابة سامية وولديه الصغيرين... وهناك الآن من عائلة كمال حوالي سبعين شخصاً موجودون في إسرائيل.

كمال حماد في أيام التصفية الأولى اختفى في الولايات المتحدة حيث لم يعرف كيف يواجه هذه الورطة الكبيرة والضربة القاسية جداً التي تلقاها فقد تم إيقاف مشروع بناء كبير كان قد بدأ به واندهش المشتركون بالمشروع من هروب كمال إلى أمريكا

بعد اغتيال المهندس يحيى عياش... ابن كمال في أمريكا (أيمن) ترك أمريكا ويتجول في العالم... أملاك كمال في القطاع قامت السلطة بمصادرتها وهي تشمل بنايتين كبيرتين وساحة ضخمة كان كمال يريد أن يقيم عليها أبراج سكنية ومجمع تجاري ضخم في شارع ناصر وصودرت سيارات له من نوع مازدا و GMC إلى جانب خسارة كمال للأموال الطائلة التي كان يريدها من الناس ولا أحد منهم ينوي سداد دينه وبعد ما حدث وفي الإجمال فقد تم تقدير الأملاك التي صودرت لكمال حماد بحوالي عشرين مليون دولار وأما أملاكه في يافا فقد باعها بخسارة كبيرة بثلث سعرها حسب قوله.

كمال حماد اليوم في وضع سيء جداً فهو ملاحق قانونياً من السلطة كذلك فهو معرض للأخطار من الشعب وكل يوم تقريباً تتحرى السلطة عن مكان وجوده وتستدعي أفراد من العائلة للاستجواب... وهو الآن في وضع نفسي غير طبيعي بعد فقدانه لأمواله وأملاكه ومركزه.

تحليل صحفي للكاتب الكس فيشحان

نشر في (يديعوت احرنوت)



"لماذا تمت تصفية المهندس الآن"

السالكون درب يحيى عياش على خطاه

«الوريث كما يبدو محمد ضيف عياش

المقر قائد خلايا عز الدين القسام في الضفة والقطاع»

عملية اغتيال المهندس يحيى عياش أغلقت «فصلاً جديداً» في تاريخ المقاومة الفلسطينية، ولكن المقاومة لم تمت... تلاميذ المهندس كثيرون ويتجولون في الضفة والقطاع والقدس ويهددون بزرع الموت... فعياش لم يكن يعمل فقط في إنتاج العبوات المتفجرة وإعداد استشهاديين، لكنه ظل يعمل طوال الوقت لتعليم جيل كامل يتابع الطريق. وفعلاً فقد أثبت تلاميذ المهندس قدرتهم في عمليات مثل رمات أشكول ورمات جان.

في قطاع غزة تنتشر خلايا عز الدين القسام بقيادة محمد ضيف وريث المهندس يحيى عياش والذي يدير خلايا أيضاً في الضفة الغربية.

الحرب ضد المقاومة الفلسطينية طويلة الأمد وشاقة وقد كسبت بالأمس نقاطا كبيرة ولكن يجب أن نتذكر أن الحرب متواصلة ويتطلب هذا الكثير من الصبر والإصرار ولا يوجد ضربة قاضية.



تصفية المهندس تؤذن بنهاية فترة الاستراحة التي التزمت بها المقاومة الإسلامية في قتالها لإسرائيل، فحتى يوم

الجمعة يوم اغتيال عياش كانت حماس على استعداد لتعليق عملياتها حتى تنتهي انتخابات السلطة الفلسطينية وتتم عملية الانسحاب من الخليل... فالمصلحة القومية الفلسطينية أجبرتهم على التوقف.

الآن تغيرت قواعد اللعبة فعياش بالنسبة لحماس وسائر الشعب الفلسطيني رمز وطني في النضال العسكري وتصفيته تعني نهاية الأسطورة النضالية، لذلك توعد تلاميذه بالانتقام لمعلمهم.. ولا بد من أخذ تهديدهم بجدية؛ لأن مشاعر الانتقام تنتشر بشكل واسع في الشارع الفلسطيني حتى من أنصار حماس وعياش فالانتقام قادم حتى ولو بالسكاكين.

روني شكيد

يديعوت أحرنوت

١٩٩٦/١/٧



«إغلاق شامل على الضفة والقطاع لمنع عمليات الانتقام»

الطوق الأمني الشامل سيستمر حتى إشعار آخر يمنع بموجبه العمال من التوجه إلى إسرائيل ويسمح بنقل البضائع فقط عبر معبر كارتي في غزة.

اتخذ القرار لدى الأجهزة الأمنية بعد نقاش طويل وقدرت أجهزة الأمن أن حماس ستعمل بكل قوتها للانتقام وكذلك فإن عمليات انتقام فردية يمكن وقوعها ولو بالسكاكين وفي هذا الإطار فقد تم تشديد الحراسة ونشر قوات إضافية على طول الخط الأخضر كذلك أعلم القائد العسكري للمنطقة الوسطى عن منع دخول إسرائيليين إلى مناطق السلطة الفلسطينية لأسباب أمنية وتم الإعلان عن مناطق (A) الخاضعة للسلطة مناطق عسكرية مغلقة.

مسؤول الشرطة أسافَ حيفتس دعا رجال الشرطة إلى اليقظة والانتباه في الحراسة ورغم عدم إعلان حالة طوارئ قصوى فإن كل التجهيزات الخاصة بالقدس وحولها مستمرة.. والشرطة تطلب من المواطنين الحذر خاصة في المناطق المكتظة والباصات والمحطات حيث يجب إبلاغ الشرطة عن أي شخص أو جسم مشبوه.

وفي جانب السلطة فهي تقوم بنشاط أمني مكثف ويقوم رجال الشرطة الفلسطينية بفحص السيارات والتفتيش بحثاً عن استشهاديين وأقامت الحواجز لهذا الغرض في كل مكان.



ردود فعل إسرائيلية

يديعوت أحرنوت ١٩٩٦/١/٧

ليئا رابين: قالت زوجة رئيس الوزراء اسحاق رابين «أنا آسفة لأن زوجي لم يحظ برؤية هذا اليوم» تعليقا على استشهاد عياش.

نائب وزير الدفاع أوري أور: قال أن تصفية يحيى عياش شيء كبير... أن يقتل هذا القاتل... ورفض أن يعلن صراحة عن مسؤولية إسرائيل ولكنه اكتفى بالقول: إن الحرب ضد الإرهاب لم تبدأ اليوم ولن تنتهي غداً، وذكر أن السلطة ادعت طول الوقت أن عياش غير موجود في غزة.

ملاحظة: أوري أور انتحر بسبب الأمراض بمسدس أطلق منه النار على رأسه.

رئيس الشاباك السابق يعقوب بري (ممنوع أن نخدع): إنني أحذر من خداع أنفسنا إذا اعتقدنا أنه تم تصفية عمليات المقاومة والاستشهاديين، فعياش كان على مدار السنوات الماضية حجر أساس في إعداد العبوات، وذهابه سوف يؤثر مرحليا على قدرة المقاومة الإسلامية وقال: إن تصفية المهندس هي إثبات أن كل مقاوم سوف نصل إليه وسوف يكون هذا مصيره.

عودو مروز والد ستره ووز (التي قتلت في خط (٥) بتل أبيب علق على تصفية عياش بقوله:

«نحن لا نحتفل هذا المساء.. لم يكن بيننا حساب مفتوح وشلال الدم ليس عياش من فتحه ولكن الذي بدأ هذا الأمر هو جولد شتاين».

أمها أضافت: فقط أنا خائفة من المهندسين القادمين في الطريق.. يجب أن نفهم أن عملية الاغتيال لن تشعرنا بالارتياح على الذي فقدناه بشكل شخصي



لماذا تمت تصفيته بالذات الآن

الصحفي: الكس فيشمان

يديعوت أحرنوت ١٩٩٦/١/٧ الأحد

كانت هذه عملية تصفيه مع الرمز إلى مدرسة معينة أو نمط معين في التفكير هذه ليست عملية تصفية لقاتل تم الإعلان عنه أنه ميت على يد رئيس الحكومة ولكن كانت عملية تصفية ومحكمة في إطار أن يحيى عياش نفسه كان سعيداً لنسخ وكتابة إحدى كراساته عمله حيث تم الحديث معه في نفس اللغة التي يفهمها.

المهندس تم إعطاؤه هذا اللقب من قبل رئيس الحكومة ووزير الدفاع في إحدى الجلسات لمجلس الوزراء المصغر وتمت تصفيته حسب التقارير التي تصل من غزة على يد مهندس حسب الظاهر إنها الدراسة الإلكترونية في مؤسسة معتبرة الآن شخص ما يبحث خلف بصمات الأصابع لهذا المهندس المجهول.

ليس كل مطلوب له الحظ أن يوضع اسمه على طاولة رئيس الوزراء لكي يتم الإعلان عن المطلوب أنه ميت أو هدف معلن للتصفية فهو يريد أن يكون رمزاً حيث إزالته تخدم سياسة الردع، حيث يوجد اغتيالات هادئة لا تصل إلى العناوين والتي هدفها الحد من

القدرة التنفيذية لتنظيم أو لآخر لدى رجل والتي تهدف إلى إرسال رسالة رادعة واضحة أنه لا يوجد لدى رجل من رجال الإرهاب أي حصانة حيث كل تشويش يفعله الإرهاب سوف يأتي اليوم الذي يُزال فيه.

إن معايير التصفيات المعلنة حسب الإعلانات عنها في الخارج تحتها حسن سلامة وإرساء «أيلول الأسود» بعد مذبحة الرياضيين الإسرائيليين في ميونخ ومشغلي الإرهاب مثل أبو جهاد ورئيس الجهاد الإسلامي فتحي الشقاقي بعد العملية في بيت ليد ورئيس الجهاز العسكري لحماس عماد عقل والمهندس يحيى عياش وهذه قائمة جزئية فقط ويمكن القول إنه لكل تصفية علنية مثل هذه تكون تأثيرات معنوية إيجابية من الداخل وهو يساعد على تقوية الصورة السرية لأجسام متعددة تقف خلف التصفية.

شخصية يحيى عياش لم تناسب نسخة قائمة أبطال المقاومة الفلسطينية حيث كان كبيراً في السن نسبياً، صاحب عائلة جاء من قرية لم تكن تعرف كمصدر للإرهاب لا يوجد له شخصية كارزمية لم يكن عنده نمط قيادي، إنه إنسان طور مع الوقت تصرفات كثيرة الشك! قليل جداً من الناس يستطيعون أن يعرفوه حتى من مساعديه.

نمط الحياة التقشفي ولكثرة الشك والحرص الذي كان يتصرف بهما أدخلاه إلى قائمة المطلوبين بعد نصف سنة من محاولة تنفيذ العملية القاتلة (عملية السيارة المفخخة في رامات أفعال) حيث ساعده ذلك على التخلص من أيدي قوات الأمن الإسرائيلية لأكثر من سنتين ونصف بسابقة لم يسبق لها مثيل وخلال هذه الفترة كان العياش على رأس المطلوبين، فالعمليات التي نسبت له قتل

بها أكثر من ١٥٠ إسرائيلياً، وطريقة الاستشهاديين التي كان هو من مؤسسيها وقدرته على إنتاج عبوات ناسفة قاتلة، والقدرة على التملص كل هذا جعله أسطورة في المناطق وتم تضخيم هذه الأسطورة في الإعلان الإسرائيلي حيث كان الهدف رقم ١ لقوات الأمن الإسرائيلي.

الإمكانية لتصفية عياش جاءت بشكل متناقض بالذات في المكان الذي أمن فيه لفترة ما نسبياً في أراضي السلطة في قطاع غزة حيث هرب إلى غزة في بداية عام ١٩٩٥ وهناك استمرت الحياة بشكل سري وكان يغير أماكن السكن وكان يتحرك في الليل ويختفي في النهار واستمر في تحريك عمليات المقاومة من هناك والأخير كان انفجار خط ٢٦ في أوغسطس ١٩٩٥ في رمات أشكول.

ولكن الانتقال إلى غزة أوجد العلامة الأولى في منطقة السري، والشعور بالشك الذي كان يتمتع فيه حيث وجوده في أراضي السلطة جعله يخطئ في مشاعره الحذرة جداً حيث أصبح يعتقد أنه يمكن أن يعود ويدير عائلته مرة أخرى من جديد حيث انضمت له زوجته وولده بعد شهرين من هروبه إلى غزة. هناك في بيت لاهيا حيث تمت تصفيته هناك على بعد دقائق من الخط الأخضر وهذا يدل على أنه بدأ يشعر بأمان أكثر وخطورة أقل ورجال أمن السلطة لم يتعاملوا معه، فمن ناحيتهم من الأفضل له الهروب إلى إحدى الدول العربية غير أنه رفض هذا الأمر ومن الآن فصاعداً كان المهندس مغروساً في منطقة محسوبة على السلطة وتحت سيطرتها مع عائلته وزيارة للوالدين.

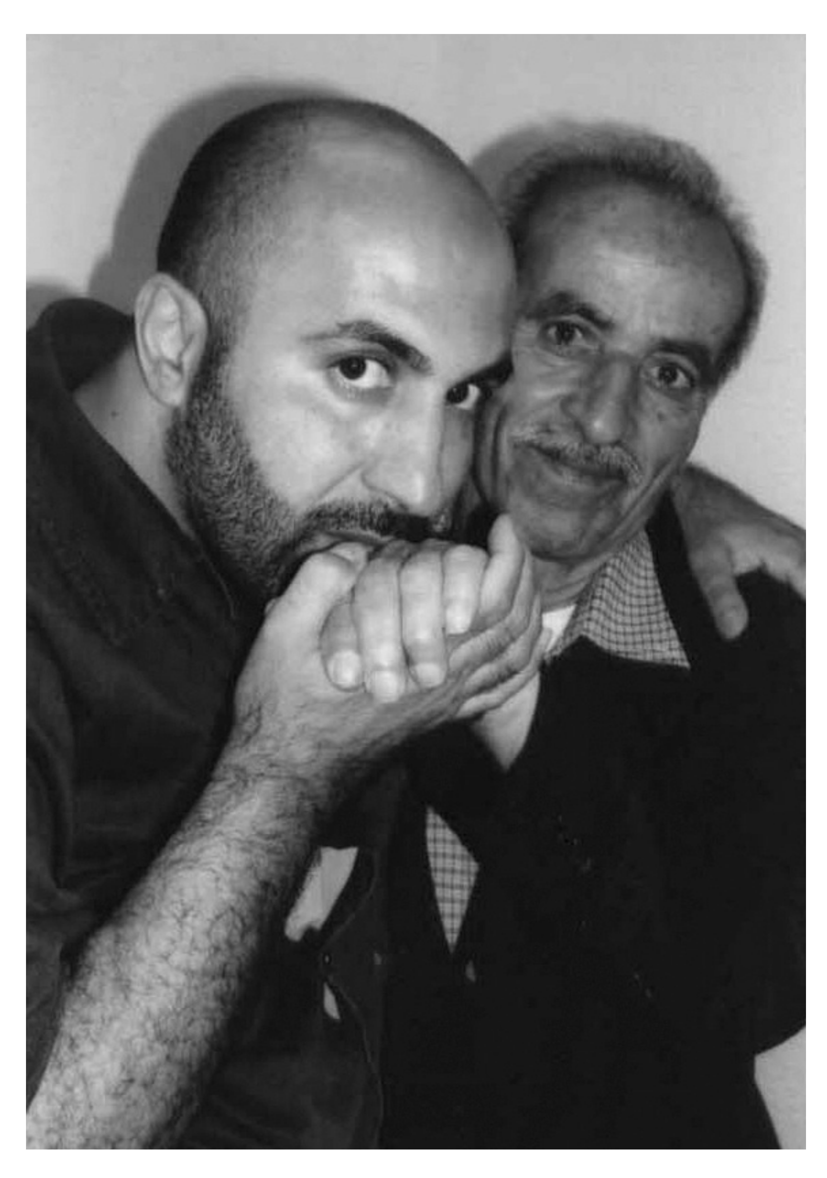
الحاجة لتصفيته الآن واضحة حيث المقدرة على تصفيته

تم تأكيدها يوم الجمعة ولكن هذا السيناريو فيه شيء مفقود وهو اختيار الوقت هل بالفعل كانت المرة الأولى التي تم وضع يحيى تحت اليد وإذا كان الجواب لا فلماذا تتم التصفية وقتها وإذا كان الجواب أن الزمان والمكان لم يكونا مناسبين فلماذا تتم تصفيته الآن قبيل انتخابات للسلطة التي من الناحية الإسرائيلية تعتبر حساسة بشكل خاص وهو حجر زاوية حاسمة في السياسة الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين، لماذا بالذات الآن حيث المهندس في حالة مرتبكة حيث وضعه في الشارع في الأسفل وهذا جعله يلتزم عدم التشويش على الانتخابات، هل يوجد من اعتقد بأن هذه الفرصة لا تتكرر لذا تركت الأمور الأخرى جانباً أم أنه تم إعطاء الأوامر التي لا يمكن إيقافها.

فعملية اغتيال المهندس انجاز عملي رائع يستحق كل التقدير غير أن قضية التوقيت في حالة من السرية وليس أقل من ذلك سرية تنفيذ عمليات من هذا القبيل. الآن تستعد الأجهزة الأمنية لإمكانية القيام بعمليات انتقامية، التهديد القائم بتصفية المهندس لكن الامتحان الحقيقي لنتائج التصفية تقع على عاتق السلطة أن تعمل على منع هذه العمليات فهل تنجح السلطة في التعامل مع حجم الغضب المتكدس في الشارع وأن تبدأ بعد أسبوعين في عملية الانتخابات كما هو مخطط، هل تملك السلطة القوة للنجاح في هذا الاختبار هل الشارع يقف خلف عرفات رغم اختيار هذا الوقت للتصفية الذي حدد على يد من يريد أن يضع السلطة وعرفات في هذا الاختبار فإذا لم ينجح فمن الأفضل معرفة هذا من الآن.!

ملحق صور

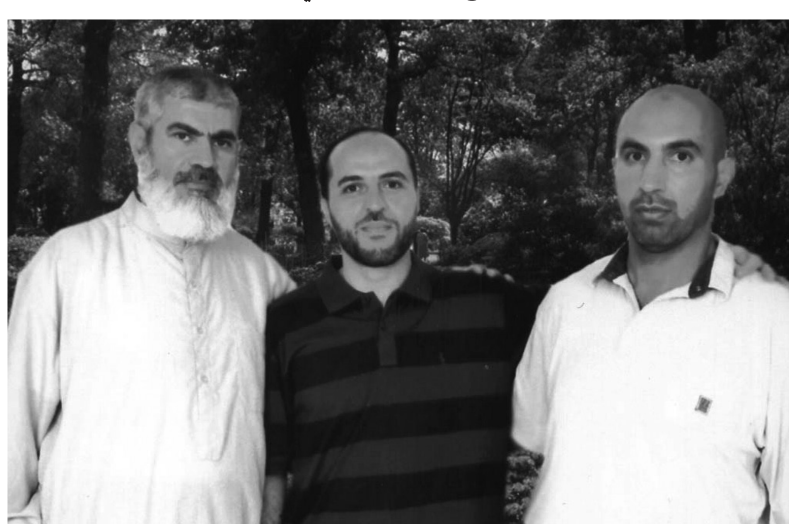
التقطت رغماً عن أنف الاحتلال



زاهر جبرين يقبل يد والده في سجن هداريم



الأمين العام أحمد سعدات والقائد زاهر جبرين وعضو اللجنة المركزية لحركة فتح مروان البرغوثي



زاهر جبرين وموسى عكاري وروحي مشتهى


زاهر جبرين وعماد ريحان وعباس السيد وياسر داوود


زاهر جبرين وعماد ريحان وسلامة مرعي وعباس السيد



زاهر جبرين وجاسر البرغوثي



زاهر جبرين مع مجموعة من الأسرى في سجن هداريم



زاهر جبرين وعباس السيد وعلي العامودي



زاهر جبرين والعديد من الأسرى في سجن هداريم



زاهر جبرين وسلامة مرعي وجاسر البرغوثي



زاهر جبرين ومحمد بشارات وعبد الناصر عيسى



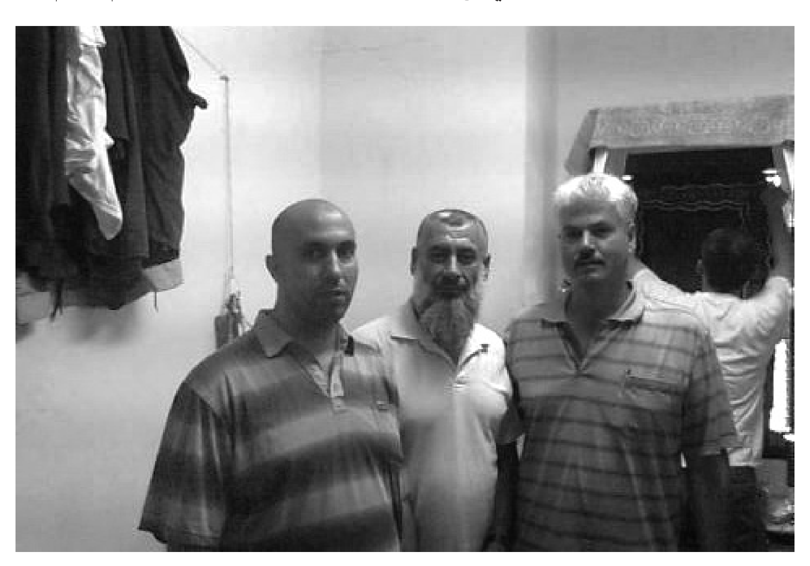
زاهر جبرين وعوض سلامة وموسى عكاري



زاهر جبرين ومحمد عرمان والقائد جاسر البرغوثي



زاهر جبرين وسلامة مرعي مع الأخوين مصطفى رمضان وإبراهيم علقم



زاهر جبرين وطلال الباز وعباس السيد



زاهر جبرين وسلامة مرعي ونضال السركجي وإبراهيم المصري وعبد الرحمن غنيمات



زاهر جبرين وسلامة مرعي ونضال السركجي



زاهر جبرين وكل من عباس السيد وطلال الباز ومحمود أبو سرية



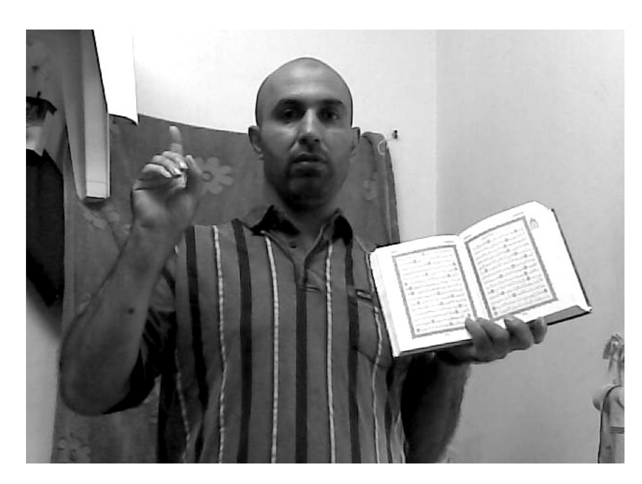
زاهر جبرين وعبد الرحمن غنيمات



وجبة العشاء في سجن هداريم يشارك بها كل من عبد الله أبو شلبك
ومحمد عرمان وسلامة مرعي



زاهر جبرين ومصطفى رمضان ونضال السركجي وسلامة مرعي



زاهر جبرين
وهو يرفع
سبابته
ومصحفه في
وجه السجان



زاهر جبرين وهو يعدُّ وجبة الغداء مع المجاهد مصطفى رمضان في سجن هداريم



زاهر جبرين قبل عشرين عاماً وهو يحمل السلاح الأول لكتائب القسام مع سلامة مرعي وعبد الفتاح معالي



زاهر جبرين يحمل سلاح الوحدة الخاصة



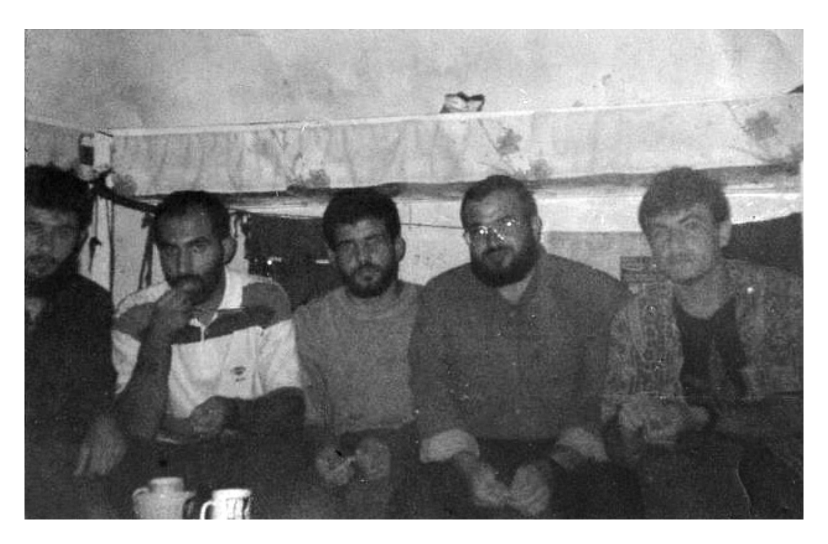
الأسير وليد خالد



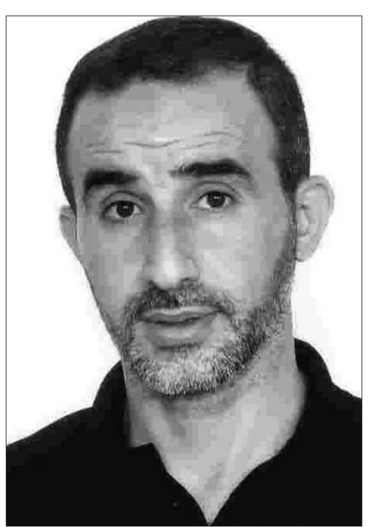
الأسير المحرر
موسى دودين



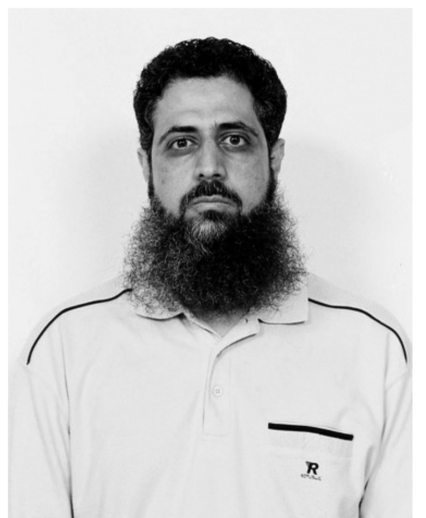
الأسير المحرر
ياسر حجازي



صورة التقطت قبل عشرين عاماً في سجن الجنيد بكاميرا مهربة يظهر بها زاهر جبرين أول الاعتقال والشهيد محمود عاصي وسلامة مرعي وموسى دودين



الأسير حسن سلامة



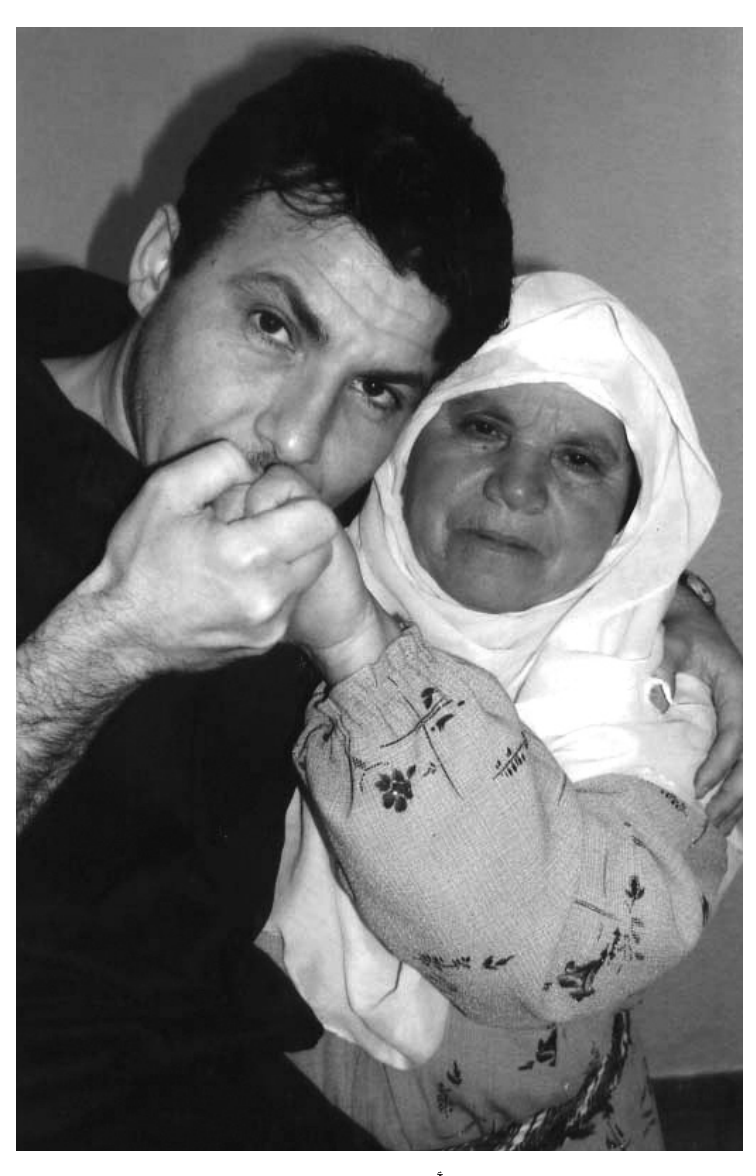
قائد الوحدة الخاصة محمود عيسى



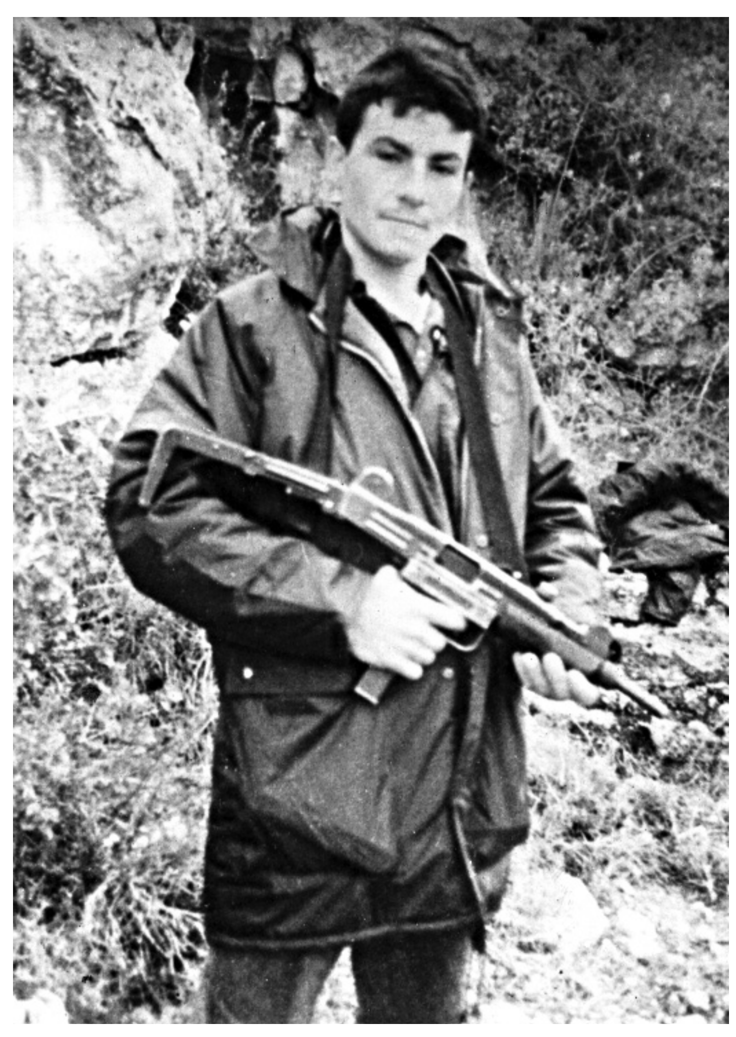
الأسير المحرر عبد الحكيم حنيني



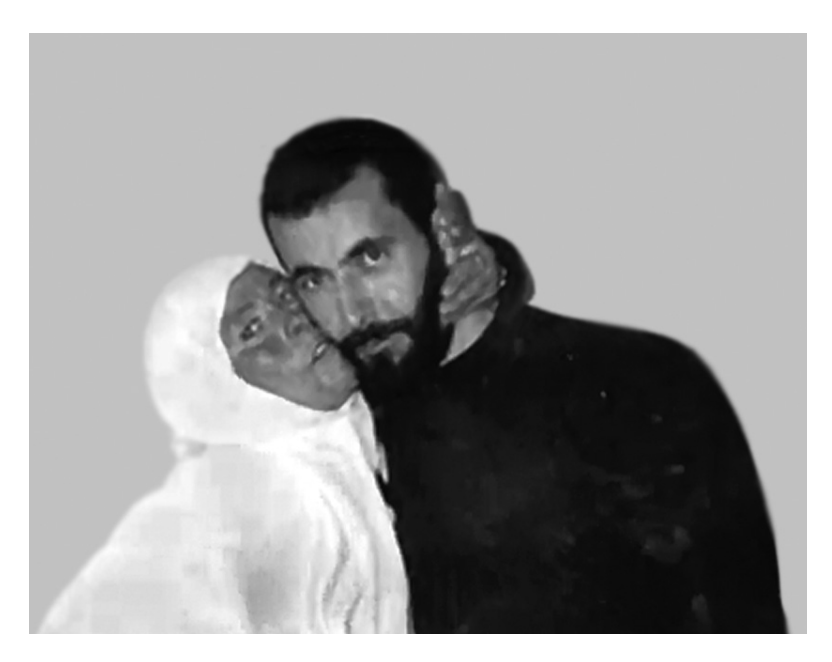
الأسير عبد الناصر عيسى



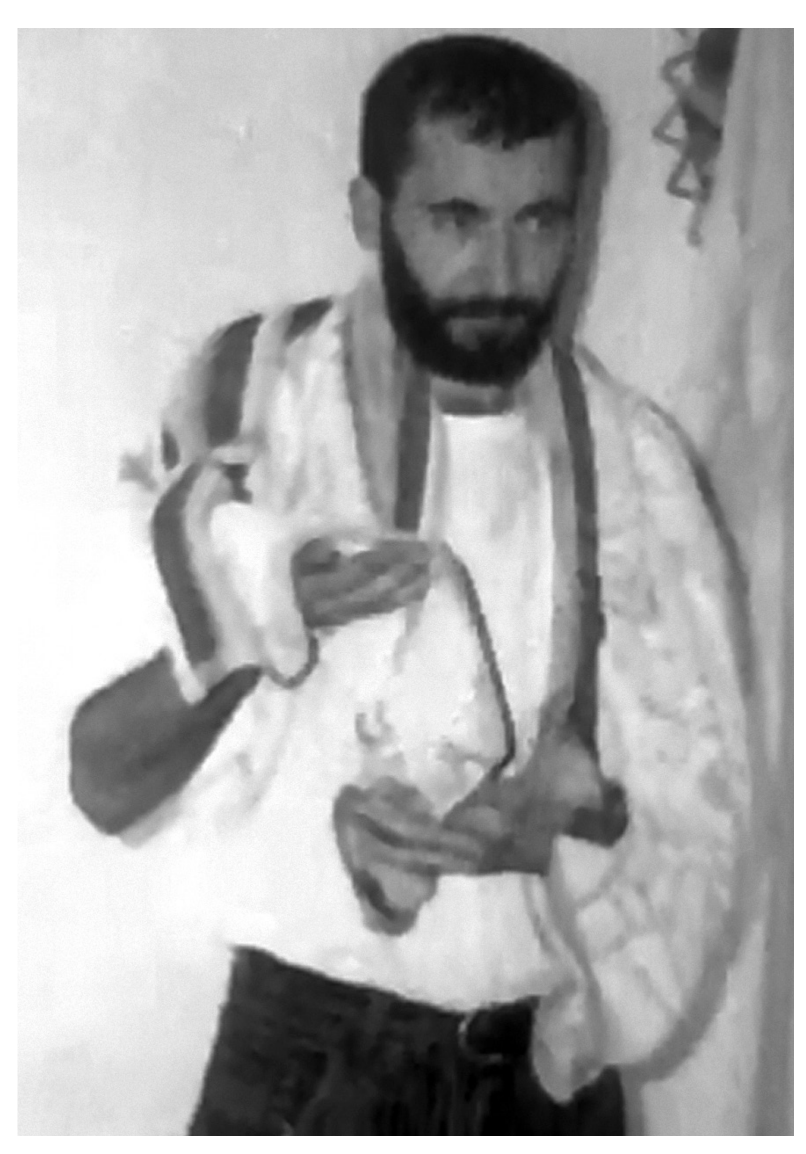
سلامة مرعي يقبل يد أمه داخل الزنزانة في سجن هداريم



سلامة مرعي قبل عشرين عاماً مع السلاح الأول للقسام



صورة نادرة للشهيد المهندس يحيى عياش مع والدته وهي تقبله



صورة نادرة للشهيد القائد يحيى عياش

الفهرس